

روان المصري

رواية



شيئا طين لو كيد

مكتبة 1219



إهداء لـ..

من يهتدون

بالـ «دلائل»

شَيَا طِين لَوْ كِيد

مكتبة | 1219





إدارة التوزيع

© 00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- المؤلف: روان المصري
- الطبعة الأولى: يناير 2022م
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- رقم الإيداع: 2022/3236م
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الترخيم الدولي: 4-95-6902-977-978

مكتبة
t.me/soramnqraa
22 6 23

روان المصري

رواية

شيئا طين
لو كيد



مكتبة 1219

كل ما نُكر في هذه الرواية من أحداث وشخصيات وأماكن وآليات
وشركات وأعمال، خيالي ولا يمت للواقع بصلة.

إهداء

"جميع مَنْ على هذه الأرض قابلٌ للتعويض إلا العائلة،
والصديق الذي يُعد من العائلة".

إلى عائلتي المذهلة، التي أضعها في صدري
حتى أقف في مواجهة الحياة.

لأن جيش المرء عائلته!

إهداء ثانٍ

إلى أولئك الذين حاولوا وضعنا في قفصٍ..
كلماتنا أكبر من قيودكم!

«يتعلمون الطيران دومًا؛ كل أولئك الذين منعتهم من الركض».

العالم الجديد

مكتبة

t.me/soramnqraa

عام 2145 اندلعت الحرب العالمية الثالثة.

عام 2148 تجاوزت خسائر الحرب المليارات.

عام 2159 وقعت معاهدة وقف إطلاق النار وانتهت الحرب بخسائر بشرية كبيرة.

عام 2200 أعلنت منظمة السلام الدولية انتهاء معالجة كل الإصابات الناتجة عن الحرب النووية والكيميائية.

عام 2215 اندلعت الحرب العالمية الرابعة بشراسة أكبر، ونزعة مرعبة للدمار والانتقام سادت بين الجميع.

استمرت الحرب العالمية الرابعة سنوات طويلة حتى توقف الناس عن عدها، استُخدمت أسلحة لم تكن البشرية تعرف بوجودها، جُرِّبَت القذائف الذرية على مدن كاملة مما سبب إبادةها بأكملها، نُسفت دول كاملة عن بكرة أبيها ولم تعد خارطة العالم نفسها.

عام 2250 انتهت الحرب العالمية الرابعة، ليس لأن أحدهم انتصر، بل لأن خسائر الكوكب تجاوزت المعقول، ولأن ما فُقد من البشر والعلوم والمدن لم يعد يمكن تعويضه.

انتهت الحرب آخذةً معها معظم العلوم التي توصلت لها البشرية في الألفين ومئتي سنة السابقين، كل الثورات التكنولوجية والعلمية عادت لنقطة الصفر، فقدت الدول تقدمها العلمي، عاد العالم كله لنقطة بداية لم يتوقع أحد أن توصل جائحة الحرب إليها.

الدول التي نجت من الحرب بصعوبة اتفقت مع بعضها أن تبني عالمًا جديدًا يقوم على السلام، ولكن ليس عن طريق معاهدات واتفاقيات وقف

إطلاق النار، إذ يمكن تمييزها وتجاوزها بسهولة، بل عن طريق مشاريع في المجالات كافة تشارك بها الدول جمعاء، بحيث إن أي دولة تفكر في أذية دولة أخرى ستُجبر على التوقف حتى لا تنهار أرضاً، لأن كل شيء أصبح يقوم على هذه المشاريع.

مشروع السلام العالمي، مشروع بروفوجين لاستثمار الثروات، مشروع تكافل للذكاء الصناعي، مشروع آر تي للفن المعماري، اتحاد العالم للمبرمجين، مشروع نجوم لعلم الفلك، مشروع حياة الطبي العالمي، وغيرها الكثير في كل المجالات.

ومع قيام هذه المشاريع والتعاون المذهل الذي حصل بين من نجا من الحرب العالمية، وبلاستناد الصعب على ما تبقى من العلوم القديمة قامت الثورات العملية الكبرى التي أعادت بناء الكوكب المهدم قطعاً قطعاً، وعلى أنقاض المدن المدمرة قامت مدنٌ جديدة متطورة ومختلفة.

الآن، حيث الذكاء الصناعي والروبوتات يقومون بكل مهمات الحياة بينما يتفرغ البشر للتعلم والصناعة والتجارة والنهضة، حيث أصبح الاعتماد الكامل على موارد طاقة متجددة ولا منتهية، حيث غطيت الصحراء بألواح الطاقة الشمسية، وحيث أُقيمت معامل وسط البحر لاستهلاك الطاقة الأمثل.

أصبح كل شيء معتمداً على التكنولوجيا، ومع التطور نسي البشر ما معنى الورق أو الأقلام، وأصبحت الكتب الورقية تراثاً لا يعرف بوجوده إلا القليل، ناهيك بما تبقى من الكتب والذي يُعد من التحف النادرة للبشرية.

اتجه العالم للاعتماد على الآلات لأداء معظم المهمات، بينما اقتصرت مهمة البشر على تعلم أشياء جديدة وتعلم كيف يتعامل مع الروبوتات لتسيير حياته، على أي حال، هناك بعض الاستثناءات ولكنها قليلة حتى لا يكاد الناس يلتفتون لها.

الآن، لا معنى للأسماء ولا الألقاب ولا الأنساب، حيث اختلطت شعوب العالم بعضها مع بعض، وسكان المدن الجديدة أتوا من أماكن متفرقة ومتنوعة، حيث لا معنى للعادات والتقاليد، ولا وجود لما يُعرف بالتاريخ، وحيث بدأ الجميع بداياتٍ جديدة بعضهم مع بعض دون الالتفات للأصل والجنس واللون والمبادئ.

حيث الانتماء الوحيد هو اللحظة الحالية، وحيث يبذل الجميع جهودهم
ليعيشوا هذه اللحظة بأفضل طريقة ممكنة!

هذا هو عام 2350، بعد مئة سنة من الحرب العالمية الرابعة، وبعدها
بُذلت كل الجهود لاستعادة معظم ما سُلب.

هذه القصة في مدينة جديدة تُدعى مدينة لوكيد!
وهذان هما الزمان والمكان اللذان لم تكن تعرف عنهما شيئاً!
لذا، مرحباً بك في العالم الجديد.

1

دار آلكمس للرعاية

الحلم نفسه مجدداً يوقظه من النوم، قميصه الأبيض ملتصقٌ بجسده المتعرق، صدره يعلو ويهبط بصعوبة مجاهدًا لالتقاط أنفاسه، الحلم نفسه منذ عشر سنوات؛ حادث سيارة، طفلٌ صغيرٌ يبكي بعلو، ضجيجٌ أعلى من صوت الصغير الذي هدأ تمامًا بينما يحدق بلا تصديق إلى رجال الطوارئ وهم يسحبون والديه من داخل السيارة المدمرة، وقد غابت عن وجهيهما معاني الحياة.

بين سن الثامنة والثانية عشرة كان يزوره هذا الحلم كل ليلة تقريبًا، وبعدها صار يأتيه بشكلٍ متقطع؛ حين يكون متعبًا، أو على شكل هلوسات وقت مرضه، لا يذكر متى رآه آخر مرة، ولكن يبدو أن الحادث الذي مضى من عشر سنوات لن يُنسى مطلقًا، سيبقى أثره عاليًا بروحه طويلاً.

اعتدل بجلوسه يحدق إلى غرفته الواسعة، ينظر من النافذة محاولاً الهرب، وتصدمه حقيقة واحدة «إنه صباحٌ جديد في نفس العالم الذي تكرهه، وعليك تقبله!»!

ألقي نظرةً على الساعة الرقمية على الجدار ثم نهض من مكانه ليأخذ ملابسه ويتجه نحو الحمام يستغل خلوه ويحاول نزع الأفكار من عقله بوضع جسده تحت المياه الساخنة، بدل ملابسه ووضع تلك المتسخة في المكان المخصص لها بعد أن وضع عليها رقم غرفته ليبدل على كونه هذه الملابس له. حين عاد لغرفته لم تكن خالية كما تركها؛ الشاب ذو الشعر الأسود الطويل كان واقفًا بأريحية بجانب النافذة ينظر نحو الخارج واضعًا يديه في جيبي سرواله.

- فراس، حبًا بالله، ألن تتوقف عن اقتحام غرفتي؟

- صباح الخير، أرى أنك مبكرٌ اليوم.

قالها فراس ليرفع هوشيار حاجبيه مستنكرًا ويرد:

- قل هذه الكلمات لنفسك.

- هل أنت بخير؟

حرك رأسه إيجابًا ليبتسم فراس مقتربًا منه، ربت على رأسه كطفل ثم ابتسم قائلاً:

- هل كانت ليلة سيئة؟

لم يجبه وإنما سحب منشفةً من خزانته يجفف شعره المجعد ليتابع فراس:

- هوشيار، هل أنت قلق؟

- لا، لم سأكون؟

كذب، بالطبع فعل، القلق يستولي عليه منذ الليلة الفائتة، غفت عيناه بصعوبة وراودته الكوابيس طوال الليل. زفر فراس وأردف مفسرًا:

- علمتُ أن أزار طلب رؤيتك اليوم.

- أخبرني، هل تعلم كم مرة أتنفس باليوم؟

- لا أفعل، ولكنك تعلم أن أزار لا يطلب أحدًا إلا إن افتعل مشكلةً كبيرة، آخر شيء أريده هو رؤيتك تقع بالمشكلات.

حدق هوشيار إلى فراس من خلف شعره المبتل الذي يتساقط على وجهه وتلك المنشفة الموضوعة على رأسه، حدق إليه بأكثر نظرة مستهزئة بالعالم وقال ساخرًا:

- أخبرني، لم أسمع هذه الكلمات من أكثر شخص مثير للمشكلات هنا؟ ومن أكبر شائٍ في المكان لم يغادر بسبب سلوكه السيئ؟

- لسببين... (رفع إصبعين في وجهه وهوشيار قابل ذلك برفع حاجبه طالبًا منه المتابعة) الأول أنني مسؤول عنك، وأهتم بك، حتى وإن لم تصدق ذلك، والسبب الثاني واضحٌ للغاية! نحن مختلفان، هذا المكان يضم المختلفين ويتعامل معهم بطرق تناسب شخصياتهم، وأنا مختلفٌ عنك، لا يهم إن افتعلتُ المشكلات أو ذهبتُ إلى الجحيم، وصدقني لو

أني متُّ في الغد فلن يكثر أحد بذلك، أما أنت، ليس عليك أن تكون مثلي، ستبلغ العشرين بعد سنتين وستفادر لترى حياةً حقيقيةً أمامك، ولا أريدك أن تمضي هذه السنتين في مشكلات من أي نوع.

آخر مرة نهدبتَ بها إلى آزار كنتَ طفلاً وانتهى الأمر بكارثة، لذا أنا فقط أذكرك أنك الشخص الذي يكره حياته هنا، وكلما أسأت التصرف ستطول هذه الحياة التي تكرهها، وصدقني أنا أعرف تمامًا ما أقوله.

أنهى جملته ثم زفر طويلاً مُمرِّراً يده في خصلات شعره الطويل مرجعاً إياه للوراء وتوجه للخارج دون أن يسمع إجابةً من هوشيار تاركاً إياه وحده، يعيد الكلمات التي قالها في رأسه عدة مرات، كان محققاً؛ هما مختلفان.

نهض من مكانه بعد فترةٍ من الوقت، نشف شعره ورمى المنشفة على الكرسي بجانب الطاولة التي تحوي عدة أقلام إلكترونية وأجهزة لوحية معظمها كانت عبارة عن قطعة معدنية على حافتها نُقش اسم كتاب واسم كاتب واسم مسؤول ترويج وشركة تقنية، وبمجرد الضغط على زر صغير فإن هذه اللوحة ستفتح شاشتها لك مظهره الكتاب الذي تحويه بداخلها. الكتب المتراسة على طاولته كانت أكثر من سنوات عمره، وكانت صديقه المفضلة أيضاً.

«إنه محق» همس مخاطباً نفسه وهو يلقي نظرةً على غرفته، لديه كل شيء هنا، غرفته الواسعة الخاصة، كل الكتب التي يحلم بها، وكل ما يحتاج إليه يصل إليه مقابل أداء بعض المهام، لكنه يكرهه، وهو يرغب في الخروج من القوقعة التي تحيط به هنا.

هذا المكان هو دار ألكمس لرعاية الأيتام في مدينة لوكيد، ولكنه مختلف كلياً عن دور الأيتام في معظم مدن العالم الجديد.

المبنى الأبيض الكبير يتوسط حديقةً هائلة الحجم تقع على حدود المدينة، فيه عشرة طوابق، في كل طابق عشرة مجمعات وفي كل مجمع عشر غرف، كل مقيم في ألكمس لديه غرفةً خاصةً به.

الطابق الرابع، المجمع السادس، الغرفة الرابعة، رقم 464 كانت غرفة هوشيار ميكاليس، الفتى المجعد ذو الثمانية عشر عاماً، الذي يسير عاقداً حاجبيه متجهاً نحو مكتب آزار ساروس مدير هذا المكان.

لو كيد مدينةٌ جديدة، تتميز باهتمامها بالجيل الجديد، إعطاء تأهيل مثالي للأشخاص بين العاشرة والعشرين من عمرهم، هذا سيمنحهم القدرة على الخوض في العمل، وخلق إنجازات كبيرة تبقى المدينة الجديدة بين مدن العالم القوية التي تتمثل قوة كل واحدة منها بتقدمها العلمي وإنجازاتها التقنية ولا شيء آخر.

وبسبب ذلك يعدّ ألكمس المكان الوحيد لرعاية الأيتام في مدينة لو كيد، بقوانين صارمة، وأسلوب تأهيل ومعيشة مختلف كلياً، يخرج المقيمون من هنا بعمر العشرين نحو الحياة العملية فوراً، مع وجود بعض الاستثناءات حسب نقاطهم.

تلك الأشياء الكثيرة مرت على عقله وهو يحدق إلى الدبوس الموضوع في ياقة قميصه حيث توجد شريحة تحسب نقاطه، وصل إلى الطابق الأرضي وتوجه لتلك المساحة الفارغة حيث توضع عارضة عليها لوحة إلكترونية كانت المكان ليعرف نقاطه.

نزع الدبوس ووضع على اللوحة ومرر نظره على الأرقام التي ظهرت على الشاشة، نقاطه لم تنخفض، الشريحة الإلكترونية في دبوسه تعتمد على الذكاء الصناعي وتقلل من نقاطه في حال فعل شيئاً سيئاً، نظامٌ متطور معقد أطلق عليه أبناء المكان هنا «عين القانون»، لكن هذا اليوم كان مثل أي يوم، لم يفهم لم طلبه أزار بعد.

- صباح الخير هوشيار.

الصوت من جانبه دفعه ليلتفت، الشاب الأقصر قامة كان يحمل بدوره قرطاً ذهبي اللون وضعه على اللوحة يتفقد نقاطه.

- أوه لؤي، هل كل شيء بخير؟

- أجل، تخلفتُ البارحة عن وجبة الغداء لذا أردتُ رؤية إن كان ذلك سيؤثر على نقاطي.

أعاد الدبوس لقميصه وأشار لؤي إلى الخارج قائلاً:

- لنذهب إلى قاعة الطعام معاً.

- لدي شيء سأفعله أولاً ثم سألحق بك، قد أتأخر.

توجه خارجًا آخذًا المصعد نحو الطابق الأخير مفكرًا، توقف المصعد ومشى بخطواتٍ متباطئة نحو المكتب في آخر الممر، بدا وكأنه ينتظر لحظة ليخبره أحدٌ ما بأن أزار ساروس لم يعد يريد رؤيته، في المرة السابقة التي جاء بها إلى هنا كان صغيرًا، وقد بكى كثيرًا في تلك الليلة، هذه المرة هو أكبر عمراً، ولكن هالة مخيفة حول المكان تجعله متردداً للغاية.

أخذ نفسًا عميقًا ثم طرق الباب وهو يقول بصوتٍ عالٍ:

- هوشيار ميكاليس.

- ادخل.

سمع الصوت الهادئ من الورا، وحرك المقبض بتوتره المفرط، ألقى نظرةً على المكتب حين أصبحت قدماه في الداخل أخيرًا، لم يتغير المكتب مطلقًا، نفس النافذة الكبيرة المطلّة على حديقة آكمس الواسعة، نفس الخشب ذي النوع الغالي والتصميم الكلاسيكي المذهل، حتى الرجل الذي جاء لرؤيته لم يتغير كثيرًا، بدا وكأنه صار مخيفًا أكثر وحسب.

- صباح الخير.

قالها وهو يقف في وسط المكتب، لا يريد أن يبدو خائفًا كما كان قبل سنوات!

- صباح الخير هوشيار ميكاليس.

نبرة أزار كانت هادئة وعميقة، مناداته باسمه الكامل جعلته مضطربًا على الرغم من أن المحادثة لم تبدأ بعد، وقبل أن ينطق أزار الكلمة التالية قاطعهما رنينُ هاتفه ليشير لهوشيار أن ينتظر ويرد عليه، وانشغل هوشيار بمحاولة قراءة أسماء الكتب المحفورة على القضبان المعدنية الموضوعة على المكتب، ولكنه لم يستطع بسبب مكانه البعيد.

- ما الأمر كارتال؟

قالها أزار بهدوء بعد فترةٍ من الصمت لم تتجاوز ثواني، مما جعل هوشيار ينظر إليه مجددًا، وعلى الجانب الآخر أجاب كارتال بتردد:

- آسفٌ لمقاطعتك، عليّ الذهاب إلى المستشفى اليوم لذا سأتأخر عن العودة للمنزل، نسيتُ إخبارك بهذا البارحة.

- لم تخبرني أصلاً؟

- فقط... حتى لا تنتظرنني على الغداء إن تأخرت!

ازدادت نبرة الشاب توترًا ليرد آزار بسخرية:

- لم أكن سأفعل على أي حال حتى لو نمت خارج المنزل.

- آسفٌ على تعطيلك عن عملك مجددًا.

- اذهب لدراستك!

قالها بجمود ثم أغلق الهاتف، لم يكن هوشيار قد استمع لسوى جانبه من المحادثة، وتساءل من هو الشخص الذي يعيش معه في المنزل ليكلمه بهذا البرود، ابنه؟ نزع الفكرة من رأسه مباشرةً؛ لا أحد يكلم ابنه بهذه الطريقة، كما أن آزار غير متزوج.

- إذا هوشيار، هل تعرف لم استدعيتك؟

حرك رأسه نفيًا ولم يستعمل الكلمات؛ كان يخشى أن تخرج تلك الأحرف التائهة من شفثيه لتشرح مدى سوء توقعاته والقلق الذي لازمه منذ الليلة الفائتة.

- هناك فتاةٌ جديدةٌ ستصل إلى هنا في الغد، أعلم أن امتحان قبولك في الجامعة سيكون بعد غد، لذا ستتفرغ اليوم لدراستك لأن عليك البقاء مع الفتاة غدًا.

- عليّ البقاء معها؟

همس بتردد ليجيب آزار:

- ستكون قائدها ومسؤولًا عنها.

- أنا سأكون قائدها؟!!

بدا مستنكرًا الفكرة لأبعد حد ليرد آزار بلا تعابير:

- إن كان فراس نفسه قد وُضع قائدها لك، فما الذي ينقصك حتى تكون قائدها على أحد؟ على الأقل أنت تفهم النظام بشكلٍ صحيح وليس مثل الأحمق المتسبب للمشكلات.

ابتلع ريقه ولم يجب، لو سألتَه كيف يتدبر أمره هنا لأجاب أنه يحارب كل يوم ليستمر، لا يتخيل وجود شخصٍ ما يشاركه ذلك، يَعْلَمُه المحاربة أيضًا.
- على أي حال، ليس هذا ما طلبتُكَ لأجله.

نظر نحوه ولم يجاهد هذه المرة حتى يخفي قلقه أو توتره من الجملة القادمة ليتابع آزار:

- من المفترض أن يخبرك بعض المسؤولين بالأسفل عن هذه التفاصيل، ولكنني ناديتُكَ لأحذرك من شيء واحد، هل تعرف؟
- أجل.

أجاب وهو يشيح بنظره وتابع آزار بنفس الصوت العميق الخالي من التعابير:

- في كل عمل هناك جوانب يعرفها الجميع وأشياء تحصل في الكواليس حتى يسير العمل بشكلٍ مثالي، وجودنا هنا عمل، ومدينة لو كيد تريد عاملين مثاليين، ولكنك متطفل، وفضولي، ومزعج، وقد عرفتَ بالفعل أكثر مما ينبغي لك أن تعرف، لذا أنا أنبهك، هذه الفتاة يجب ألا تعرف شيئًا.

- لن أخبرها، لم أخبر أحدًا بأي شيء طوال سنوات أصلاً.

أجابه متذكرًا لقاءهم القديم وأوماً مدير الكمس قائلاً:

- أعلم ذلك، هذه المرة افعلها لأجل الفتاة حتى تعيش حياةً طبيعية مثل أي شخص آخر.

- فهمت.

- اذهب الآن.

نبرته الأمرة دفعت الفتى ليغادر بسرعة، خطواته أوسع بمرتين عن الخطوات التي خطاها نحو الداخل، نزل نحو الطابق الرابع وفتح باب غرفته ثم أغلقه بقوة ليزفر نفسًا طويلاً لم يعرف أنه كان يحبسه، وضع يده على رأسه غارقًا بالتفكير، سيكون قائداً لفتاة جديدة، لا يوجد أسوأ من هذا اليوم حتمًا!

2

- هل أنت بخير؟
- سأله فراس حالما جلس إلى طاولته في قاعة الطعام ليحرك رأسه بلا تعابير، مما دفع الشاب الأكبر ليسأل مجددًا:
- ما الذي يريده آزار؟
- هل أنت متأكد أن قاعة الطعام هي المكان المناسب للتحدث عن هذا؟
- لا بأس، لا أحد يسمع.
- كان يجلس بجانبه بالفعل ونصف الطاولة فارغ وفي نهايتها بعض الأطفال الصغار يتحدثون ويلعبون ريثما يأكلون، تنهد هوشيار وقال أخيرًا:
- كان ينبهني حول بعض الأشياء بما أنهم سيجعلونني قائدًا على فتاة جديدة.
- أوه، أنت ستكون قائدًا؟!!
- قال فراس باستغراب ليحرك هوشيار رأسه، بدا وكأنهما غير مقتنعين بالفكرة على الرغم من أن أي شخص في المكان قد يكون قائدًا على شخص آخر، يعتني به، ويوجهه، ويعلمه حول نظام الحياة هنا.
- أنت تعلم أن عليها أن تبقى لشهر في مبنى التأهيل قبل أن تدخل إلى مبنى ألكمس الرئيسي، صحيح؟
- أعلم، لا أعرف لم يجب على الجدد أن يجلسوا في ذلك المبنى الصغير، يمكنهم تعلم الأنظمة هنا على أي حال.
- ربما لأنهم سيجدون صعوبة في التعايش مع قوانين المكان الصارمة فورًا.

حرك هوشيار رأسه بتفهم وفكر في ذلك المبنى الخشبي، كان يقضي الكثير من الوقت على سطحه ولكن لطالما وجد الأمر غريبًا أن الأشخاص الجدد يقضون أيامهم الأولى هناك.

هو لم يجلس هناك مطلقًا، لأنه تبيّن في سن الثامنة وأطفال آلكمس أصغرهم في العاشرة، تم الاعتناء به في مكانٍ آخر ثم جلبوه إلى هنا، لذا لم يكن بحاجة إلى أن يتأهل مع حياته الجديدة.

ساد الصمت بينهما وانتهت فترة الغداء ليعود كل شخص لعمله ويعود فراس وهوشيار إلى غرفهما، هوشيار أراد أن يدرس ويصفي أفكاره، وفراس لم يرد أن يزعجه، لذا فضل أن ينعزل في غرفته أيضًا.

3

صباح اليوم التالي فتح عينيه باكراً وبدل ملابسه مستعداً لاستقبال الفتاة الجديدة، الجو كان بارداً قليلاً فلبس سترةً فوق قميصه الأبيض، انتعل حذاءه ثم نظر إلى المرأة آخذاً نفساً عميقاً وهو يهمس مخاطباً نفسه: «تستطيع فعلها، إنها فقط مهمةٌ أخرى قام بها العشرات قبلك».

نزل الدرجات قفزاً نحو الأسفل بينما يواصل تحفيز نفسه، تجاوز الحديقة الكبيرة نحو الباب الخارجي، فتحه ليقابله الشارع والسيارات الكثيرة التي تخرج من مدينة لوكد بما أن الكمس يقع على الحدود، واستند إلى الجدار الخارجي يحدق إلى الخارج وينتظر الفتاة الجديدة.

السيارة ذات اللون الأسود كانت تسير بسرعة في الطرقات الخالية مبتعدةً عن ضجة المدينة شيئاً فشيئاً بينما تسللت نسمات الهواء الريفية الخالية من رائحة الزحام من النافذة المفتوحة لتداعب الشعر الطويل للفتاة التي تجلس في مقعد الراكب مسندةً رأسها إلى الزجاج بشروء عميق.

- هذا هو المكان.

قالها الرجل الذي يقود السيارة حين توقف أمام الباب، على الفور خرجت تحديقاً إلى المبنى الأبيض الكبير المحاط بسورٍ من الحجارة الرمادية التي جعلته يبدو مخيفاً أكثر، أعلى البوابة الخارجية ثمة لوحة سوداء كُتبت عليها بأحرف ذهبية «دار الكمس للرعاية»، وقوطع شروءها حين تحرك السائق ليخرج حقيبتها الصغيرة من المقعد الخلفي.

- شكراً لك.

قالت بإحراج وهمت أن تحملها ليستوقفها صوت الشاب الذي كان ينتظرها ولم تنتبه له مطلقاً على الرغم من تحديقها إلى المكان.

- سأحملها أنا.

بينما تقدم منهما ليأخذ الحقيبة من يد السائق ويتابع:

- سأتكفل بإيصالها للداخل.

الصمت كان إجابة السائق الوحيدة وساد في المكان هدوءٌ موثر للفتاة حتى نطقت أخيرًا تشكره مرةً أخرى.

حرك رأسه إيجابًا وركب في سيارته مبتعدًا، واصلت مراقبته حتى اختفى عن أنظارها لتلتفت لهوشيار الذي ينتظر بصبر وتنتبه لملامحه أخيرًا، شعره المجدد بلونٍ بنيٍّ داكن، وعيناه زرقاوان كلون السماء الصافية في ذلك الصباح. تقدمت ناحيته وهي تضيف بتردد:

- يمكنني أن أحمل الحقيبة.

- لا بأس، سأرشدك لغرفتك.

حاول أن يكون ودودًا قدر الإمكان على الرغم من أنه لم يبتسم. تجاوز الباب ومشى أمامها خلال الحديقة بينما تلتفت حولها متعجبةً من جمال المكان وتنسيق الحديقة والبناء المذهل القابع أمامها.

- هل أنتَ تعمل هنا؟

قالت وهي تنظر نحوه أخيرًا ليحرك رأسه نفيًا ويجيب:

- أنا مثلك هنا، ولكني مكلفٌ بتعليمك كل شيء عن المكان على الأقل في الشهر الأول، حيث ستقضيته في ذلك المبنى.

أشار إلى المبنى الصغير الذي لم يكن واضحًا كثيرًا ثم ابتسم وتابع:

- سأوصلك إلى غرفتك حتى ترتاحي.

فتح باب المبنى ومشى خطوةً نحو الداخل، ثم التفت نحوها وتابع بابتسامةٍ صغيرة لا تكاد تُرى:

- اسمي هوشيار ميكاليس، أنا في الثامنة عشرة من عمري، وأنا هنا منذ عشر سنوات.

اتسعت عينها بخفة حين قال ذلك الرقم، عشر سنواتٍ كاملة في دار الأيتام بدت صعبةً قليلًا بالنسبة إلى فتاةٍ جديدة، قبل أن تمد يدها مصافحة وترد:

- اسمي إيلاف، أنا في الخامسة عشرة.

صافحها بالمقابل ثم تجاوز الباب والصالة الكبيرة التي توزّع بها بعض الأطفال والمراهقين في الطابق الأرضي ليصعد نحو الأعلى. وجدت نفسها في الغرفة أمام خزانة ملابس صغيرة وسرير فردي وطاولة دراسة عليها بعض الكتب وبجانبتها كرسي، استغربت أنها ستبقى في غرفة لوحدها، فقد توقعت أن يكون معها شخصان أو ثلاثة على الأقل، ولكنها فكرت أن الأمر ربما سيكون لهذا الشهر وحسب ريثما تتأقلم على حياتها الجديدة هنا، وعلى الفور قاطعها بقوله:

- كل شخص هنا لديه غرفة وهو مسؤول عن ترتيبها وتنظيفها، قد يكون الأمر جيداً بالنسبة إليك إن لم تكوني معتادة مشاركة غرفتك مع أحد.
- كنتُ الطفلة الوحيدة لعائلتي.

همست ساخرة ليومئ ويرد:

- وأنا أيضاً، وحقيقة، أظن أن هذا يمنحني بعض الخصوصية من مشاركة غرفتي مع أحد!

تنهد بخفة ثم نظر إليها وتابع بنفس نبرته الهادئة وقد اختفت ابتسامته:
- على أي حال، سأتركك لرتاحي، يمكنك التجوال في أي مكان في هذا المبنى أو الحديقة ولكن احرصي على ألا تضيعي، وهذه الفترة للتأهيل لذا كما قلت لك سابقاً، لا يمكنك دخول المبنى الرئيسي، ارتاحي الآن، سأتي لأجلب لك الإفطار لاحقاً.

حركت رأسها إيجاباً ليسأل مجدداً:

- هل تحتاجين إلى شيء؟

- لا، شكرًا لك.

- خذي راحتك في الغرفة.

قالها وغادر لتأخذ نفساً عميقاً وتنظر في أنحاء الغرفة. فتحت الخزانة لتجد العديد من القمصان البيضاء الموضوعة بجانب بعضها لم تكن تختلف سوى بلون خطّ عريض على الذراع اليسرى وقد عرفت على الفور أنه اللباس

الموحد هنا، لأن كل الأشخاص القلائل الذين رأتهم في الحديقة كانوا يرتدون مثله.

تصفحت الكتب الموضوعة على الطاولة لتجد جميعها بأسماء غريبة، منذ وصلت إلى مدينة لوكيد قد أعجبتها فكرة أن كل كتاب لديه حافظة إلكترونية خاصة به مثل الدواكر المنفصلة، كان ذلك أجمل من تنزيل كل الكتب على جهاز لوحي واحد، ولذلك كل الكتب كانت من توزيع شركات موجودة في لوكيد، يتم تصديرها لبعض الدول الأخرى لتُباع كقطع مميزة بأسعار عالية فتكون كصادرات رئيسية للوكيد.

قررت أن تنام كما أخبرها، وبالفعل لم يكن السرير الخاص بها مزعجاً، وضعت رأسها على الوسادة وشردت بالسقف للحظات مفكرةً بوالديها الراحلين قبل أن تغمض عينيها ذاهبةً في نوم عميق.

4

مساء تلك الليلة طرق الباب على غرفتها عدة مرات ولم تجب مما دفعه ليدخل، وجدها نائمةً فوضع الطعام على الطاولة بجانب الكتب وهم بالخروج، ولكن صوتها الناعس استوقفه، التفت لها وقال بسرعة:

- آسفُ للدخول، جلبتُ لكِ الطعام ولم أردُ إيقاظك.

- هل يمكنكُ أن تبقى؟ لدي بعض الأسئلة.

قالت بصوتٍ خافت ليومئٍ لها، جلست في السرير ليناولها طعامها بينما جلس على الكرسي بجانب الطاولة الصغيرة ليقول:

- إذًا، هل أصبحت لديكِ أسئلة بهذه السرعة؟

- أأنا أقابل أحدًا من المسؤولين هنا؟

- لا، إن كان لديكِ أي شيء اسأليني وحسب، تم تعيينني مسؤولًا عنكِ بالفعل.

مكتبة

t.me/soramnqraa

قالت باعتراض:

- ما معنى هذا؟

ليرد بهدوء:

- إنه يشرح نفسه، أنا مسؤولٌ عنكِ، نحن نسميها هنا بالقيادة، لذا عمليًا أنا قائدك.

- هل هناك شخصٌ مسؤولٌ عنكِ أيضًا؟

حاجباها كانا مرفوعين بالفعل، لقد قضى سنواتٍ كثيرة هنا كما يقول، لذا بالتأكيد لن يكون هناك واحد، لكنه صدمها بتحريك رأسه إيجابًا وقال:

- أجل، شاب في السادسة والعشرين وهو الأكبر سنًا هنا.

- السادسة والعشرين؟!!

تركت الملعقة من يدها وهي تحدد إلىه بعينها البنيتين الواسعتين ليتنهد ويجيب:
- من المفترض أن نخرج من هنا حين نبلغ العشرين، ولكن هناك بعض الحالات الاستثنائية حين يكون هناك شخص ما يسيء التصرف، فهو سيبقى هنا لفترة أطول.

- لم؟

- لأن نظام الحياة هنا يقوم على تعليم الأشخاص العمل الفردي والجماعي وتحمل المسؤولية والكثير من الأشياء الأخرى، برأيهم إن لم تستطيعي التعايش معها فلن تتمكني من التعايش مع المجتمع الحقيقي.

رأى الدهشة على وجهها لبيتسم داخلياً، كان مثلها في البداية قبل أن يعتاد، أبقى تعبير وجهه حيادياً منتظراً بقية أسئلتها التي شردت بها بينما تتناول طعامها ليسأل أخيراً:

- ما سبب قدومك إلى هنا؟

- توفي والداي بحريق في الفندق الذي كنا نمكث به منذ ثلاثة أشهر، خرجت من المستشفى منذ أسبوعين حتى أخبروني بأن هذا المكان سيستقبلني، لم أعرف لم أعد لمدينتي حيث عائلتي.

- من أي مدينة أنت؟

تساءل وهو يحك ذقنه مفكراً لترد:

- مينوري.

- وما سبب مجيئك إلى هنا؟

- سياحة مع العائلة وحسب.

- فهمت. (همس بصوتٍ خافت ثم زفر وتابع) إنها قوانين مدينة لوکید حيث يُجبر الجميع على الموافقة عليها قبل الدخول، ومنها أن أي طفل مشرد أو يتيم على أراضي هذه المدينة تكون المدينة وحدها هي المسؤولة عن التعامل معه، ولهذا لا يعود الأطفال الأيتام إلى مدنها.

- أليس هذا غريباً قليلاً؟

حرك رأسه نفياً وأجاب:

- أنا مثلك أيضاً، أتيت من مدينة أخرى وتوفي أبي بحادث سيارة عقب وصولنا بأربعة أيام، كنت في الثامنة من عمري وحسب، قضيت عشر

سنوات كاملة بهذا المكان، وقد تقبلتُ الأمر بالنهاية حتى إنني لم أعد أذكر مدينتي القديمة أصلاً.

- يبدو أنك اعتدتَ مواساة الأشخاص الذين فقدوا والديهم مؤخرًا كثيرًا إذا.

همست ساخرة ليبتسم بدوره ابتسامَةً جانبيةً مستهزئةً ويرد:

- هل هذا واضحٌ جدًا عليّ؟

- آسفة، لا أقصد الإهانة.

- لا بأس، لم آخذ ذلك كإهانة، وأيضًا، عزائي حقًا على موت والديك!

أومأت بتردد وهي تنظر إليه بعينين لامعتين تحاول إخفاء دموعها بداخلها ليحرك رأسه للأمام ببطء. في الصباح كان من الطبيعي أن يتعامل معها بهدوء شديد، فهو أرشدها لغرفتها وقال لها بعض الأمور، ولكن بعد أن طالت محادثتهما أكثر باتت تعابير وجهه الجامدة وعيناه الحادثتان وردود فعله الخالية من المشاعر، تخيفها قليلًا.

قطع سلسلة التحديق بنهوضه من مكانه ليضع قلادةً فضيةً يتوسطها حجرٌ أزرق اللون على الوسادة البيضاء على السرير وقال:

- ضعي هذه حتى يعرفك الجميع كأحد سكان مبنى التأهيل، سأتي بعد ساعة لأخذ الصحون الفارغة.

تركها وحدها لتأخذ نفسًا طويلًا محاولةً أن تخرج نفسها من جو المحادثة المتوتر الذي كانت به. قضى عشر سنوات هنا بعيدًا عن عائلته، يتم منذ أن كان طفلًا ولم يحظَ بوقتٍ كافٍ مع دفاء أهله، بالتأكيد هو يفكر بطريقةٍ مختلفة عن الأشخاص الذين قضوا الليالي الطويلة مثلها يتسامرون مع العائلة. لم تتحدث مع الكثيرين من الأشخاص منذ وفاة والديها، ولكنها انفتحت بالحديث معه لشعورها أنه سيكون الشخص الوحيد الذي ستحادثه طوال هذا الشهر حتى يسمح لها بالانتقال للمبنى الرئيسي. ألقت نظرها على القلادة الزرقاء التي وضعها لها وعرفت على الفور أنها ستحصل على قلادةٍ جديدة بلونٍ جديد حين تنتقل للمبنى الرئيسي، تذكرت أنها لمحت قلادةً ذهبية في عنقه من أول مرة نظرت إليه فيها وتساءلت إن كانت ستحصل على قلادةٍ ذهبية أو أن هناك تدرجًا آخر قبل أن تصل إلى هذا اللون.

المكان بأكمله كان مثيرًا للاستغراب، كان من المذهل كيف أنها قد توقعت أن تعيش مغامرةً جديدةً هنا وبطريقةٍ ما كانت مرتاحة لأنها في موقعٍ لطيفٍ وهادئٍ، ولكنها الآن تشعر بالرهبة لأن هذه المغامرة الجديدة كانت جديدة كثيرًا عليها.

يمرر يديه في خصلات شعره المجدد بينما يحدق إلى السماء بشرود، جسده مستلقٍ بأريحيةٍ على سطح المبنى الخشبي ويمدد قدميه بلا اكتراثٍ لأي شيءٍ حوله بينما يسند رأسه إلى يده المثنية أسفل رقبته.

- أما زلتَ تتأمل السماء؟

صوت فراس جاء من وراءه ليرد بهدوئه المعتاد:

- لأنني وحيد، ليس لدي شيءٌ آخر لأنقذ نفسي به.

نظر نحو فراس الواقف بجانب باب السطح، شعره الأسود الداكن الطويل كان مرفوعًا بعشوائيةٍ برباطٍ صغيرٍ أعلى رأسه وبعض الخصلات التي هربت منه تتطاير بفعل النسيمات الخفيفة، بينما ابتسم بهدوءٍ وأجاب:

- لديك أصدقاءٌ بالفعل، وتعلم أنني المسؤول عنك، لذا يمكنك أن تخبرني أي شيء، أنت لستَ وحيدًا.

- أنت محق، فقط لا أظن أنني أشعر بالرغبة في التحدث حول أي شيء. نهض من مكانه جالسًا ونظر إلى فراس طويلًا قبل أن يتنهد ويقول:

- هل تعتقد أن أزار سيؤذيها؟

- من أين أتيتَ بهذه الحماسة؟ إنها مقيمةٌ هنا كأني شخصٍ آخر، وهو لا يتدخل بأي أحدٍ منا.

- لكنه لم يطلب أيًا منكم حين جعله قائدًا على شخصٍ جديد.

- أنت تعلم أنه أراد رؤيتك ليحذرك أنت بسبب مشكلاتك القديمة، فقط انس الأمر، عش حياتك بطبيعيةٍ هوشيار، أنت تعلم، فتاةٌ جديدةٌ قد تكون تميمةً حظًا لشخصٍ عاش طويلًا هنا.

التفت نحوه باستغراب، تميمةً حظًا؟

ابتسم بخفة، ربما كان يفهم ما يعنيه فراس، ربما كان الأكبر يقصد نفسه

وحسب!

5

لم تره في صباح اليوم التالي، ومرت مدةً من الوقت حتى صارت الساعة الحادية عشرة والنصف صباحًا، جلوسها لوحدها في غرفتها سبب لها التوتر مما جعلها تقرر أنها لن تنتظر قدومه أكثر، وضعت القلادة في عنقها وخرجت من غرفتها، المبنى الصغير كان فارغًا تمامًا، ولكن في الصالة الكبيرة كان هناك بعض المراهقين يلعبون، استطاعت من مكانها البعيد أن تميز الشطرنج وتركيب القطع وبعض الألعاب الأخرى، ولكنها لم تكن تريد أن تلعب، أرادت أن تستكشف المكان.

حين خرجت للحديقة الكبيرة عرفت أن مهمة استكشافها ليست سهلة، لفت انتباهها سلمٌ على جانب المبنى الخشبي يوصل إلى السطح، وعلى الفور كانت هذه فرصتها لترى الحديقة بأكملها، كانت هناك مساحات كبيرة من العشب والأزهار والأشجار يفصل بينها ممرات حجرية، وكان من الواضح الالتزام المطلق من الجميع بالمشي في المكان المخصص، وانتهت أيضًا أن هناك بعض الأشخاص يرتدون ملابس مقيمي الميتم يعتنون بالحديقة وينظفونها وينسقون الأشجار.

لم تستطع رؤية ما خلف الجدار الذي يحيط المكان، ولكنها وجدت المبنى الكبير كالقلعة الضخمة التي تمنى أن تستكشف أساريرها، بطريقة ما صعودها للأعلى أشعرها بالكآبة مما دفعها لتنزل بسرعة قبل أن يراها أحدهم، فهي في يومها الأول ولا تعلم إن كان ذلك ممنوعًا.

الجميع كان يرتدي تلك القمصان البيضاء مع خطٍ ملونٍ على الجانب، والجميع أيضًا كان يبقي قلاذته ظاهرة، من مكانها البعيد استطاعت أن ترى الأحجار الكريمة تلمع في أعناقهم، لم ترتدِ الملابس الموحدة ولكنها أبقت تلك القلادة الزرقاء في عنقها مثلهم.

أرادت أن تدخل المبنى الرئيسي ولكنها شعرت بشيء يصرخ من جدران هذا المكان يقول لها ”القواعد هي القواعد“، وقاعدة صغيرة مثل الانتظار لفترة قبل الدخول لمكان إقامتها الكبير لم تكن شيئاً مهماً كثيراً لتحاول تجاوزه. ستعيش في هذا المبنى خمس سنوات كافية لتحفظ كل تفاصيله.

من المبنى الخشبي ومروراً بكل أقسام الحديقة التي يتاح لها المشي بها، فقد استطاعت أن تأخذ نظرة عامة لكل زوايا المبنى الكبير ذي اللون الأبيض، ابتعدت عنه نحو البوابة الكبيرة للسور، اقتربت من الباب ودفعته بيدها ليفتح، لم تفكر في الخروج لوسط الطريق الطويل المليء بالسيارات، لذا أعادت إغلاقه وتوجهت لكوخٍ خشبي صغير على الجانب الأيسر لباب الدخول ولكنها لم تجد حوله أي شيء من الحياة، وقررت أن تعود إلى غرفتها بانتظار رؤية هوشيار. قبل أن تخطو مبتعدة عن البوابة أتاها صوته من الورا، التفتت نحوه لتجده ينظر إليها بحاجبين معقودين ويسأل:

- ماذا تفعلين؟

- أتجول، هل كنت في الخارج.

قالتها حين لاحظت الحقيبة الصغيرة على كتفه وباب السور الذي يُغلق تلقائياً يتحرك لتسأل مجدداً:

- هل يمكننا الخروج بشكلٍ عادي؟

- للجامعات والمدارس وحسب، ولدينا بضع ساعات استكشافية في المدينة بين فترةٍ وأخرى.

- نحن في آخر الصيف، لا يوجد مدارس.

قالت بتردد ليحرك رأسه نفيًا ويجب:

- ستبدأ المدارس قريباً، ولكن كان لدي اختبار قبول في الجامعة.

- حقاً؟ كيف كان أداؤك؟ كنت مشغولاً البارحة معي تماماً!

قالت كلماتها بسرعة ليتحول عبوسه لابتسامةٍ صغيرة رأتها لأول مرة قبل أن يجلس على العشب بتعب ويسند ظهره إلى الكوخ الخشبي وهو يرد:

- كانت الأمور بخير، مهما كنت مشغولاً البارحة فقد أعددت نفسي لهذا اليوم جيداً بالفعل.

ترددت للحظات قبل أن تجلس بجانبه، خشيت أن ينزعج ولكنه تجاهلها تمامًا وهدق إلى السماء بشرود، الصمت ساد بينهما لفترةٍ طويلة قبل أن يقول أخيرًا:

- هذه المدينة، مدينة أحلام الشباب، فرص العمل هنا مثالية.
- أنتَ محق، لطالما أردتُ القدوم إلى هنا، لم أعرف أن هذا سيحصل.
- التفت نحوها لثوانٍ يراقب تعبيراتها الحزينة التي ذكّرت أنها فقدت عائلتها من فترةٍ قصيرةٍ ثم أشاح بنظره عنها يراقب السماء مجددًا ويهمس:
 - لا أحد يستطيع توقع أي شيء!
 - إذًا، ما الذي تريد أن تدرسه؟
- تساءلت وهي تنظر نحوه وقد عرف أنها أرادت نزع الجو الكئيب من المحادثة، مما دفعه ليبتسم بخفةٍ ويجيب:
 - علم الفلك.
- نبرته الجامدة تحولت إلى مسالمة فجأة، ربما تكون هاتان الكلمتان إجابة عن تساؤلها حول تحديقه إلى السماء، أليس هذا ما يفعله محبو علم الفلك؟
 - إن استمررتِ بلوم نفسكِ فلا يوجد شيء سيغير.
- قالها دون مقدمات وهو ينظر إلى عينيها مباشرةً لتلتفت له بترددٍ وتجيب:
 - أنتَ لا يمكنك أن تفهم هذا.
 - فقط لا تواصلني التفكير.
- همس بها ثم نهض من مكانه وهو ينفض الغبار عن ملابسه ويضيف بنبرته المعتادة:
 - علينا الذهاب الآن لأرشدك لقاءة طعام مبني التأهيل ولأخبر قائدي بعودتي.
 - قائدك؟ تعني... المسؤول عنك؟ شاب السادسة والعشرين عامًا؟
- أومأ لها وصمت للحظات قبل أن يقول بتردد:
 - اسمه هو فراس، ستميزينه بسهولة حين ترينه، فهو يملك شعرًا أسود طويلًا، إن التقيت به فقط حاولي عدم الاختلاط به.
- لم؟

لم يجبها وإنما مد يده لها لتمسكها وتقف، عدل حقيبته الصغيرة على كتفه وسار أمامها وهو يقول متجاهلاً سؤالها:

- لدي بعض المشكلات هنا، قد يبدو بعضهم غير متآلف معك لمجرد أنني قائدك، آسف حقاً، إن حصل هذا أخبريني وحسب.

- ما سبب مشكلاتك؟

- إنها فقط مشكلات عادية، تعلمين، من الصعب أن يفهم أي أحد هذا النمط الجديد من الحياة بهذه السرعة، وجود قوانين محددة، مسؤولين عنا، مبنين منفصلين، أشخاص أنتِ ملزمة بإخبارهم كل شيء، ونظام نقاط معقد، فقط من الصعب لأي شخص أن يفهم كل هذا بسهولة وستحصل المشكلات بين الأشخاص بسبب حياتهم الطويلة مع بعضهم!

- نظام النقاط؟!

قالت باستغراب ليتوقف مكانه ويرد:

- سنتحدث حين عودتي؛ عليّ رؤية فراس.

مشى نحو المبنى الأبيض ودخل من الباب وهو يدس يديه في جيبي سرواله متجاهلاً الأشخاص الذين يقفون قرب الباب، بقيت تراقبه حتى اختفى عن نظرها ثم تراجعت لتقف تحت ظل شجرة قريبة، بينما دخل للبناء وأخذ المصعد ناحية الطابق السادس.

طرق باب الغرفة 561 وانتظر للحظات قبل أن يفتحه ويدخل، في الداخل كان فراس يمدد قدميه على حافة نافذته، يتأمل بالخارج بأعين ناعسة وبين أصابعه يحتضن سيجارةً يتطاير دخانها للخارج، شعره الأسود كان متناثرًا على كتفيه حتى ظهره، حدق إليه للحظات قبل أن يقول:

- أتيتُ لأخبرك بعودتي.

- كيف كان اختبار القبول خاصتك؟

- جيد.

- هل سألوكَ عن تلك النجوم التي تركتَ حياتك كلها لأجل أن تتأمل بها؟

- لا تخف، هم يعرفون أن التأمل بالنجوم مهمٌ جدًّا في مجالنا، على الأقل مفيدٌ أكثر من تأملك بالحائط طوال اليوم، ستتعبن إن بقيتَ هكذا فراس.

نظرات عينيه الحادة كانت مصوبةً تجاه عيني فراس مباشرةً لينظر إليه الآخر بسخريةٍ ويجيب:

- هل أنت تهتم بي الآن؟

- أنا أهتم بك دومًا، ولكن إن لم تكن تريد فلن أفعل، يمكنك أن تموت وحسب، لن يصنع الأمر فرقًا.

استدار ووضع يده على مقبض الباب ليستوقفه فراس بقوله:

- لو متُّ حقًا، هل ستكون حزينًا؟

توقف مكانه للحظات معطيًا إياه ظهره، ابتلع ريقه بتوتر ولم يعرف ما الذي عليه أن يقوله قبل أن يتحدث بتردد حاول إخفائه خلف نبرة صوته الساخرة والقاتلة:

- لم تقول هذا الآن؟

- ربما أفكر بالانتحار يومًا ما، ربما قريبًا...

عيناه اتسعتا، إجابةً لم يتوقعها، لسبب ما اختفى هدوؤه وتصاعد انفعاله لينظر إليه بحدة قائلًا:

- ستكون حينها أسوأً وغد بالعالم.

- ستظل قاسيًا دومًا هوشيار، لسانك أصبح سليطًا للغاية أيضًا!

- ما دمتَ تقول هذه الترهات فسأظل أعاملُك بنفس الطريقة.

- أريدك مساءً، تعال إلي.

قالها فراس متجاهلاً شتائم هوشيار ليتنهد الآخر ويجيب:

- لمَ عليّ أن أستمع لشخصٍ مزعجٍ مثلك؟

تحدث بقسوةٍ مجددًا وفتح الباب ليغادر ليلحقه جواب فراس الذي زاد من عصبيته:

- لأن شخصًا مزعجًا مثلي قادرٌ على خصم نقاطك، لذا تعال إليّ إن لم ترد أن أفعل ذلك.

صفع الباب بقوةٍ وغادر دون أن يعطيه ردًا، بدوره فراس تابع التدخين بلا مبالاة وهو يهمس بسخرية:

- أنتَ حقًا لا تُطاق هذه الفترة!

6

قضايا بعض الوقت على سطح المبنى الخشبي، لم تخبره بأنها سعدت، فقط سألتها إن كانت تخشى الأماكن المرتفعة ونفت ذلك، لم يتحدث الكثير، أخبرها بأن تأخذ الأمور ببساطة وقررت أن تفعل، على الرغم من المحادثة الهادئة لكن مزاجه المعكر كان واضحاً لها، ولم تتجرأ أن تسأله ما الذي غيره في دقائق، ثم أوصلها إلى غرفتها وغادر وهو يخبرها بأنه سيرشدها لقاعة الطعام وقت الغداء، وذهب لأداء مهامه.

في مدينة لوكيد يتم تدريب الجميع على الأمور العملية والإبداعية، حين ينتهي أي شخص من دراسته سيحصل على وظيفة، عليه أن يفهم معنى العمل، عليه أن يكون مسؤولاً.

أفضل طريقة لتعليم الأطفال المسؤولية هو تكليفهم بمهمة يقومون بها ولا يتولاها غيرهم، هكذا كانت الأمور في الكمس، كل شخص كان مسؤولاً عن مهمة معينة يطلق عليها الخدمة الاجتماعية.

كان برأسه الكثير من الأفكار ولم يكن بوسعه سوى أن يبدل ملابسه ويتجه لأداء خدمته الاجتماعية، ارتدى سروالاً داكناً مع القميص الموحد الذي يرتديه الجميع وتوجه للمطبخ حيث تنقضي مهمته بإعداد بعض المكونات للطعام، قابله المسؤول عنه بنظرة رسمت الانزعاج على وجهه الأربعيني وقال:

- هل ظننت أنني لن أخصم من نقاطك بعد تغيبك ليومين؟
- صباح الخير سيد غوندوز، كان لدي اختبار قبول في الجامعة وجعلوني مسؤولاً عن فتاة صغيرة.

- كيف كان الاختبار؟ وماذا عن الفتاة الصغيرة؟

سأله بابتسامة صغيرة وقد تلاشى انزعاجه السابق في ثوانٍ ليتنهد هوشيار طويلًا ويرد:

- الاختبار جيد، والفتاة أيضًا، أنا فقط متوترٌ قليلًا!

- ستكون الأمور بخير، لا تخف.

أومأ له بشروء ليشد بيده على كتفه بخفة ثم يتركه ويرحل، حذق إليه للحظات قبل أن يزفر بضيق ويعود لعمله غارقًا بأفكاره، شيءٌ ما يسبب له انزعاجًا كبيرًا بعد هذا الصباح، كلمات فراس كانت تدور في رأسه بلا توقف. في كثيرٍ من المرات كان يخبر السيد غوندوز عن فراس ومشكلاته مع الآخرين، لأنه يجده الشخص اللطيف الوحيد بالمكان والذي يتعامل بأريحية مع الآخرين، هو لم يكن من أبناء ألكمس الذين يعيشون تفاصيل حياتهم بقوانين صارمة، كان مجرد رجلٍ لطيف جاء ليستلم الأمور في المطبخ منذ ثلاث سنوات، وكان على هوشيار أن يشهد أن حياته أصبحت أسهل في السنوات الثلاث الأخيرة، لأن العمل تحت إمرة رجل لين الطبع كان شيئًا جيدًا بالنسبة إليه.

لم يكن يحب الحياة هنا، سنتان باقيتان على سجنه ويتمنى لو تنتهيان بسرعة، حين يغادر من هنا سينسى كل شيء في هذا المكان، سيترك هذه الفتاة لتعتني بنفسها، سينسى (فراس) أيضًا على الرغم من أنه كان معه منذ عشر سنوات، سينساه وكأنه لم يكن موجودًا، شعر بقلبه ينقبض بشدة لحظة فكر بهذا، كانت هذه رغبته ولكن ذلك الانقباض الحاد في صدره كان يسبب له الألم الشديد، الانسلاخ عن المكان الذي أتيت منه صعبٌ للغاية حتى وإن كنتَ تكرهه كثيرًا، وبوجود شخص تحبه فيه يبدو الأمر صعبًا كثيرًا. هو يفكر في الأمر قبل سنتين، وكل ذلك الوجد الذي يحتل قلبه لمجرد التفكير في نسيان فراس، فما بالك بموته!

كل الأفكار برأسه تدور وتعود لنفس النقطة، كلمات فراس ترن في عقله «ربما أفكر في الانتحار يومًا ما، ربما قريبًا...».

الأداة ذات المقبض البلاستيكي والحواف الحادة التي يمسكها بيده كانت تساعد على قطع الخضراوات، ولكنه شعر بها خلال ثانية تغرز في يده ليصيح بألم ويفلتها بعيدًا بينما يمسك بيده بقوة والدم يتدفق منها بغزارة

ليلوث الرخام الأبيض، اجتمع بعض الشبان عليه بسبب الضجيج الذي صنعه ووجد السيد غوندوز يقترب منه بسرعة، علامات الخوف ارتسمت على وجهه وهو ينزع الوشاح القماشي عن عنقه ليلفه حول يد الشاب المصابة ويطلب منه الهدوء لأن السكين التي أدخلها بيده بسبب شروده كانت حادة جدًا والجرح كان عميقًا للغاية.

- أفسحوا المجال لنصل إلى القسم الطبي.

صوت غوندوز في أذنه، ولكنه لم يعد يسمع كثيرًا، كل ما كان مركزًا عليه الألم الحارق في يده، الخوف الكبير في قلبه الذي يخبره بأنه كان سيخسر أصابعه كلها لو تحركت السكين الحادة سنتيمترًا واحدًا.

لم يستجب لتحركات غوندوز وهو يساعده على الوقوف إلا بحركاتٍ لا إرادية، ولكن الشمس الحارقة ضربت بعينه بعد أن خرج من المطبخ إلى البهو الرئيسي ليستعيد القليل من وعيه وحاول المشي بسوية نحو المكتب الطبي، في الداخل قابلته الضجة المعتادة هناك ووجد مجموعة من الأطفال على الأسرة بينما يعمل الممرضون بسرعة كبيرة، السيد غوندوز قاده لسرير فارغ وساعده على الجلوس ثم حاول مسح الدماء بالقماش الموجود على الطاولة القريبة منه، بينما نادى أحد الأطباء ليقطب الجرح وياشر الأخير عمله على الفور.

- هل أنت بخير؟

كان يشعر بألم الإبرة يختلط مع الحرق الذي خلفه المعقم عند وضعه على الجرح، رفع نظره للسيد غوندوز الذي كان يقف بجانبه ويده على كتفه ليومئ له ويرد:

- شكرًا لك، وآسف!

- كدتُ أموت خوفًا، كم مرة أخبرتكم بأن تكونوا حذرين مع الأدوات الحادة!

- آسف.

كررها وهو يخفض بصره أرضًا يراقب الطبيب وهو يحاول إيقاف الدماء المتدفقة من الجرح العميق حتى لا تعوقه وهو يعمل، استغرق الأمر وقتًا

طويلاً قبل أن يحيط يده بالقماشة الطبية البيضاء ويقول وهو يحدق إلى بعض الأوراق بين يديه:

- لن تستطيع استعمالها لفترة من الوقت، فقد حصلت على أكثر من ست غرز، عليك أن تتغذى جيداً هذا اليوم حتى تعوض كل هذه الدماء التي فقدتها.

حرك رأسه إيجاباً وشكره السيد غوندوز لينصرف لعمله، أعاد نظره إلى الشاب الذي يحدق إلى يده بعينين مرتجفتين، كان قد رأى الطبيب وهو يقطب الجرح ويدرك كم كان قريباً من أصابعه ليجلس مقابله ويسأل:

- هل أنت خائف؟

لم يجبه هوشيار ليتنهد بخفة ويقول:

- لا بأس، انظر، أنت بخير! سأحدث مع فراس ليجلب لك الطعام وملابس جديدة.

أراد أن يطلب منه أن يخبر أي شخص باستثناء فراس، ولكنه كان يعلم القواعد وأن السيد غوندوز لن يخالفها بهذه السهولة، حرك رأسه برتابة غير قادر على قول المزيد من الاعتراضات، فملابسه كانت متسخة بالدماء تماماً ليبتسم السيد غوندوز له ويغادر بينما استلقى على السرير دون أن يقول كلمة.

لم يكن من عادته عدم التركيز، ولكن الاضطراب والتوتر يقتلانه في الأيام الأخيرة، كانا يومين طويلين جداً وقد كان واثقاً أن نصف شروده جاء من الأرق الذي لازمه في الليلة الفائتة، أغمض عينيه محاولاً طرد كل الأفكار من رأسه وقرر أن يسمح للنوم بأخذه بعيداً عن كل هذه الأفكار.

شعر بالألم الحارق في يده يضرب حتى رأسه، لم يفتح عينيه، لكن بطريقةٍ ما أحس أنه عاري الصدر وأن ملاءة سرير القسم الطبي تغطي جسده، كان عليه أن يدرك أن أحدهم ساعده على التخلص من قميصه المتسخ ولكنه لم يساعده على ارتداء واحد آخر، ربما حتى لا يوقظه.

فتح عينيه ليجد (فراس) جالساً على الكرسي بجانب سريريه، يحمل كتاباً بيده ويقرأه باهتمام، لاحظ بعض الملابس على الطاولة بجانبه ليعتدل جالساً في سريريه بعد أن اعتمد على يده السليمة، حدق إلى الشاب المقابل له ووجد أنه لم يبدي ردة فعل كما لو أنه لم يشعر به، ولكن توقعاته خابت حين أغلق الكتاب الذي بيده ورفع عينيه الناعستين نحوه، أخفض بصره إلى الأسفل هرباً من النظرات الحادة للشاب المسؤول عنه، تمنى لو أنه فعلاً لم ينتبه له، ولكنه فقط أراد أن ينهي الصفحة التي كان يقرأها حتى يتحدث بأريحية.

- بمَ كان ذهنك مشغولاً؟

- لا شيء.

همس بها بصوتٍ خافت وحاول التحرك ليلتقط القميص النظيف الذي وضعه فراس على الطاولة ليوقفه بصوته الأمر:

- انظر إليّ وأنا أتحدث معك.

انصاع له سريعاً وكأنه ليس الشخص المتمرد نفسه، الذي كان يخبره بأن يذهب إلى الجحيم في الصباح. نظر إليه بتردد ليجد (فراس) يحدجه بنظراته الغاضبة، أربكته تلك النظرة لوهلة قبل أن يأخذ نفساً طويلاً ويقول:

- توقف عن التحديق إليّ، كان حادثاً.

- أعرفك منذ عشر سنوات ولم يحصل معك أي حادث، كنتَ دومًا مركزًا على عملك بشكلٍ مزعج، هل تخبرني بأن هوشيار نفسه تعرض لحادث في ذلك العمل الذي يتطلب أدواتٍ حادة؟

- كُنْتُ فقط...

أراد أن يتابع بقوله إنه كان مشغول الذهن وحسب، ولكن هذا سيعيده للسؤال الأول الذي كان يتهرب منه، ابتلع ريقه بتوتر وحاول الهرب من الموقف الذي وُضِع فيه قسرًا، تنهد قبل أن يعود مستلقيًا بجسده على السرير ويتابع:

- كان ذهني مشتتًا بين الكثير من الأشياء ولم أضع التركيز الكافي بالعمل، السيد غوندوز طلب مني أن أرتاح لأيام.

- وهذا ما ستفعله، ستبقى ضمن المبنى الرئيسي لثلاثة أيام، إن تحركت من هنا صدقني سأخضم كل نقطة أستطيع التعامل معها من نقاطك!

- لا يمكنني ذلك فراس، الفتاة الجديدة!

- لا تهمني الفتاة الجديدة، أنا لستُ مسؤولًا عنها، بل عنك، أنتَ مشتتٌ بسببها أصلًا! ثلاثة أيام ستكون كافية لتعيد تصفية ذهنك، لذا ستبقى هنا رغمًا عنك.

- فراس...

همس بها بتذمر وهو يغطي وجهه بيده ليزفر الأخير ويرد:

- سأخبرها بأنك مريض، وافعل كما أمرتك حتى لا أزعجك بقرارٍ آخر!

ابتلع ريقه بتوتر، فهو يعرف قرارات فراس التعسفية حين يكون غاضبًا، أمسك غطاء السرير ليرميهِ فوق وجهه كطفل حتى لا يستطيع الأخير رؤية ملامحه المنزعجة، تنهد ناهضًا من مكانه وتابع:

- أعلم أنك أخبرتها بأن تبقى بعيدةً عني، ولكن لا تخف، لستُ سيئًا إلى هذا الحد.

- هل تريد أن أذكرك بسبب بقائك لسنواتٍ إضافية هنا؟

- من الأفضل أن تنشغل بإخبار نفسك بأشياء تعيد تركيزك.

تمتم بها بشزر وهو يغادر المكان ليتنهد هوشيار بنفاد صبر، كل ما كان يريده أن تبقى الفتاة الجديدة بعيدًا عن فراس ومشكلاته أو مشكلاتهما، وما هو يرى بوضوح أن هناك محادثة ستنشأ بينهما بعد فترةٍ قصيرة بسببه هو.

”عليه فقط أن يكون مؤدبًا ولطيفًا وستكون الأمور بخير.“

همس محاولًا إقناع نفسه بهذه الفكرة قبل أن ينهض ليرتدي قميصه وينهض ليقف بجانب النافذة وأنظاره متعلقةً نحو الخارج.

8

قضت ساعات طويلة بالمكتبة تقلب بين الكتب الكثيرة المثيرة للاهتمام بتصميمها المتطور وهي مصطفة على الرفوف.

كل أنواع الكتب كانت موجودة تقريبًا، وأخذ منها الأمر وقتًا طويلًا لترى أسماء بعض الأشياء، أرادت بشغف أن تعرف كيف تبدو الأمور في ذلك المبنى الكبير الممنوع عنها، كان عليها أن تنتظر كثيرًا حتى يسمح لها بالدخول، لكنها حدثت نفسها بأن كل الأمور ستأتي بوقتها.

استغرقت ساعات بالمكتبة قبل أن تقرر العودة لغرفتها، ساعات أخرى قد مرت ولم يظهر هوشيار، شعرت بالجوع ولم يكن قد أرشدها لمكان جلب الطعام بعد، لذا كان عليها أن تنتظر للمزيد من الوقت. دقت عقارب الساعة تسع مرات وقد أخلف المسؤول عنها وعده، راقبت السماء من النافذة وغرقت في أفكارها التي جرها الفراغ نحوها، جارتهم في البناء كانت تحبها جدًا، وصديقاتها في المدرسة كنَّ سيقفنَ بجانبها بالتأكيد لتواجه أزمته، على الأقل بطريقة أفضل من طريقة هوشيار، تساءلت إن كان عمها الأكبر الذي يعمل محاميًا يبحث عن طريقة لإعادتها إلى مينوري أم أنه سيستسلم للأمر وحسب لأجل هراء الاتفاقات الدولية.

لم تفكر في هذه الأشياء من قبل، كانت منشغلة بالخروج من صدمة موت والديها الحديثة واختناقهما في نفس الحريق الذي نجت منه، وبعدها التأقلم مع حقيقة أنها في هذا المكان وكلمات مرافقها التي كانت غريبة ومشتتة جعلتها تنسى الكثير من الأمور، ألا يسأل بقية أفراد العائلة عن جثث ذويهم؟ في أعماق نفسها كان السؤال يطرق قعر جمجمتها «ألا يشعر هوشيار بالوحدة وقد مكث هنا أكثر من عشر سنوات؟»

ربما ظهر لها في البداية كشابٍ صامتٍ وغامضٍ لا يقول إلا القليل من الأشياء دون ذكر التفاصيل ويتغاضى عن مشاعره، أو على الأقل لا يلقى تركيزًا كبيرًا عليها خلال أي محادثةٍ يصنعها، لكنها عرفت العديد من الأمور التي ذكرها دون أن ينتبه لذلك، نظرات عينيه الجادتين تحكي الكثير حتى وإن لم يدرك هو ذلك، على الأقل يمكنها أن تحزر أنه لا يعيش حياته بسعادة! قال إنه تحرر من ظل فراس من فترةٍ قصيرةٍ وأمرها بوضوح ألا تقترب منه، أليست هذه كلمات شخصٍ يشعر بالوحدة؟ شخص لا يملك أحدًا يجعله يشعر أن هناك القليل من الأمور الجميلة في العالم، وأن وجود كتفٍ تستند إليها يجعلك غير مهتمٍّ لأي شيء حتى وإن كان العالم نفسه ما يدفعك للسقوط.

لو سألته عما في قلبه الآن سيخبرها بأنه لا يشعر بالوحدة، هو لا يملك ما يخسره، وربما سبب عدم شعوره بذلك أنه لم يملك ما يخسره يومًا، لا يمكن لأحدٍ أن يشعر بالوحدة إن لم يكن يفتقد شيئًا ما، وقد أخبرها بأنه لا يفتقد أي شيء سوى المستقبل الذي ينتظره، أو على الأقل ألمح لذلك.

كان من الصعب كثيرًا فهم هوشيار، لا يمكنك أن تفهم كيف يفكر شخصٌ ما بينما لم تعش شعورًا مشابهًا له، بالنسبة إليها، لم تشعر بالوحدة يومًا؛ كانت مقربةً جدًا من أمها، وصديقةً لوالدها، تملك أصدقاء في مدرستها ونشاطاتها الأخرى، وعمها ذو الثلاثين عامًا كان أهم شخص في حياتها.

شعرت بالحرقة في صدرها لتذكرها هذه الأشياء، ابتلعت الغصة التي تشكلت في حلقها وهي تفكر في رحيل والديها وتخلفها عن دراستها، ورغبتها العارمة في رؤية عمها، الشخص الوحيد الذي سيحتضنها ويستمتع لبقائها وشكواها.

أكثر ما أربكها في اليومين الماضيين هي نبرة هوشيار الغامضة في التحدث عن المكان أو قوانينه أو الأشخاص فيه، كل ذلك جعلها متوترة وتتعامل مع الأمر بحذر وكأنها في ساحة معركة أكثر من كونه منزلها الجديد.

كانت طفلةً مدللة، هي تعلم ذلك، ولكنها على الأقل كانت ذكية بما يكفي لتفهم التلميحات وتكثر لتعابير الوجوه، لم تكن تسأل كثيرًا، ولكنها كانت تعلم أكثر مما يُقال لها أيضًا، لا أحد يعلم إن كان ذلك أمرًا جيدًا أم لا، ولكن في الفترة الحالية إن كانت الشخص الذي يمثل الجهل قد يغدو أمرًا مفيدًا

بالحصول على المزيد من المعلومات حتى وإن كان ذلك صعبًا، ما دام الشاب الوحيد الذي تتحدث معه لا يقول الكثير، ويقتطع معظم الجمل من نصفها، ويخبرها بالأكثر الأسئلة ويتذمر من أي تعليقٍ تقوله.

طرقاً عديدةً على الباب قاطعت الصمت في الغرفة والشروذ العميق الذي غرقت فيه، التفتت نحو الباب الذي فُتح دون أن ينتظر الطارق إذنها وتوقعت رؤية وجه هوشيار، ولكن توقعاتها سقطت أرضاً على الفور.

- عشاؤك.

لم يكن ذاك الصوت الذي سمعته صوته، واليدان اللتان تحملان أطباق الطعام لم تكونا يديه حتمًا، هذا جعلها تفقد فكرة الجوع وترفع نظرها لتري من الشخص الثاني الذي ستحظى على فرصة التحدث معه، وجدت أمامها شابًا طويل القامة بجسدٍ نحيلٍ ثابت، نهضت بتردد لتأخذ طبق الطعام من يده، وخلال أجزاء من الثانية شعرت أنها قصيرةٌ للغاية أمامه قبل أن تدقق في ملامحه بتردد لتلاحظ شعره الناعم الطويل الذي يجمعه بربطية صغيرة ويجعل تلك الخصلات السوداء تتمرّد على كتفه دون أن يلقي بالألملمتها، وكنزته التي كانت مختلفة عن ملابس هوشيار المعتادة.

توقعت أن يكون أحد العاملين في هذا المكان، ولكنه سحب كرسي مكتبها وجلس عليه دون أن يستأذن منها وقال ببرود:

- هوشيار مريض.

كلمته تلك جعلتها تدرك من هذا الشخص، شعرٌ طويل وأعين ناعسة، لقد أخبرها هوشيار عنه بالفعل وطلب منها ألا تقترب منه، ابتلعت ريقها بتوتر وقالت:

- هل أنت فراس؟

- أجل، هل حدثك عني؟

حركت رأسها إيجابًا وهي تنظر إليه مباشرةً كمحاولة لمعرفة ما يفكر به أو سبب جلوسه هنا، لم يقل أي كلمة لتتابع:

- لقد كان بخير صباحًا، ما الذي حصل له؟

- تعرض لإصابة في أثناء عمله.

- أي إصابة؟

- هل أنت قلقة؟

تساءل بسخرية لأن نبرتها كانت هادئة جداً، بالتأكيد كانت قلقة، الجميع سيشعر بالقلق حين يعلم بإصابة شخص يعرفه.

نبرتها كانت هادئة، لكنها لم تشعر باللهفة المعتادة تجاه سؤالها عن شخص تحبه، في الأساس هي لم تعرفه سوى منذ يومين وحسب ولا تظن أنه مهمٌ جداً لها. كان هدوؤها بالكلام نابغاً من حذرهما لجلوسه المفاجئ، لم تكن من النوع الذي يثق بالأشخاص بسهولة، وإن أرادت أن تثق بهوشيار على الأقل فقد حذرهما بشكلٍ مباشر بقوله ألا تتحدث مع فراس أبداً.

- ما طبيعة عمله؟ وما نوع الإصابة؟

- لقد آذى يده واحتاج إلى أن يمكث في القسم الطبي طوال النهار لفقدانه الكثير من الدماء، ولكن لأكون صادقاً فقد منعه من مغادرة المبنى الرئيسي لثلاثة أيام، لذا لن يكون قادراً على رؤيتك.

رفعت حاجبيها باستنكار من نبرته الساخرة وسألت:

- لم تأمره بشيء كهذا؟!

- هذا الأمر بيننا وحسب، وحسب نظام النقاط فهو ملزمٌ بإطاعة أوامري.
- آسفة، لكنني لم أعلم ما هو نظام النقاط بعد.

ردت عليه وهي تستند بجسدها إلى الجدار بجانب سريرها وتعدد ذراعيها أمام صدرها، لم ترد حتى أن تجلس مقابلة له حتى لا يشعر أنه مرحبٌ به ولو قليلاً، ابتسم بخفة متجاهلاً ما فعلته على الرغم من أن تعابير وجهه أثبتت أنه انتبه للمغزى من حركتها، وضع يده على طبق الطعام الموضوع على الطاولة وقربه للأمام قليلاً وهو يقول:

- هل تريدان تناول طعامكِ ريثما أحدثكِ عنه؟

- هوشيار يمكنه أن يفعل.

- هل قال لك شيئاً عني جعلكِ تعاملينني بهذه الطريقة أم أنكِ تعاملين الجميع هكذا؟

أرادت أن تقول له «حذرني منك»، ولكنها لم ترد أن تتسبب بالمشكلات لهوشيار، مررت يدها في خصلات شعرها لثوانٍ محاولةً إيجاد كذبة مقنعة سريعة قبل أن تنظر إليه وتقول:

- أخبرني بأن كل شخص مسؤول عن شخصٍ آخر، وبما أنه المسؤول عني فأنا أريد سماع كل شيء منه.

- ولكنني الشخص المسؤول عنه، لذا سيكون من اللطيف أن أخبرك ببعض الأمور أيضًا.

لم تكن نبرته لطيفة، كانت هادئة وخافتة ومخيفة، كانت تشعر أنه يحاول فعل أي شيء ليضعها في الزاوية ويلزمها بالاستماع له، حتى وإن أرادت أن تعلم ولا تستمع لهوشيار كثيرًا، ولكنه كان يزعجها بطريقة ما.

- لكنني لم أسمع أي شيء عن هذا النوع من التسلسل.

ارتفعت زاوية شفته بابتسامة جانبية ورفع قدمًا ليضعها فوق الأخرى، نقر بأصابعه على الطاولة بحركاتٍ رتيبة لافتًا انتباهها نحوه وأجاب:

- ببساطة، لا يوجد هذا النوع من العلاقات، ولكن ضمن الكمس عليك دومًا أن تكوني ذكية لتحصلي على الأشياء التي تريدينها، لذا يمكننا أن نصنع هذه السلسلة من الأوامر باستخدام سلطة القائد على المقيم الذي هو نفسه قائدٌ أيضًا.

ضيقحت حاجبيها نحوه بعدم فهم ليتابع شارحًا:

- كل شخص هنا يُعد مقيمًا، وحين يجعلونه مسؤولًا عن شخصٍ آخر يُسمى قائدًا له، إن أردتُ أن أحصل على شيءٍ منكٍ يمكنني ببساطة أن ألزم هوشيار بأخذه منكٍ عن طريق تهديده بخصم نقاطه، وليحافظ على نقاطه فهو سيهددك نفس التهديد بالمقابل حتى تمنحيني ما أريد، لذا إن أردنا أن نجعل هذه السلسلة موجودة فيمكننا ذلك ببساطة لأن الجميع خائفٌ على نقاطه أيتها الفتاة الجديدة.

ابتلعت ريقها بتوتر من كلماته، لقد أوضح لها هوشيار بعض الأشياء التي لم تعرفها مطلقًا، بينما قال فراس بعض الأشياء التي كان يمكنها أن تستنتجها ببعض التفكير، إلا أنه سبب شعورًا مقلقًا وقاسيًا بطريقة. تنهدت

بخفة محاولة إخفاء أفكارها وتحركت لتجلس على السرير حتى نظرت إليه وقالت:

- ألا يجب أن تكون علاقة القائد مع المقيم قوية؟ استعمالها بهذه الطريقة يبدو استغلالاً، هل النقاط مهمة لهذا الحد حتى تضحي بالكثير من الثقة لأجل أن تلزم المرؤوس بتنفيذ أوامر قائدك؟
- أنت محقة، النقاط مهمة جداً، لذلك من الصعب الثقة بأحد!
- أخبرني بذلك.

قالتها أخيراً ليمسك بيده طبق الطعام ويمده نحوها، ولأنها كانت تتضور جوعاً فقد التقطته منه واعتدلت بجلستها على سريرها لتستطيع الأكل، وضعت أول لقمة في فمها بينما بدأ فراس يحدثها عن نظام النقاط، وعلى الرغم من لهفتها لمعرفة من البارحة حتى اليوم، فإنه لم يكن لطيفاً حين سمعته منه، كان عليها أن تعترف أنه يخيفها.

- عندما تدخلين المكان تحصلين على ستة آلاف نقطة، تزداد وتنقص وفق الحياة التي تعيشينها هنا، إن خرجت من هنا بعشرة آلاف نقطة هذا سيجعلك ملكة في الخارج، أنا أعنيها...
- عشرة آلاف نقطة؟

- إن تناولت وجبات طعامك في الوقت المحدد وأكملتها لشهر كامل تحصلين على عشر نقاط، إن انقطعت عن إحدى الوجبات ولو لمرة واحدة فستفوتك النقاط العشر، إن انقطعت أكثر من عشر مرات بالشهر فسيتم خصم عشرين نقطة.
- انتظر، هذا غير عادل!

قالت بسرعة وهي تفلت الملعقة من بين يديها، لم يجيبها، وإنما نظر إليها مباشرة بتلك العينين الناعستين والابتسامة الجانبية الساخرة، حينها كان عليها أن تتذكر: «الحياة غير عادلة في معظم الأحيان»، عيناه كانتا تصرخان بتلك الجملة. مرحباً بك في العالم الحقيقي.

- الاستيقاظ من النوم في السابعة والنصف شيء أساسي هنا، يمكنك عده كنظام حياة، لذا لن تحسلي على نقاط إضافية عند تطبيقه، ولكن

بالتأكيد خصم عشر نقاط عند تأخرِك في النوم لعشرة أيام خلال الشهر يبدو عقابًا جيدًا لمخالفتكِ أنظمة الحياة المتبعة أيضًا.
بطريقة ما كان هذا النمط من الكلام يسبب لها ألمًا في معدتها، لم تستطع أن تأكل أي لقمة بينما تابع:

- إتلاف أي كتاب من المكتبة يُخصم بسببه أربعمئة نقطة، وقبل أن تقولِي إن هذا غير عادل سأخبركِ بأن الكتب هي كنز مدينة لوكيد.
- يمكنني أن أفهم.

تمتد مدعية ذلك على الرغم من أنها كانت تجد الأمر عصيًا على الفهم بأي شكلٍ من الأشكال، ليبتسم آخذًا راحته في الجلوس ويتابع:
- بالطبع، أنتِ ملزمةٌ بالدراسة حين تكونين هنا، فأطفال ألكمس ليسوا فشلة، لذا نظام النقاط المتعلق بالدراسة صعبٌ قليلًا، رسوبكِ لسنة سيجعلكِ تخسرِينَ ألف نقطة.
- ألف نقطة؟!!

كان رقمًا ضخماً بالنسبة إلى شخص لا يملك إلا ستة آلاف نقطة ويعاني جاهدًا لرفعها لعشرة آلاف على الأقل أو حتى الحفاظ عليها كما هي، وجدت نفسها تضع حسابات ذهنية بعقلها عن كم الوقت والالتزام الذي يلزمها حتى تحصل على ألف نقطة ستذهب بأكملها إن قصرت في سنة دراسية.

- أجل، هذا عادل صحيح، إنها سنة كاملة.
- لا، هذا غير عادل، الشخص الذي لم ينجح بدراسته ليس فاشلاً، وإنما لا يملك ذكاءً دراسياً وحسب، يمكن أن يكون جَرفياً أو فنانياً أو كاتباً أو مبدعاً في مجالات معينة دون دراستها.
- هذا ما يفكر فيه الأشخاص السطحيون أمثالك، الحرفي والفنان لا يملكان رأس مال كبير وثابت وغير قادرين على المساهمة في إعمار العالم، هنا يهتمون بدرجاتك وإنجازاتك.
- أنتَ مخطئ.

دافعت بحدة ليبتسم ببلادة ويرد:

- ألا يعرف الصغار شيئاً عن التاريخ؟ عزيزتي، العالم بحاجة إلى أطباء وعلماء ومهندسي طاقة وميكانيك وذكاء صناعي ومختصي برمجة، اللوحات والكتب وهذه السخافات لا تستطيع إعمار العالم.

استفزتها نبرته وابتسامته لتجد نفسها تبتسم بتحدٍ وهي تنظر إلى عينيه مباشرةً وتجيب:

- أرني ذلك هنا، لا أرى في هذا المكان أجهزة ذكية ولا ذكاء صناعي، لا أرى حتى روبوتات طبخ وتنظيف على الرغم من أنها إحدى المسلمات في الحياة، كل ما أراه لوحات وكتب وسخافات لا تستطيع إعمار العالم.

تجمد مكانه للحظات حين قالت كلماتها، ضيق عينيه ناحيتها بتركيز لتشعر بالطعام يتوقف في منتصف حلقتها بخوف، كان مخيفاً حقاً، لم يكن من اللطيف أن ينظر إليك أحدهم بهذه العينين الناعستين الباردتين اللتين تحملان بداخلهما الكثير من التركيز والكلمات والذكريات القديمة المخبأة بين جفنيه، ذابت ابتسامته أمام تحديها له ووجدته يهمس بين صرير أسنانه:

- كان من الخاطئ وضعك مع هوشيار حقاً.

- هو لم يخبرني أي شيء عن نظام النقاط بعد، ولا عن هذه الأشياء، كنت سأقول له نفس الكلمات التي أقولها لك، وأنا مصرةً عليها.

- لذلك أكره الفتيات الذكيات.

لم تجبه، وإنما نظرت إليه بتركيز محاولة فهم شيء من لغة جسده، وجدته يقبص على يده بقوة ويغرس أصابعه في خصلات شعره الطويلة بعنف.

الطريقة التي حدق بها إلى الجدار مقابله بعد أن قال تلك الجملة لم تكن ضمن نطاق فهمها، حين تحدث عن الفتيات الذكيات فهو لم يكن يعنيه، كانت متأكدةً من هذا، كان يتحدث عن شخصٍ آخر، فتاةٍ أخرى ذكية، هي لم تفعل شيئاً سوى أن ذكّرت به، ولهذا تغير مزاجه بشكلٍ غير متوقع! لا يمكنها أن تعرف أكثر من هذا، الشاب الذي يكبرها بأحد عشر عاماً كان بالتأكيد يحمل بداخله الكثير من الذكريات التي لا يسعها أن تحصيها.

أطلق زفيرًا طويلًا وأرعى يده أخيرًا ثم نظر إليها وتابع كأن الأمر لم يحصل مطلقًا:

- هناك أيضًا أشياء يجب على الجميع فعلها، هذا المكان يتسم بالتخلف كما تقولين، لذا كل المقيمين هنا عليهم العمل سواء في الحديقة أو التنظيف أو المساعدة في المطبخ أو غرف غسيل الملابس أو أي مكانٍ آخر، بالطبع أي مكانٍ سترسلين إليه ستجدين شخصًا مسؤولًا عنه هو من سيقمّ جودة عملك وانضباطك من حيث التأخر والإتقان، هذا سيحدد إن كان المسؤول عن عملك سيمنحك نقاطًا إضافية أو يخصم منك بعض النقاط، بالتأكيد النقاط التي يُسمح له بخصمها أكثر من التي يُسمح له بمنحها.

- لم تُعد هذه القاعدة غير العادلة أساسية جدًا؟

سألت بفضول لينقر بأصابعه على الطاولة بينما يجيب بملل:

- لأن نقاطك تحدد حياتك في الخارج، عندما تحصلين على ستة آلاف نقطة عند دخولك فإن إبقاءها معك أمرٌ في غاية الصعوبة، كلما زادت النقاط التي تحصلين عليها أو على الأقل حافظتِ عليها فإن هذا يعني كم أنت مؤهلة لتستحيي حياةً أفضل في مدينة لوكيد، لذلك فإن اكتسابك النقاط ليس أمرًا سهلًا، ولكن خسارتها بسيطة، الحياة هكذا دومًا، كل الأشياء الخاطئة تحصل بسهولة.

- من المسؤولون عن الأعمال؟

- بعض الأشخاص من خارج الدار، والقليلون قد يكونون من المقيمين الأكبر سنًا ذوي التقييمات العالية.

حين قال كلمة الأكبر سنًا كانت تريد أن تسأله ما الشيء الذي جعلوه مسؤولًا عنه بما أنه أكبر شاب هنا، ولكن في لحظة نطقه التقييمات العالية كانت قد عرفت الإجابة لوحدها، لن يكون فراس مسؤولًا عن شيء مطلقًا، لأنه لو كان يملك عددًا كافيًا من النقاط لكان في الخارج، بالطبع هي تتساءل أيضًا عن سبب بقاءه حتى هذه السن ومن هو المسؤول عنه وما العمل المكلف به، ولكنها أيضًا احتفظت بهذه الكلمات ولم تنطق بها خشية أن

ينظر إليها بنفس الطريقة السابقة، ستسأل هوشيار لاحقًا، أو تترك الأمر سرًا لتعرفه بنفسها.

لاحظ ملامح التفكير على وجهها ليقول بجمود:

- إن كنتِ تفكرين بهوشيار فهو يعمل في مطبخ المبنى الرئيسي، لن تكوني برفقته على الأغلب.

- كيف سأعرف العمل الذي سيتم تعييني به؟

- سيُحدّد هذا في نهاية الشهر، سيخبرك هوشيار.

- من يعرف عدد نقاطي؟

- سيخبرك هوشيار بهذا بالتفصيل.

- لمَ منعته من القدوم لثلاثة أيام؟

- هذا أمرٌ يخصني.

شعرت بأعصابها تُستفز وهو يجيبها بهذه الأجوبة المختصرة فجأة، تنهدت وسألت:

- كم يمكن للقائد أن يحذف من النقاط للمقيم؟

- قائدك يستطيع أن يضيف لك ثلاثمئة نقطة في الشهر كحدّ أقصى، ويمكنه أن يخصم ألف نقطة أيضًا بكل بساطة.

- إذًا، لو حصلتُ على علاقةٍ جيدةٍ مع هوشيار يمكنني أن أحصل على ألف نقطة كل ثلاثة أشهر، أليس الأمر بسيطًا؟

التفت لها حين قالت هذه الكلمة وأسند يديه إلى ظهر الكرسي الذي يجلس عليه بينما ترك قدميه على الجانبين وأعطى ظهره لطاولة المكتب.

- لا أخفيك أن الكثير من الناس حصلوا على علاقةٍ أخويةٍ قويةٍ مع قائديهم فخرجوا من المكان بنقاطٍ عالية، ولكن إدارة الكمس لا تتجاهل هذا الموضوع، فحين تجد إضافات متواصلة من القائد للمرؤوس دون أن تُصاحب بتقرير عن السبب بعد كل أربع إضافات فهي ستفصلهما عن بعضهما وستعاقب أحدهما، فإما أن تخصم من نقاط القائد أو

أن تنقص النقاط غير المستحقة من حساب المرؤوس وتجعله يدفع بعض الضرائب أيضًا.

- ضرائب من النقاط؟

- لا، أعني ضرائب كالعقوبات.

ابتلعت ريقها بتوتر وقد زاد خوفها من هذا المكان أكثر، كلمة عقوبات بدت مرعبة، وهي تشعر أن دار الأيتام هذه غير عادية، أو على الأقل تأكدت من ذلك منذ داست قدمه عتبة غرفتها.

- كيف يمكنني أن أعرف عدد النقاط التي أملكها؟

- هوشيار سيخبرك بذلك بعد شهرٍ من الآن.

تمتم بها بملل بينما تعبت أصابعه بسوارٍ فضي كان يحيط معصم يده اليسرى، إجابته لم تكن كافيةً لها أيضًا ولكنها فهمت أنه جاء إلى هنا ليخبرها بما يريد قوله ويجب عما يريد الإجابة عنه ويخفي الباقي. استمر صمته لفترةٍ من الوقت بينما لم تسأل أسئلةً أخرى، صحن الطعام الممتلئ بجانبها بقي على حاله أيضًا، لم تكن ستأكله على الرغم من حاجتها إليه قبل دقائق وحسب، أخيرًا نهض من مكانه وسحب الرباط من شعره ليتناثر على ظهره وهو يقول دون أن ينظر إليها:

- سأجلب لك طعامك في الغد أيضًا.

- ألا يمكنني رؤيته؟

سألت بسرعة ولا تعلم كيف خرجت من بين شفيتها، التفت لها بحدة قبل أن يقول:

- لن يخرج قبل ثلاثة أيام، وهذا قرارٌ نهائي.

2

المكان الذي يحمل الأسرار

1

غادر الغرفة كما دخل، بغموض وأعين ناعسة حادة، غادر الغرفة لتبقى في فضاء الهواء المخيف وحدها، تحديق إلى المكان حيث كان يجلس، تفكر كم أخبرها بأمورٍ في هذا الوقت القصير الذي جلس به، وكم جعلها تشعر بأمورٍ وكم جعلها تخاف من أمورٍ أخرى، هوشيار كان متحفظًا أكثر في حديثه، صحيحٌ أن (فراس) قد امتنع عن الإجابة حول الكثير من الأسئلة، ولكن بعض التفاصيل الأخرى التي ذكرها لم يكن هوشيار ليقولها، وما امتنع عنه فيمكنها أن تسأله لهوشيار ببساطة.

وضعت أطباق الطعام الممتلئة على الطاولة وفتحت النافذة لتحديق إلى السماء والقمر الباهت هناك، ولكن الهدوء المحيط بها لم ينقذها من ضجيج أفكارها، مرت ساعةٌ أو أكثر قبل أن تحرك جسدها المتيبس لتخرج من غرفتها، نزلت الدرج وخرجت نحو الحديقة لتجدها غارقةً في الصمت المرعب والمبنى الأبيض بجانبها ككتلةٍ بيضاء كبيرة يتسلل من بين نوافذها الكثير من الأضواء جعلت الحديقة أقل إخافةً، عرفت أن وقت النوم لم يحن بما أن الجميع مستيقظ، وأرادت أن تحسب ذلك الوقت بالنظر إلى ساعتها ولكنها تذكرت أن الساعة الإلكترونية التي كانت تضعها قد أخذت مع باقي أغراضها عند دخولها المكان لأول مرة، تجاهلت ذلك ومشت نحو بوابة المبنى الكبير حيث رآته يدخل لأول مرة، كان هناك بابٌ زجاجي صغير دفعته بيدها وهمت بالدخول دون أن تصدر أي صوت، مشت خطوتين للأمام وقبل أن تتمكن من رفع عينيها لرؤية ما يبدو عليه من الداخل استوقفها صوتٌ أجشٌ لرجلٍ بدا أنه كبيرٌ بالعمر.

- ما الذي تفعلينه هنا؟

التفتت له بسرعة وحاولت أن تسيطر على الذعر والتوتر اللذين سكنها، ما الذي تفعله هنا؟ هي نفسها لا تعرف، شيء ما دفعها للقدوم، لترى ما الذي يبدو عليه المكان، لتضيق في هذه القلعة الضخمة وهي تبحث عن القسم الطبي لتراه وتطمئن إن كان بخير، كانت كاذبة حين قالت إنها لن تقلق على شخص تعرفت إليه مؤخرًا، لقد كان الشخص الوحيد الذي تحدثت معه طوال الثماني والأربعين ساعة الماضية، هذا كافٍ وحسب لتقلق عليه.

حاولت تمالك نفسها وهي ترى هذا الرجل يتقدم منها، لاحظت على الفور أنه يعرج ويستند إلى عصاة خشبية، الظلام الدامس في الممر لم يساعدها لترى ما المشكلة بقدمه، ولكنها قالت محاولة ادعاء الهدوء:

- أريد العودة لغرفتي.

- أرني تعريف الدخول خاصتك!

امتقع وجهها بخوف حين ذكر اسم شيء جديد لم تسمع به، تعريف الدخول؟ لقد قال لها لن تدخل حتى شهر، ولكنه لم يذكر أي شيء حول حصولها على تعريف دخول.

- لقد نسيته في غرفتي.

قالت أول كذبة تبادرت لذهنها ووجدت أن الرجل قد أصبح أمامها مباشرة، لم تستطع أن تتبين ملامح وجهه سوى جسده الضخم، شعرت بابتسامته الساخرة حين قالت ذلك وقال بغضب:

- أطفال مبنى التأهيل كاذبون دومًا، عودي لغرفتك أيتها الصغيرة، هيا.

أخذت نفسًا واعتدلت بوقوفها وقالت بثباتٍ أخيرًا:

- قائدي في القسم الطبي وأريد رؤيته للاطمئنان عليه.

- لا يُسمح لك بالدخول.

تنهدت حين سمعت نبرته القاطعة، كان بالتأكيد رافييل بواب المبنى الرئيسي الذي يحرص على عدم دخول أحد والذي ذكر هوشيار أنه لا يعرف متى يرتاح أو ينام، حركت رأسها للجهتين بإصرار على الرغم من أنه لا يراها وقالت برجاء:

- أرجوك، لقد أصيب اليوم في عمله وأريد أن أتأكد إن كان بصحة جيدة.

- في عمله؟ لا يوجد أحدٌ يعمل في الكمس! توقفي عن الكذب.

تجمدت مكانها للحظات حين قال هذا، إن كان ما قاله صحيحًا فهذا يعني أن كلاً من هوشيار وفراس كذبا عليها، تمتمت بتوتر:

- لا، إنه يعمل في المطبخ هنا...

- تعنين في فترة الخدمة الاجتماعية!

سمعت صوته يهمهم واستطاعت أن تدرك أنه صامتٌ يفكر قبل أن يضيف بسرعة:

- أنتِ في مبنى التأهيل وقائدك أصيب في خدمته الاجتماعية، هل بالصدفة أنتِ الفتاة الجديدة التي يعتني بها ذلك المجدد؟

- المجدد؟

- هوشيار! اذهبي إلى غرفتك، فحتى لو مات المجدد لن أسمح لك بالدخول دون تعريف.

كان من الواضح أن الرجاء لا يجدي نفعًا لذا انسحبت سريعًا للخارج، لم تكن تشعر بأي رغبة في العودة لغرفتها، الهواء العليل كان يداعب جسدها، كانت وحيدةً جدًا في هذه الحديقة الكبيرة، الهدوء المرعب وخلو المكان أوصل بعض أصوات السيارات في الخارج، شعرت بأعين تراقبها لتلتفت بسرعة للوراء، لم يكن هناك أحد، رفعت بصرها للأعلى لتنظر إلى النوافذ ذات الأضواء المطفأة والمضائة، خُيل إليها أنها رأت ستارةً تغلق من إحدى الغرف المظلمة، ولكنها تجاهلت الأمر بعده خيالها، وذلك الشاب ذو الشعر الأحمر الذي كان ينظر إليها من نافذة غرفته قد قرر مراقبتها قليلاً في الأيام القادمة. لم تكن تشعر بالخوف من مشيها في ذلك الوقت، ولكنها فكرت أن وقت النوم سيحين بعد فترة وستُطفأ أضواء هذه الغرف، حينها ستصبح الحديقة كتلة مرعبة من الظلام وستتلمس طريقها بمعاناة حتى تعود لمبنى التأهيل. وجدت نفسها تجلس في غرفتها مع المزيد من الأفكار.

«يبدو أن المجدد يحمل معه الكثير من المعلومات التي لم يخبرني بها». تمتمت بسخرية وتشديدها على الكلمة الثالثة سبب ضحكة خافتة تهرب من شفيتها، المجدد كان مصابًا، لم يكن هناك طريقة لمعرفة طبيعة إصابته.

صباح اليوم التالي خرجت لتمشي في الحديقة من الساعة تقريبًا، كانت قد نامت مبكرًا دون أن تمس الطعام الذي ظل موضوعًا على طاولتها، وبما أنها لم تعرف مكان المطبخ، فقد تركته وخرجت، وجدت العديد من الأشخاص يعملون، بالقميص الأبيض الموحد مع خطّ ملون عند الذراع اليسرى، لم يتكلموا معها على الرغم من أنهم التفتوا لها ثم تجاهلوا بسبب لباسها المختلف الذي تعمدت ارتدائه على الرغم من أن الزي الموحد خاصتها كان في الخزانة، وبدورها لم تكن تشعر برغبة في قول أي شيء. مجددًا أخذتها قدمها ناحية الكوخ الذي يجاور الباب، أحد الأماكن التي لفتت نظرها منذ مجيئها.

سمعت صوت سيارة تقف في الطرف الآخر، وجدت نفسها تحديق إلى الباب المغلق لفترة من الوقت قبل أن تركض سريعًا وتختبئ وراء الكوخ، تطلعت بأعين فضولية ناحية البوابة التي بدأت تفتح وحدها، بحثت بعينها عن القائد المسؤول عن المقيم الجديد ولكنها لم تجد أحدًا هنا، ألا يأتي كل القادة لاستقبال مرؤوسيهم كما فعل هوشيار؟ بل كيف يمكن لمقيم جديد أن يعرف إلى أين عليه التوجه؟

بصرها المعلق بالبوابة التقط صورة رجل يتقدم بكل هدوء، لم يكن طفلًا صغيرًا ولا مراهقًا، كان رجلًا بمنصف الأربعين، شعره بني فاتح وبعض الخصلات البيضاء تمردت في لحيته متوسطة الطول لتمنحه مظهرًا أكبر من عمره، تأكدت على الفور أنه أحد العاملين في هذا المكان، ولكن لم يكن بوسعها معرفة شيء آخر، لاحظت أنه يتصفح هاتفه ريثما يمشي نحو الداخل وعرفت أن وصول الأجهزة الذكية ليس محظورًا كليًا داخل المكان.

تنهدت براحة حين اختفى عن نظرها دون أن ينتبه لها، استدارت للوراء لتجد الشاب الذي قضت مساء اليوم السابق برفقته يقف خلفها مباشرة، تراجعته بذعر حتى اصطدم ظهرها بالجدار الخشبي، كان ينظر إلى الباب أيضًا، قبل أن يحول عينيه إليها بابتسامة جانبية ساخرة ويقول:

- ألم يعلمك والدك أن التجسس عادة سيئة؟

- ماذا عنك؟

قالت بعنف وهي تضع يدها على قلبها تحاول تنظيم أنفاسها، أنزل بصره للأسفل لتبدو عيناه أصغر حجمًا وصدق إليها قبل أن يبتسم ببلاهة ويجيب:

- لا، أنا أقيم هنا، أتذكرين؟ لا أملك والدين. أما أنتِ فقد حظيتِ بفرصة تربيتهما لك.

دفعته بيديها قبل أن تسير مبتعدةً عنه، وعلى غير المتوقع؛ لم يلحق بها، هذا يعني أنه لحقها إلى هنا كتطفل وليس لأنه يريد شيئًا ما منها، أو ربما كان مازًا من هنا وحسب.

مشت في الحديقة لفترةٍ من الوقت، بعد وقتٍ رأته يجلس على جانب المبنى الخشبي وينظر إليها بينما يضع سيجارةً في فمه وشعره الأسود متناثرٌ على وجهه وكتفيه، لم تكن تعرف أنه يدخن واستغربت إن كان الأمر مسموحًا في مكانٍ يعاني فرط الانضباط كهذا المكان، كان في موضع رؤية معظم الأشخاص وكان ينظر إليها بوجهٍ خالٍ من التعابير وكأنه يفكر، على الأغلب بهوشيار وليس بها! لم تكن تحبذ البقاء ضمن نطاق نظره، لأنه كان مخيفًا حقًا، لذلك قررت ألا تقترب منه حتى يكون هوشيار موجودًا.

2

أعاد السيد غوندوز هاتفه لجيب سرواله وتجاوز باب المبنى الأبيض الكبير وهو يلقي التحية على رافيل الذي ردها بهدوء، توجه ناحية المطبخ قبل أن يعود خطوتين للوراء ويسأل:

- هل رأيت هوشيار ميكاليس؟

- لا، إنه في القسم الطبي من البارحة.

- ألم يخرج؟

سأل بقلق ولم يحصل على إجابة سوى هزة كتفٍ تعبر عن اللامبالاة، تنهد وأخذ خطواته لرؤية الشاب المصاب، هناك وجده جالسًا في سريره يحمل بيده كتابًا بيدٍ واحدة بينما يمدد الثانية بجانب جسده غير قادر على تحريكها.

- كيف حال فتانا القوي؟

قالها غوندوز بحماس حالما أصبح هوشيار بمستوى نظره، التفت له معظم من في القسم لكن المعنى بالنداء لم يفعل، عقد حاجبيه باستغراب قبل أن يقترب منه مربيًا على كتفه.

- هل كنت تخاطبني؟

سأل وهو يغلق الكتاب ويضعه جانبًا، أوماً له ليزداد توتره وخجله من نفسه، كان غوندوز لطيفًا جدًا وهو يقول فتانا، لذا فكر أن الكلام بالتأكيد موجه لشخص آخر، ربما طفلٌ صغير ينادونه بتدليل.

- أنا بخير تمامًا، فقط لا أستطيع تحريك يدي مطلقًا.

قال وهو ينظر إليه، ليبتسم ويربت على كتفه مجددًا ويقول:

- لا بأس، لا تأتِ للعمل أبدًا حتى تتحسن يدك، أراك لاحقًا.

أوماً له وهم بالتقاط الكتاب مجدداً، شعر بالسيد غوندوز ينحني عليه لينظر له بتساؤل، قَبَلْ جبهته بحنوً بالغ وبعثر شعره المجعد بلطفاً لم يعتدها الشاب، بل ولم يشعر بها منذ سنوات، تجمد مكانه تماماً بينما غادر الرجل الذي قام بذلك بتصرفٍ أبوي عفوي ترك في نفس الشاب الكثير من المشاعر التي كانت غائبةً عنه.

أغمض عينيه محاولاً إبعاد هذه الأفكار من رأسه، مرت فترةٌ طويلةٌ منذ آخر مرة اهتم فيها شخصٌ لأمره، حتى فراس كان يهتم به ولكن أحياناً بطريقةٍ عنيفة وقاسية تجعله ينفر منه، لا يذكر في حياته أن داعب أحدُ شعره أو قَبَلْ جبهته، لم يكن يريد أن يثق بأحد بالتأكيد، ولكنه كان واثقاً للغاية أن المشاعر في قلبه كانت قويةً للغاية لشعوره المؤلم بكل جزءٍ من الثانية من حنان غوندوز الأبوي.

تحرك من مكانه أخيراً والتقط الكتاب الموضوع على السرير ليقف بجانب النافذة، لو بقي مستلقياً لفترةٍ أطول سيؤلمه جسده، لذا قرر استغلال خلو القسم في هذا الوقت للقراءة والمشي.

حين اقترب من النافذة للمرة الثانية لمح (فراس) قادماً من جانب مبنى التأهيل، شعره الطويل لم يكن مرتباً وعلى وجهه تعبيرٌ حاد، كان متأكداً أن (فراس) ذهب لرؤية الفتاة مما جعله يتنهد عاقداً حاجبيه بانزعاجٍ لا مبرر.

رمى الكتاب على السرير بغير اهتمام، وتوجه ناحية الغرفة الأولى في القسم الطبي حيث كان بعض الأطباء والممرضين المسؤولين يعملون، ساعدته إحدى الممرضات على تبديل الضمادات وقاس ممرضٌ آخر حرارته ليتأكد أنه لم يُصَبْ بالحمى بعد هذه الإصابة، وبعدها أخبره الطبيب أن بوسعه المغادرة.

أراد أن يسترخي ويفكر وحسب، وغرفته كانت مكاناً جيداً لبيتعد عن الآخرين تماماً، ذهب نحوها مباشرةً ووجد طريقه إلى سريره دون أن يكلف نفسه عناء تبديل ملابسه، يده كانت تؤلمه بشدة، وكان منزعجاً لأنه ترك الفتاة الجديدة وحدها في أيامها الأولى.

قرر انتزاع الأفكار من رأسه واستغلال هذه الأيام كاستراحة بعد الأيام المتعبة الماضية في امتحان القبول والتعليمات الطويلة التي حصل عليها

حين تم إخباره بأنه سيصبح قائداً، لم يكن يريد أن يقابل أحداً مطلقاً، لن يخرج من غرفته ولو عنى ذلك موته من الجوع، لن ينظر من النافذة ولو اختنق، يريد أن يرتاح بعيداً عن كل شيء فقط، فلو ظل يفكر في الأحداث الجديدة لانفجر رأسه.

سحب الغطاء فوق جسده وأغمص عينيه ليذهب في سبات طويل، يده تلسه بين فترة وأخرى لكنه لم يعرها اهتماماً كبيراً، فقط يحاول الشعور بالأمور بروية وهدوء، يمضي قدماً مع كل الأشياء المؤلمة التي تدور بذهنه، ويشعر بها تتلاشى فحسب.

3

كان مرهقًا بالفعل، لم يحظَ بقسط كافٍ من النوم في الليلة السابقة ولم يرتح كثيرًا في كل الأيام التي مضت، دخل فراسه غرفته بعد ساعتين ليجده نائمًا بعمق، كان يريد الجلوس معه أو التحدث معه، ولكن تعابير وجهه كانت مسالمةً جدًّا، جعل هذا كل الأفكار في رأسه تتوقف تمامًا، وحدَّقَ إليه بصمتٍ مطبقٍ قبل أن يغلق الباب ويسحب الكرسي المقابل للسريير ليجلس عليه، نظر إلى وجهه لوقتٍ طويلٍ وشعره المجدد الذي لم يكن مرتبًا مطلقًا، انطباق جفنيه كطفلٍ جعل منه بريئًا للغاية، لقد عرفه منذ سنواتٍ طويلة، كان دومًا متمردًا وثرثارًا وفضوليًّا، رؤيته نائمًا بهذه السكينة لم يكن شيئًا يراه فراسه كل يوم، لذا فقط جلس هناك والتزم الصمت دون قول أي كلمة.

ما الذي يدور بذهن شاب في السادسة والعشرين لم يغادر دار الأيتام حتى الآن ويُعامل كمنبوذ من الجميع والشخص الوحيد الذي يتعامل معه يتشاجران باستمرار؟ لا أحد يمكن أن يعرف، لذلك كانت طباعه السيئة تعبر عنه كثيرًا، وتعبر عن الأفكار العابثة في رأسه، معظم تصرفاته لم تكن قابلةً للتفسير حتى بالنسبة إلى هوشيار؛ أقرب شخصٍ له، وفي تلك اللحظة اكتفى من النوم وفتح عينيه ليجده جالسًا في غرفته، مخرجًا جسده من النافذة ليدخن براحة ويلقي نظرة عليه بين فترةٍ وأخرى، فقد كان فراسه عصيًا على الفهم أكثر من أي وقتٍ مضى.

- ما الذي تفعله في غرفتي؟

- بالتأكيد لا أتأمل في جمالك وأنت نائم، دخلتُ منذ لحظات وقررتُ التدخين قبل أن أوقظك لنتحدث.

كانت كذبةً سيئةً وحسب، ولكنه كان كاذبًا جيدًا أيضًا لذا لم يستطع

هوشيار تمييز الحقيقة ليقول:

- ماذا تريد؟ أنا مستيقظ، لننحدث.

قالها بسرعة وكأنه يرغب في أن يطرده بسرعة كي يعود للوحدة التي قرر أن يفرضها على نفسه، وجد (فراس) ينظر إليه بطرف عينه قبل أن يلتفت للخارج ليتابع تدخينه ويسأل:

- ألسْتَ قلقًا عليها؟

- ستتدبر أمرها ليومين.

- إذًا، هذا يعني أنك قبلت عقابي.

استدار فراس نحوه وحقق إليه بتلك النظرات الباردة خاصته قبل أن يقترب منه ليمسك يده المصابة دون أن يضغط عليها مطلقًا، مسح عليها بأصابعه الطويلة بخفة قبل أن يتركه ويقول:

- ستتحسن قريبًا بما أنها يد فتى عنيد مثلك.

- فتى عنيد، لقد كنت تنادينني بهذا في طفولتي.

تمتم بالكلمات بسخرية وعلى وجهه ابتسامة جانبية يبدو فيها السخرية والتحسر في آنٍ واحد. نظر إليه فراس مطولًا قبل أن يتحرك متجهًا نحو الخارج دون أن يقول أي كلمة أخرى.

قضى اليوم بأكمله في غرفته، يفكر، يرتب خزانته شبه الفارغة، ينسق الكتب التي يملكها، استغرق منه الأمر وقتًا لأن يده اليسرى كانت مشلولة تمامًا ولم يكن قادرًا على تحريكها بأي شكل، استلقى على سريره، حين دقت عقارب الساعة الحادية عشرة أطفأ ضوء غرفته حتى لا يحسب أحد عليه يومًا بتأخر النوم، لكنه استلقى في فراشه وحسب يحدق إلى السقف المظلم دون أن يفعل أي شيء.

في الحادية عشرة والنصف سمع طرقًا على باب غرفته، صوتٌ من الخارج كان يسأله إن كان مستيقظًا ليتحدث معه، اعتدل جالسًا في سريره وفكر إن كان عليه الإجابة أم لا، ربما يخاطر ببعض النقاط، ولكن فضوله غلبه ليرد:

- ادخل.

فُتِحَ الباب ليُجَدَّ أمامه بواب مبنَى الكَمَس، بهيئته الضخمة والعصا الغليظة التي يتكئ عليها، قدوم أحد المسؤولين إلى غرف المقيمين لم يكن شيئاً جيداً كثيراً. قال محاولاً الحفاظ على هدوئه:

- ما الأمر سيد رافييل؟

- لم تنم بعد؟

- لقد أطفأتُ الأضواء في الوقت المحدد.

- في الحقيقة لا أهتم، الفتاة الجديدة قد أتت البارحة وقد أرادت الدخول للقسم الطبي للاطمئنان عليك.

- أجل، شكراً لإخباري.

أجابهُ وهو يخفض بصره بانتظار خروجه، ولكنه فوجئ به يتقدم خطوتين للأمام ويتابع:

- بالمناسبة، هذه غرفةٌ جميلة، بالتأكيد عليها الكثير من النقاط.

- لقد أُعطيْتُ هذه الغرفة منذ سنوات دون أن يأخذوا من نقاطي.

- أنا لا أعني نقاطك، إنما الغرفة.

هم أن يسأله عن الأمر، ولكن رافييل تراجع قليلاً وهو يقول:

- نم الآن.

ابتسم هوشيار بسخرية لهذه الزيارة الليلية المزعجة للغاية ولم يقل شيئاً، لم يكن يتوقع منه «تصبح على خير»، ولكن الكلمة التي قالها جعلته يشعر أنه طفل، مجدداً، تجاهل ذلك وعاد لأفكاره الكثيرة.

4

قضى اليوم الثالث في عزلته نفسها، لم يخرج من غرفته مطلقاً ولم يأتِه فراس أيضاً، كان الأمر مريباً له تماماً، شعر أنه يستطيع أخيراً أن يتقبل المرحلتين الجديدتين في حياته؛ أن يصبح قائداً كان أمراً غريباً عليه، وأيضاً دخوله للجامعة كان بحد ذاته تحدياً كبيراً له.

في اليوم الرابع خرج من غرفته قبل الشروق ليصعد إلى سطح المبنى الخشبي حتى يشاهد شروق الشمس في السماء، استلقى بجسده الطويل على الأخشاب المتراسة بعضها فوق بعض وحدق إلى السماء يتأمل النجوم أو ما يصل إليه من ضوءها. أحلك ساعات الليل هي تلك التي تسبق الصباح بقليل، تلك الساعات نفسها التي يرى فيها أجمل النجوم على الإطلاق.

بدأ لون السماء يصبح أفتح، الأمر الذي جعله يعتدل في جلسته محدقاً إلى جهة الشرق بأعينٍ هادئةٍ ومسالمةٍ أكثر مما كانت عليه في الأيام السابقة، شعر بحركةٍ خلفه ليستدير سريعاً ويجد باب السطح يُفتح وتخرج منه الفتاة التي لم يرها منذ ثلاثة أيام، كان شعرها الأسود الطويل يتطاير بفعل هواء الفجر، لاحظ أنها صُدمت قليلاً من وجوده هناك لكنها ابتسمت بخفة واقتربت تمشي على الأخشاب بحذر وهي تقول:

مكتبة

t.me/soramnqraa

- كيف حالك؟

- بخير، مر زمن!

- ثلاثة أيام!

قالت ضاحكة وهي تجلس بجانبه لينظر إليها ويسأل:

- ما الذي تفعلينه هنا؟

- استيقظتُ وحسب فقررت الصعود لرؤية إن كان يمكنني مشاهدة الشروق.

- يمكنك، من خلف ذلك الجبل ستصعد الشمس بعد لحظات.

أشار لها إلى أحد الجبال المغطاة بالأزهار والتي كانت بعيدةً نسبيًا عن موقع ألكمس في وسط اللامكان، نظرت إلى حيث أشار وانتهبت للضمادات حول يده لتسأل:

- ما هي إصابتك؟

- جرحتُ يدي بألّةٍ حادة، خسرتُ الكثير من الدماء وكدتُ أفقد بعض أصابعي، لذلك اضطررتُ للمكوث في القسم الطبي لأيام، أنا آسف.

تكلم بهدوء على عكس شخصيته الحادة المعتادة، ربما لأنها أول ساعات الصباح وربما لأن الأيام الثلاثة التي مضت كانت كافيةً لينظم أفكاره ويعود إلى شخصيته الحقيقية، لم يذكر لها أن (فراس) منعه من القدوم، وجدت نفسها صامتةً وهادئةً، تنتظر شروق الشمس معه دون أن تقول أي كلمة ودون أن تسأله عن أي شيءٍ آخر، على الرغم من تفكيرها المتواصل أن لديها الكثير من الأشياء لتقولها له عند لقائهما، ولديها الكثير من التذمرات لترميها على كاهله بسبب وجود فراس المخيف قليلًا في الأيام الماضية، ولديها آلاف الأسئلة التي ابتلعتها خوفًا من بعض ردود الفعل التي يبديها فراس بين فترةٍ وأخرى، وكان لديها كلماتٌ كثيرة تجاهلتها جميعًا وحدقت إلى قرص الشمس وهو يرتفع في السماء، في أكثر لحظةٍ مسالمةٍ حصلت عليها منذ أسبوع حين وطئت قدمها هذا المكان، دون أي أطفالٍ في الأرجاء أو مسؤولين في الميتم، دون تعليمات حول الأوقات والأماكن والأشياء المسموحة وغير المسموحة وخضم النقاط، دون هوشيار الغاضب المتذمر الحاد الطباع، إنما فقط بجانب شابٍّ مسالم تجاهلته على الرغم من رغبتها في سؤاله عن سبب اعتذاره المفاجئ.

سأل دون مقدمات:

- هل تشتاقين إلى والديك؟

- كثيرًا.

همست وهي تضغط على يدها وكأن الصدمة التي رافقت وفاتها قد مضت وحان الوقت لتصدق أنها الآن وحيدةٌ تمامًا دونهما في مكانٍ غريبٍ عنها وعليها أن تحارب لتبقى صامدة.

- لا بأس، ستتجاوزين ذلك، ستعتادين وتتقبلين وتنسين وتندمجين بالحياة، سيؤلمك هذا كثيرًا، ولكنك ستتجاوزين!

- أجل، سأفعل.

قالت ضاحكة مستغربةً لطافته أو على الأقل هدوءه، كان صامتًا بعض الشيء، يحرك يده ليربت على ظهرها مرةً واحدة ثم يخفضها، مزيحٌ غريبٌ بين العقلانية البحتة والعاطفية التي لا تلائم شخصيته، يخبرها بالكلمات ذاتها حول تقبل الواقع ولكن دون عنف، يتقبل أن حزنها ما زال جديدًا ولكنها تبتلعه في معظم الوقت، ويبتسم لها حين يفيض هذا الحزن من عينيها، لم يكن هذا هوشيار الذي تعرفه في أول يومين أتت فيهما إلى هنا. كان مختلفًا، ولكنه كان حقيقيًا جدًّا!

ارتفعت الشمس أكثر في السماء بينما يمارس هوايته المعتادة بالنظر إلى تلك المساحة الزرقاء اللامتناهية وهي تجلس بجانبه، لم ينطق أحدهما أي كلمة لمدةٍ طويلة، لاحظت أن الأشخاص بدؤوا يخرجون من المبنى الأبيض، لم تكن فترة دراسة ولكن كان هناك بعض الشبان بعمر هوشيار تقريبًا يتجهون للخارج على الأغلب لتقديم اختبارات القبول.

كانت المرة الأولى التي ترى الفترة الصباحية في الكمس، مجموعة كبيرة اجتمعوا حول امرأةٍ كبيرة في السن بشعرٍ أسود داكن تخفي معظمه تحت رباطٍ قماشي تربطه على رأسها ورقبتها وأعطتهم التعليمات للعمل في الحديقة الكبيرة، لاحظ هوشيار أنها تنظر إليهم ليقول أخيرًا:

- السيدة آن ماري مسؤولة عن كل الأطفال الذين يعملون في الحديقة.

- الخدمة الاجتماعية، صحيح؟

تمتت وهي تسند رأسها إلى يدها لينظر إليها باستفسار:

- من أين سمعتِ هذه الكلمة؟

- عرفتُ الكثير في أثناء غيابك.

- آن ماري لطيفة وتعامل الأطفال بشكلٍ جيد، يبدو أنهم يملكون علاقةً جيدةً معها.

- هذا جيد، أتمنى أن أكون مع شخصٍ لطيف.

- أتمنى ذلك لك أيضًا، إن كان المسؤول عن خدمتك شخصًا رائعًا كالسيد غوندوز المسؤول عني فحياتك ستكون أسهل.

- هناك الكثير من الصعوبات حتى يحافظ الشخص على نقاطه.

همست وهي تنظر بعيدًا. لاحظ أن أشعة الشمس بدأت تنعكس على عينيها ليتنهد ويرد بجديّة:

- تذكرتُ للتو أنني لم أحدثكِ عن نظام النقاط شيئًا، كيف عرفتِ؟

- أحدهم قد فعل.

- فراس؟

حركت رأسها إيجابًا دون أن تنطق أي كلمة ليتنهد وهو يفرس أصابعه في شعره وسأل:

- هل أزعجكِ بشيء؟

- أنت لا تثق به مطلقًا بالنسبة إلى شخص كان مسؤولًا عنك منذ ثماني سنوات كاملة!

- أيًا يكن، هل لديك أي أسئلة حول النقاط؟

- لا أظن، سأسألك في حال تذكرتُ شيئًا.

أجابته دون أن تنظر إليه وساد الصمت بينهما مجددًا، نهض من مكانه حين ارتفعت الشمس لتصل إليهما وأزعجته أشعتها، توجه ناحية الباب لتلحق به دون أن تقول أي كلمة. لم تكن لديه خدمة اجتماعية ولا دراسة ولا أي شيء آخر ليفعله، وكانت ستبقى بنفس الحالة أيضًا لثلاثة أسابيع أخرى، مما دفعه ليقول:

- كنت في مدينة مينوري قبل القدوم إلى هنا، صحيح؟

- أجل.

- لنذهب إلى المكتبة، سنجد بعض المراجع عن الفروقات التعليمية بين لوكيد ومينوري، سأساعدكِ على دراسة الأشياء الغريبة عليك حتى لا تعاني عند بدء الدراسة.

- متى ستبدأ؟

- بعد شهر وعشرين يومًا تقريبًا، ولكننا متفرغان تمامًا الآن وأنا معفي من الخدمة بسبب إصابة يدي.

حركت رأسها إيجابًا وتوجها معًا للمكتبة، كان اقتراحه ذاك أكثر شيء مريح فعله منذ أسبوع وحتى اليوم، لأنه -على الأقل- سيخلصها من الملل القاتل في فترة التأهيل.

5

دقات الساعة التي كانت في قمة برج المبنى الأبيض أعلنت أن وقت الغداء قد حان، ليضع مجموعة من الكتب على طاولة المكتبة ويقول:

- لنذهب الآن، سنعود بعد الغداء لنكمل البحث ونضع خطة للبدء.

أومأت له بابتسامة واسعة ليضحك بخفة، كانت المرة الأولى التي يرى ضحكتها فيها، صادقة وحقيقية، تنهد براحة لأن الأمور أخيرًا أصبحت بخير، هو قد بدأ يتعامل معها على طبيعته، وهذا انعكس عليها لتتصرف بسعادة أخيرًا، كان مرتاحًا بحق لأن الأمور بدأت تأخذ منحى جيدًا، سيقضيان الآن كثيرًا من الوقت في الدراسة وحينها سيستطيعان التصرف كأصدقاء وسيتحقق هدفه بأن يحصل على علاقة جيدة معها، أيًا كانت، المهم أن تكون أفضل من علاقته مع فراس.

تفرقا ليدخل قاعة الطعام العملاقة في المبنى الرئيسي، سكب لنفسه صحنًا وبحث بعينه عن مكان له ليجلس أخيرًا على المقعد الفارغ في طاولة يجلس إليها مجموعة أشخاص يعرفهم منذ مدة بعيدة، فقد دخلوا المكان في نفس الوقت تقريبًا.

وضع طبق الطعام على الطاولة مقابل لؤي ليقول له بابتسامة صغيرة:

- هوشيار، مرحبًا.

- مرحبًا!

- سمعتُ بإصابتك، هل يدك بخير؟

- مجرد جرح بسيط، كيف حال أمل؟

- أنا بخير.

الصوت الصاخب خرج من وراءه ليلتفت إليها بفرع، وضع يده على قلبه

وهو يقول:

- أَلن تتوقفي عن هذه العادة؟
- أنتَ لطيفٌ جدًّا حين تشعر بالفزع.
- قالت وهي تنفجر ضاحكة وتجلس على كرسي قريب ليبتسم بسخرية ويرد:
- بالتأكيد أنتِ تملكين مرضًا نفسيًّا.
- حقًّا؟

قالت وهي ترمش بسرعة قبل أن تضحك مجددًا، ضحك بخفة وتابع تناول طعامه بينما جلست فتاةً أخرى بجانبه ليقول على الفور:

- مرحبًا مولان.

- أهلاً، كيف حالكم جميعًا؟
- ردت الشابة ذات الشعر الأسود ليرد لؤي:
- كنتُ أبحثُ عنكِ للتو ولكنكِ لم تكوني قريبة.
- ما الأمر؟

سألت مولان وجاءها جواب لؤي المتحمس:

- أريد إخباركِ عن اختبار القبول، لقد قدمتُ لنفسي جامعتكِ!

ابتسمت مولان وسألته بفضول عن الأمر بينما تابع هوشيار تناول كلامه وهو يستمع لهم بابتسامةٍ صغيرة، كانت مولان الأكبر سنًّا بينهم، فتاةٌ بشعر أسود ناعم وعينين صغيرتين باللون نفسه، تملك أصولًا صينية وتسكن هنا منذ ست سنوات، ستمم العشرين قريبًا وتخرج من الكمس. بدأت في دراسة هندسة العمارة منذ سنتين تقريبًا.

بعدها كان لؤي وأمل الشقيقان التوأم اللذان يكبران هوشيار ببضعة أشهر، لؤي قدم امتحان القبول لهندسة العمارة أيضًا بينما توجهت أمل للإنتاج السينمائي، على الرغم من كونهما توأمين، فإن شخصياتهما مختلفة؛ لؤي يقضي ساعات طويلة في الرسم أو التدريب، أما أمل فقد كانت تستمتع بنشر الضجيج في المكان وإفزاز الآخرين، السبب الرئيسي لتوجهها نحو الإنتاج السينمائي هو أن الجميع دون استثناء قال لها «عليك العمل في أفلام الرعب»! وقد قضت الكثير من الوقت وهي تخبر هوشيار بأنه طفل بسبب فارق الأشهر بينهم.

- ماذا عنكِ؟ أين قدمتِ اختبار القبول؟

انتبه لسؤال مولان الموجّه نحوه ليرد وهو يحك رأسه بإحراج:
- في كلية علم الفلك، كان صعباً بعض الشيء ولكن أظن أن بوسعي تجاوزه.
- أنتَ قادرٌ على هذا، لم أرَ شخصاً يهتم بهذه الأمور مثلك.
ضحك بخفة على كلماتها وحك رأسه بإحراج لينتبه معظمهم أنه ترك الملعقة من يده ليفعل ذلك.

- هل حاول فراس قطع يدك؟

التفت سريعاً للصوت الساخر الذي صدر من النصف الآخر من الطاولة، كان يكره مجموعة الأشخاص الذين كانوا يجلسون وعادةً ما يبحث عن أي مكانٍ حتى يبقى بعيداً عنهم، ضيَّقَ عينيه نحو الشخص الذي تكلم ورد ببرود:
- لا علاقة لك هاري!

- في الحقيقة حتى وإن فعل لا ألومه.

قال شابٌ آخر وهو يقضم لقمةً كبيرةً وضعها في فمه، ليرد هاري:

- أنتَ محق، هذا الصبي جعله غاضباً طوال الوقت، لا بد أنه قد مل من مشكلاتك.

- على الأقل هذا الصبي أبعد عنكم ليتوقف عن كونه رئيس عصابة جانحين حمقى.

قالت مولان وهي تنقل نظرها بين الاثنين لينتفض واحدٌ ثالث ويرد:

- من طلب رأيك أيتها المتطفلة؟

رفعت حاجبها ساخرة من نبرته الغاضبة ليتابع هاري بلا اكتراث موجهاً حديثه لهوشيار:

- صدقني، في حال فشل فراس في قطع يدك فسأتشرف بفعل ذلك في أي وقتٍ، على أي حال أنتَ تستحق، فأنتَ من وشى به في الحادثة القديمة.

- هذا يكفي!

الصوت العالي الذي صدح في قاعة الطعام جعل الضجة على تلك الطاولة تهدأ، بل والعديد من الأشخاص على الطاولات المجاورة التفتوا نحوهم ليروا ما يحصل، كان الشاب الأكبر سنّاً في المكان واقفاً هناك يحمل بيده طبق طعام وينظر إليهم بحدة بعينٍ واحدة بينما يغطي شعره الطويل عينه الأخرى

ليبدو بمظهرٍ مخيفٍ بعض الشيء، مجموعة الجانحين - كما أطلقت عليهم مولان- نظروا إليه بسرعة ليقول أحدهم:

- مر زمنٌ طويلٌ لم نركَ تأكل هنا.

- أنا أكره الأحاديث الفارغة، أكره أدمغتكم الفارغة أيها المراهقون.

كان يتكلم بحدة ليقترّب واضعاً طعامه على الطاولة على الكرسي الفارغ الأخير بجانب أمل لتتنقض الأخيرة بذعرٍ قليلاً، بينما يتابع:

- أنا لستُ في المزاج الجيد لأتحدث معكم، ولكن دعوني أخبركم بأنه لا أحد في هذا المكان اللعين بأكمله يتدخل في علاقتي مع هوشيار حتى لا يلاقي شيئاً سيئاً.

- مصيراً مشابهاً لإيلينا؟

سأل هاري الذي كان يجلس على رأس الطاولة ليلتفت له فراس بعينين حارقتين، لو كان بوسعه أن يقتله بنظراته لكان ميتاً بالفعل.

- مثل إيلينا، أو ربما أسوأ.

الاسم الذي ذُكر في المكان على حين غرة جعل اللعاب يجف في فم هوشيار بخوف، بينما أنهى فراس كلماته غارساً سكينه في شريحة لحم الشاب الذي أخبر هوشيار أنه سيقطع يده، في العادة كان فراس يفتعل المشكلات في قاعات الطعام لأنه أكثر مكان يتيح الاحتكاك بين المقيمين، ودائماً ما ينهي الأمر بحمل صحن طعامه وإلقائه في القمامة ليثبت أنه متمرد وغير مكترثٍ للنقاط، لذا فهو مستعدٌ لتنفيذ تهديداته، هذا بالطبع كان أحد أسباب شهرته بين الجميع بالإضافة لكونه الأكبر سناً، وقيادته لمجموعة من الجانحين قبل تركهم وشأنهم بعد نحو السنتين من جعله قائداً على هوشيار، ولكن هذه المرة سحب كرسياً ليجلس عليه ويتابع تناول طعامه بلا اكتراث، نظر إلى الفتاة بجانبه بحاجبٍ مرفوعٍ ليضيف:

- يمكنكِ تناول طعامكِ، فلن أزعجكِ لمجرد جلوسي بجانبكِ!

أومأت له وعادت لتناول طعامها وانتشر الهدوء في المكان أخيراً، المجموعة الثانية لم تقل أي حرف بعد تهديد فراس بينما ابتسمت مولان لأمل باطمئنان ورأتها تحرك شفيتها أن تتصرف بطبيعية ولا تكثرث لجلوسه بجانبها، تنهد هوشيار بخفة وهمس:

- شكراً لك.

- لا مشكلة، بحثتُ عنكَ ولم أجدكَ في الصباح.

- خرجتُ لمشاهدة الشروق وقضيتُ بعض الوقت مع إيلاف.

- هل قالت لك شيئاً؟

- لا، إنها تأخذ الأمور بروية.

أوماً فراس ولم يجب بأي كلمة لتقول مولان بابتسامة:

- جعلوك مسؤولاً عن أحدهم؟

- فتاة جديدة، تُدعى إيلاف.

- صغيرة؟

قالت أمل بحماس ليحرك رأسه نفيًا ويرد:

- من الجيد أنها ليست كذلك، تصغرنا بثلاثة أعوام، وهي ذكيةً أيضًا.

لحظة أنهى كلمته سمع صوتًا من آخر الطاولة لأحدهم يقول:

- قد أبدل وسعًا لتكون هي من يحصل على نفس مصير إيلينا.

تكلم الشاب نفسه الذي ذكر الاسم في المرة الأولى؛ هاري، الأكبر سنًا بين تلك المجموعة التي تشاركهم الطاولة، شابٌ ببشرة حمراء وشعرٍ أصهب، بلغ الرابعة والعشرين من عمره ولم يغادر المكان حتى الآن. ساد الصمت بين الجميع لحظة قال كلمته المزعجة، ولكن هوشيار انتفض من مكانه حين أمسك فراس صحنه وقلب الطعام على الطاولة ليرمي الطبق الزجاجي الفارغ حتى آخر الطاولة ليصطدم برأس هاري وينكسر مصدرًا صوتًا عاليًا.

نهضت أمل من مكانها بخوفٍ من الشاب الجالس بجانبها بينما تجمع أصدقاء هاري الذي يصيح بألم حوله، جلس فراس مجددًا وتابع تناول طعامه الذي أصبح متناثرًا على الملاءة البيضاء للطاولة دون اكتراث وهو يقول ببرود:

- ستكون فكرة جيدة أن تأخذه للقسم الطبي فورًا لأن الزجاج سيؤذي

ما تبقى من دماغه.

- فراس!

همس هوشيار وهو ينظر إليه ليرفع عينيه إليه، لم يستطع أن يلومه، هو نفسه أراد أن يفعل هذا لحظة نطق هاري بكلماته، ولكنه فقط كان متفاجئًا. بدت أمل خائفةً حقًا فتبادل لؤي وأخته الأماكن بينما ربتت مولان على كتف هوشيار بخفة ليتابع بضيق:

- لا أريدك أن تسبب المشكلات لنفسك.

- لا بأس، أنت تعلم أنني لن أخرج من هنا بسهولة على أي حال، لذا خصم مئة أو مئتي نقطة لا يعنيان شيئاً لي.

نهض هاري برفقة اثنين من أصدقائه يصطحبانه للقسم الطبي، ساد صمّت هائلٌ في المكان بأكمله ولم يعد يُسمع أي صوت ولا حتى من الطاولات القريبة، في مكان منظم كهذا فإن شجاراً واحداً يكفي ليغرق الجو بأكمله في سحابة التوتر القاتمة.

أنهت مولان طعامها وغادرت، تبعتها أمل ثم لؤي وبقي هوشيار يأكل لقمة للحظة وينظر إلى فراس للحظات، نهض فراس ليغادر المكان فلقه سريعاً.

وجده في المكان الذي توقع أن يكون فيه، يدخل في غرفته بينما يجلس على حافة النافذة بإهمال. دخل دون استئذان ونظر إليه لفترة من الوقت قبل أن يقول أخيراً:

- ألا يمكنك أن تخفف من العنف فراس؟

لم يتلقَ إجابةً ليتنهد ممرّاً يده في شعره ويتابع:

- هل كان ذلك لأنهم قالوا اسمها أمامك مرتين؟ اسم إيلي؟

لم يكذب ينهي جملته لأن (فراس) قاطعه وهو يغرس أصابعه في شعره الطويل:

- لا تنطقه، فقط لا تقله مجدداً.

- كنتُ أريد أن أقول إن عليك تجاوز الماضي والمضي قدماً، ولكن لا أعلم إن كان هذا صائباً لفعله!

- تظن أنني لا أستحق المضي قدماً.

- بل هي لا تستحق أن تُنسى، حتى تكون مرتاحة فيجب أن تتذكر دوماً ما حصل معها.

- اخرج بحق الجحيم هوشيار!

كان بوسعه أن يعاند ولكنه لم يرغب في ذلك، فقط انسحب ليخرج من الغرفة تاركاً الشاب العنيف لوحده، غارقاً في الماضي، في أفكارٍ لم يكن ليفهمها أحد!

6

مر أسبوعٌ ونصف على المشكلة في قاعة طعام مبنى ألكمس الرئيسي، لم يتحدث أحدٌ عن الأمر إلا الأطفال والشبان فيما بينهم، لم يُرَ هاري أو فراس بعدها، فقد بقي هاري في القسم الطبي لفترة وانعزل فراس في غرفته ليجلب له هوشيار الطعام كل يوم. فتاةٌ كانت مشهورة بنشر الشائعات قد نشرت بين الجميع أن هاري قد مات بسبب قوة ضربة فراس وأن الأخير قد طُرد من المكان، وبالطبع لم يأخذ أحدٌ كلامها بجدية.

لم يتحدث هوشيار بالأمر معه مجددًا، وبطريقةٍ ما بدا الأمر وكأن هوشيار يتهرب منه، أو على الأقل يحاول صناعة أحاديث أقل بينهما، أصبح يقضي يومه بأكمله يساعد الفتاة في دراستها، الأمر كان مفيدًا جدًا ليصبحا أقرب أيضًا، كان يتركها فقط في فترة الغداء، هذه الفترة كانت مهمة جدًا بالنسبة إليه، كان يشعر أنه ينظر إلى العالم من منظور جديد، كونه أصبح مسؤولًا عن فتاةٍ جديدة، فهو أراد أن يصنع لنفسه شخصيةً جديدةً أيضًا، شخصيةً -على الأقل- لا تؤذيها!

أنهى طعامه وأوصل الطعام لغرفة فراس الذي كان جالسًا يدخن دون أن يفعل أي شيء آخر، يتصفح بعض الكتب القديمة، لم يكن مكتئبًا، وإنما لا يشعر برغبةٍ في المغادرة، كان يشعر بالشفقة عليه ولكنه لا يملك أي شيء ليقوله له، حياة فراس لم تكن تسمى حياةً قط، كان فقط يأكل ويشرب وينام ويدخن ويتحدث بالقليل طوال النهار ويفتعل الشجارات من فترةٍ لأخرى، ولكن هذا الحال كان نفسه من سنواتٍ، لذا لم يستطع أن يقول أي شيء له.

مساء تلك الليلة كان عائدًا إلى غرفته بينما يعبث بقلادته الذهبية بملل، وجد مولان تصعد أحد السلالم أمامه، لاحظ أنها تصعد نحو الطابق الخامس، لم يشأ أن يسألها شيئًا فألقى عليها تحية المساء وتوجه لغرفته، خلال ثوانٍ قتله فضوله الذي كان سبب معظم مشكلاته في حياته كلها، صعد الدرجات بخفة حتى لا تشعر به، وجدها تدخل إحدى الغرف لينسحب بعيدًا دون أن

يتدخل أكثر من ذلك، أخذ نفسًا طويلًا معبرًا عن انزعاج لا يعرف سببه عندما وجد مولان في الغرفة 561، هذا جعله ساخطًا بعض الشيء، لم ستذهب لفراس دون سبب؟!

شعرت به خلفها ولكنها تجاهلته تمامًا، طرقت الباب بخفة لتسمع صوت الشاب الأكبر يأذن بالدخول دون أن يسأل من الطارق، في الغرفة الصغيرة وجدته جالسًا على حافة نافذته يدخن بينما يحدق إلى القمر بالخارج، نظر إليها باستغراب ليحرك يده رافعًا شعره الطويل عن وجهه ويضيق عينيه الناعستين نحوها محاولًا تذكر أين رآها من قبل، ابتسمت بخفة محاولةً أن تبت جوًّا هادئًا بالمكان وقالت:

- مساء الخير.

- أنتِ...

صمت للحظات يحك ذقنه قبل أن يقول ببرود:

- أوه، لقد كنتِ تجلسين إلى طاولة هوشيار ذلك اليوم.

- نحن أصدقاء ونعرف بعضنا منذ وقتٍ طويل.

همهم لها كإجابة دون أن يقول أي تعليقٍ على كلامها.

- هل يمكنني الدخول؟

تابعت ليشيح بنظره عنها بملل دلالةً على عدم اكتراثه، أغلقت الباب وجلست على الكرسي المقابل للنافذة بينما تابعت:

- أعلم أن وجودي غير مرغوبٍ فيه، لذا سأقول ما لدي سريعًا.

همهم بلا مبالاة لتتابع على الفور:

- باختصار، أنا فتاةٌ مثاليةٌ تمامًا، هذا ما يطلقونه عليّ هنا، قدمتُ خدمتي

الاجتماعية طوال فترة وجودي هنا على أكمل وجه، التزمتُ بالقوانين

الواحد تلو الآخر بحذافيرها، كنتُ للتو عند السيد أزار وكان يخبرني

حول خروجي من الكمس، سأبلغ العشرين بعد شهرٍ من الآن.

نظر إليها مجددًا وتحديثًا أخيرًا:

- لماذا تخبريني بهذا؟

- لقد قضيتُ الشهر الماضي أتحضر لهذه الخطوة وأعدّها يومًا وراء يوم،

أنا طالبةٌ جامعية، وأيضًا أنا لم أخسر أي نقطة طوال فترة مكوثي هنا.

- مبارك.

همس بسخرية وهو يتابع التدخين لتتابع بجدية:

- أملك اثني عشر ألف نقطة، هل هذا جيد؟

ضيق عينيه ناحيتها مجددًا ولم يقل أي شيء، لم يعرف لماذا تخبره بهذا أو لماذا تتفاخر بتضاعف نقاطها، لم تحظ منه بإجابة لتتابع:

- أنتَ الشخص الوحيد الذي أعرفه أكبر عمرًا مني باستثناء تلك المجموعة التي افتعلت الشجار منذ نحو أسبوع في قاعة الطعام، الشخص الوحيد الذي يكبرني سنًا دون أن يخرج من هنا ويستحق أن أتى لأخبره بهذه الأشياء.

- يستحق؟

همس باستهزاء لترد بجدية:

- أجل، أنت تستحق، أما هاري ومن معه لا يستحقون أن أهتم بهم، سأخبرك بشيء كان يجب أن تعيشه قبلي، بالنقاط التي لديّ ألكمس الآن تؤمن لي كل ما أريد، لقد عُرض عليّ عشرات المنازل لأختار منها التصميم الذي يعجبني لأسكن به، لقد رُشح لي أسماء عشرات الشركات لأعمل معهم بعد تخرجي، وقد ترأس مشروع آرتي للفن المعماري القائمة، باختصار أنا سأخرج من هنا، سأسكن في المكان الذي أريده وسأعمل في أفضل عمل على الإطلاق.

- لماذا تخبريني بهذا؟

- شعرتُ أنني أريد أن أفعل ذلك وحسب، أريد أن أقول لك إنك تفوّت على نفسك الكثير من الأمور الرائعة في العالم الخارجي بسبب شخصيتك العنيفة هذه، لو أنك احتملت الأمر وصبرتَ لمدةٍ من الوقت فستخرج من هنا بحياةٍ أجمل مما كنتَ تحلم به.

قالت بسرعة ولم يستطع أن يمنع نفسه من الاعتراف بجرأتها لقدومها لغرفته في هذا الوقت لتقول له كل هذه الأشياء بتلك الطريقة، هز كتفيه بغير اكتراث وقال:

- الأمر منتهٍ بالنسبة إليّ، الدراسة والعمل وحتى العائلة أشياء أصبحت خارج نطاق حياتي.

- أنت تقول ذلك لأنك لم تجربه، فقط كن شخصاً جيداً للسنوات القادمة،
وحين تخرج ستكون في الثلاثين، يمكنك أن تحصل على منزل وعمل
وتبحث عن فتاة جميلة لتتزوجها.

- هل أنت حمقاء؟ ألم تكوني موجودة وقت حادثة إيلينا؟
- كنت...

أجابته بنبرة صوتٍ أخفض ثم نظرت إليه وتابعت:

- لكني لا أريد التحدث عنها الآن، أريد التحدث عنك، عن حياتك التي
انتهت هنا، أنت شابٌ بلا دراسة ولا حرفة ولا أحلام ولا سعادة ولا حتى
مستقبل.

- أنت حمقاء حقاً!

همس ضاحكاً وهو يطفئ سيجارته على زجاج النافذة ويتابع دون أن
ينظر إليها:

- في العالم الخارجي، هم لا يريدون شخصاً مثلي، ولا مثل هاري، لا
يريدون شخصاً نصف مجنون، هل يمكنك أن تفهمي؟ البقاء هنا، هذا
هو الأفضل للجميع وحسب!

- الشخص غير المرغوب فيه بالعالم الخارجي الكبير غير مرغوبٍ فيه
أيضاً ضمن هذا المجتمع الصغير.

قالتها بتحدٍّ وهي تقف مقابلة له لينظر إليها ببرودٍ شديد، رفع زاويتي
شفتيه بسخرية واضحة وقال:

- انتهت هذه المحادثة!

- لو أنك تعرف العالم الحقيقي لندمتَ على بقائك هنا.

قالت وهي تنظر إلى عينيه مباشرةً ثم انسحبت للوراء وغادرت، ابتسم
بسخرية لحظة اختفت من أمامه وهمس: «لو أنك تعرفين حقيقة هذا المكان
لندمتِ على قدومكِ إلى هنا، لندمتِ على سذاجتكِ».

الرنين العالي في الأرجاء دل على قدوم الساعة الحادية عشرة، بدأت
أضواء الغرف تُطفأً واحدةً تلو الأخرى، وكذلك الأضواء الكبيرة في الحديقة،
وفي تلك الليلة -كما غيرها من الليالي- كان ضوء القمر والضوء في غرفة
فراس هو النور الوحيد في الكمس حتى الصباح.

7

خرج فراس من غرفته أخيرًا في وقت الغداء في اليوم التالي، رآه الجميع في قاعة الطعام يبحث بعينه عن طاولة فارغة ليجلس إليها، بأخر القاعة الكبيرة كان هناك واحدة يجلس إليها لؤي وحده، سار نحوها وسحب الكرسي المقابل للشاب ليضع طعامه على الطاولة دون أن يقول أي كلمة، نظر لؤي إليه وحالما ميزه ابتسم بخفة وقال:

- مرحبًا.

نظر إليه باستغراب وكأنه يسأله إن كان يخاطبه ليضحك ويتابع:

- أنا صديق هوشيار.

لم يقل أي كلمة، وبعد لحظات امتلأت الطاولة بالعديد من الأشخاص بأعمار مختلفة، وعلى آخر كرسيين قريبين من لؤي جلس كل من هوشيار ومولان.

كان هوشيار يحاول أن يفعل أي شيء كي لا يبدو الانزعاج على ملامحه، كي لا يشعر أيٌّ منهما أنه لاحق مولان البارحة، كان متضايقًا من كونه لا يعرف أي شيء عما دار بينهما، لقد أدرك أن الفضول لم يقتل القطة وحسب، وإنما خرب مزاجها أيضًا.

أنهى طعامه سريعًا وخرج من المكان قبل البقية دون أن يتبادل أي كلمة مع فراس، توجه لمبنى التأهيل سريعًا ولكنه لم يجد (إيلاف) في المكتبة، مر على قاعة الطعام ليجدها جالسةً هناك تتحدث مع فتاةٍ بنفس عمرها تقريبًا، أدرك أنه استعجل كثيرًا ولكنه لم يفكر في مقاطعتها.

عاد للمكتبة وقلَّب في الكتب الكثيرة الموضوعة على الطاولة مفكرًا في الأشياء التي عليهما دراستها لتكون مستعدةً تمامًا للدراسة في هذه المدينة

الجديدة عليها، لم يكمل تأمله لأن باب المكتبة فُتح ودخل منه أصدقاؤه، ضرب على رأسه بملل وهو يرى المجموعة بأكملها تدخل المكان بعد أن وعدوه أن يأتوا إلى هنا ليتعرفوا إلى الفتاة الجديدة.

- عرفتُ لماذا لم نعد نراك إلا في فترة الطعام.

قال لؤي ساخرًا ليقب له هوشيار عينيه وكأنه يخبره بأنه لا يراه إلا في هذا الوقت أصلًا. اقترب منهم وقال بسرعة:

- لنخرج حتى لا نسبب الضجيج هنا.

- والفتاة الجديدة؟

- تتناول غداءها، سنجلس بالحديقة ريثما تنتهي.

- سأخبرها بأن تلحق بكم حين تعود.

التفت لمسؤولة المكتبة التي استمعت لكلامهم وتمتم بشكرها قبل أن يسحب يد لؤي ويخرج وخلفهما أمل ومولان التي تضحك بسخرية. خرجوا جميعًا ليجلسوا على الأرض في الحديقة الكبيرة قرب المبنى الخشبي، جلسوا في دائرة صغيرة وهوشيار استند إلى الجدار ورائه بينما قالت مولان ضاحكة:

- لا أذكر متى كانت آخر مرة دخلتُ فيها إلى هنا، ربما منذ ست سنوات.

- الدخول لمبنى التأهيل غير ممنوع، ولكننا لا نفعل ذلك لأننا لا نملك أي شأن في الداخل.

علق لؤي بسخرية لتحرك أمل رأسها وتضيف:

- وبالتأكيد لأن هناك الكثير والكثير لفعله فلا نجد وقتًا أصلًا.

- أليس لديكم خدمة اليوم؟

- إنه يوم العطلة من الخدمة هوشيار.

همست مولان بسخرية ليحرك لؤي رأسه ويتابع:

- أجل، ولكن أحدهم كان مصابًا ومشغولًا لذا نسينا كليًا.

رفع يده الملفوفة بالضمادات ينظر إليها بابتسامةٍ مستهزئة لتسأله أمل عن حالها، هز كتفيه بلا اكتراث ورد:

- بحالٍ أفضل الآن، أستطيع تحريكها والتحكم بها قليلًا.

- هذا جيد.

شعر بحركة بجانبه ليلتفت ويجدها واقفةً قريباً منه بينما تبتسم بإحراج،
ابتسم بخفة وقال:

- اجلسي، جميعاً قائلوا (إيلاف)!

جلست بينه وبين أمل وعلى وجهها علامات الإحراج ليتابع هوشيار:

- هؤلاء أمل ولؤي ومولان، أعرفهم منذ طفولتي هنا.

- تشرفتُ بمعرفتكم!

قالت بتوتر وهي تنقل نظرها بينهم، لقد قضت بالفعل الكثير من الوقت
معه وحسب، اقتحم فراس خصوصيتها لثلاثة أيام ولكنها لم تخض محادثةً
جدية مع أي شخص في هذا المكان.

نقلت نظرها بينهم للمرة الثانية لتبتسم أمل باطمئنان وتقول:

- لم يخبرك؛ أنا ولؤي إخوة توأم.

- حقاً؟ لا تشبهان بعضكما أبداً.

- لا داعي لإخباري بأني أكثر جمالاً منه حتى لا تنجرح مشاعره.

- لا تحاولي تخريب عقل الفتاة!

همس لؤي بتهديد لتتنظر إليه بتحدٍ وتقول:

- ماذا ستفعل؟

- سأدغدغكِ حتى تموتي.

حرك يديه ناحيتها لتنفجر ضحكاً قبل أن يلمسها حتى مما جعل مولان
و(إيلاف) تضحكان عليها.

نسمات هواءٍ جميلة جعلت الراحة تتسلل إلى قلبه وهو يستند برأسه إلى
الوراء ويسمع معاكسات لؤي وأمل، ينظر إلى السماء، وجود هؤلاء الأشخاص
حوله يعني له الكثير حتى وإن لم يعترف بهذا، كان يتمنى لو أنه يستطيع
أن يضع بهم كل ثقته ولكنه كان يخاف الخيبات، إلا أن بقاءه وحيداً كل هذه
السنوات كان سيصيبه بالجنون، الانتماء لمجموعة يجعل الأشخاص أقوى، هو
يشعر بهذا شيئاً فشيئاً.

- هل يمكنني أن أشارككم الجلوس؟

التفتوا جميعًا لصوت الشاب الذي تحدث ونهض لؤي من مكانه ليعانقه بقوة، كان (بسّام) ابن السبعة عشر عامًا ذا البشرة السمراء الداكنة والعينين البنيتين الواسعتين. فعل هوشيار المثل وضمه بنفس القوة وهو يقول:

- أين كنت؟ أنتَ مختفٍ تمامًا منذ أكثر من أسبوعين.

استغربت إيلاف فعلته ووجود شخصٍ آخر لا تعرفه، لم يكن هوشيار من النوع الذي يعانق الآخرين، كان عليها أن تعرف أنه جزءٌ من المجموعة وأن هذه المجموعة تعني شيئًا ما لقائدها.

لقد قال لها عدة مرات إن الجميع غير ودودين وأن عليها ألا تثق بأحد، في هذه الدقائق قد كسر كل شيءٍ قاله تمامًا.

جلسوا مجددًا وقد انضم فردٌ جديدٌ للحلقة لتلوح له أمل بسعادة ويومئ هو لمولان باحترام، أمال رأسه بتساؤل ناحيتها ليقول هوشيار:

- هذه إيلاف، ما زالت ضمن فترة التأهيل حاليًا ولكنها ستنتقل إلينا قريبًا.

- هل أصبحتَ قائدًا أخيرًا؟ لا أصدق!

تمتم ضاحكًا ثم التفت لها وقال:

- أنا بسّام، وأعتذر أنني لم أعرف بوجودكٍ لأنني كنتُ بعيدًا عنهم لفترةٍ من الوقت.

- لقد كاد لؤي يموت قلقًا عليك!

قالت أمل ليلكزها شقيقها بقوة، ضحك الجميع عليهم بينما ابتسم الشاب الأسمر بخفة وقال:

- أعتذر، حقًا أعتذر، لم أجد ولا دقيقةً فارغةً من الوقت لأبرر سبب اختفائي عنكم.

- ولا حتى في ساعات الفراغ؟

قال لؤي بلوم ليحرك بسّام رأسه نفيًا، كان هوشيار يعرف مسبقًا أن هذين الاثنين مقربان جدًا، وأنهما يقضيان معظم ساعات الفراغ المتاحة لهما

مع بعضهما. غياب بسام أثار خوف الجميع وقد كان صديقه منزعًا جدًا في الفترة الأخيرة، لم يستطع أحد أن يمنع الخوف من أن يسكن قلوبهم، فلم يكن من المعتاد في ألكمس اختفاء شخص ما دون سبب، نظر هوشيار نحوه باهتمام وسأل:

- ما الأمر؟ هل يمكنك أن تقول لنا لأننا كنا قلقين عليك جدًا!

تنهد مسندًا يديه إلى ركبتيه ورد بتعب:

- تعلمون جميعًا، أنا مسؤول عن شاب أصغر مني ببضعة أشهر يعاني سكري الشباب. ما حصل أنه عانى نوبة خطيرة منذ مدة واضطر أن يمكث لفترة طويلة في القسم الطبي قبل أن يُطلب منه البقاء في غرفته ويُعفى من كل خدماته الاجتماعية وواجباته الدراسية مع وضع نظام غذاء صارم والكثير من الأدوية التي عليه أخذها، بما أنني المسؤول عنه فقد تم إعفائي من أعمالي أيضًا للاعتناء به وتنظيم أدويته ومراقبة حرارته ونوباته طوال الوقت، تقريبًا أصبحت أمكث في غرفته وقد أنام هناك في حال كانت حالته غير مستقرة، كما يلزم عليّ إخبار أولئك المزعجين في المطبخ كل يوم عن صنع أصناف خاصة له وأتحمّل نظراتهم المزعجة وكأنني أطلب ذلك لتسليتي الشخصية. نحن أصدقاء مقربون، أشعر بالسوء تجاه مرضه وبالخوف عليه.

- ألا يجب نقله لمستشفى خارجي؟ أنت تعلم أن سكري الشباب قد يكون له مضاعفات كبيرة.

تساءلت مولان ليحرك بسام رأسه نفياً ويجيب:

- لقد قال الأطباء هنا إنهم لن يقدموا لنا شيئاً بالخارج أكثر مما فعلوا هنا، لا أريد أن أفقد الأمل ولكني يائس من هذا أيضاً. (مرر يده على وجهه بتعب وتابع) لقد كنتُ عالقاً في هذا لأكثر من أسبوعين، لذا لا أريد التحدث كثيراً عنه، هل يمكننا أن نغير الموضوع؟

قالها بتشتت وهو ينظر إليهم ليومئ هوشيار له بابتسامة مطمئنة بينما

تحدثت مولان:

- كما تعلمون، سأخرج بعد أقل من شهر من هنا، لذا أريد طريقةً للتواصل معكم.

- سنلتقي في الجامعة إن تم قبولي.

قال لؤي بتفاؤل ليقول هوشيار بصوتٍ خافت للفتاة بجانبه:

- لقد قدم امتحان القبول لدراسة هندسة العمارة، مولان تدرسها منذ سنتين، وهي تطمح للعمل في أحد المشاريع المعمارية.

- هل يمكنكم أن تحدثوني عن المشاريع المعمارية؟

وجّهت حديثها للؤي ومولان وبسام ليسترخي هوشيار في جلوسه بارتياح وقد رأى انسجامهم الجيد، الهواء داعب أجسادهم مجددًا ليشعر ببعض الحرقة في يده ولكنه قرر تجاهلها وزيارة القسم الطبي في المساء.

- هناك مئات المشاريع المعمارية المحلية، ولكن عند التحدث بشكلٍ عالمي فمشروع آر تي هو أقوى ما يوجد!

قالت مولان بابتسامةٍ فخورة وكأنها جزءٌ من المشروع ليتابع بسام:

- ناهيك بكونه أفضل مشروع معماري في العالم، فهو رابع أكبر مشروع عالمي من حيث عدد المشاركين.

- ما هي أول ثلاثة مشاريع؟

قالت أمل باهتمام، فهي لم تكن على اطلاع كبير حول الأمر، بالتأكيد الجميع يعرف المشاريع العالمية ولكنها لم تفكر في ترتيبهم من قبل، أو على الأقل لم يكن ضمن نطاق اهتماماتها، فكر بسام للحظة قبل أن يجيب:

- يأتي في المقدمة مشروع السلام العالمي، ثم مشروع profusion لاستثمار الثروات، ومشروع حياة المشروع الطبي الأقوى والأكثر سيطرة على الطب في العالم، ثم مشروع آر تي المعماري.

استمعت لكلامهم ومناقشاتهم الطويلة بعد سؤالها، وشيءٌ من الراحة النفسية العجيبة كان يتسلل لقلبها في ذلك الوقت، كانت تشعر أن العالم بخيرٍ تمامًا، وأن الكوكب يعمه السلام، وأنه لا شيء سيئ سيحصل مطلقًا، وأن وفاة والديها على الرغم من كونها أكثر شيء مؤلم حصل على الإطلاق، فإنه غير الكثير بداخلها، وجعلها في فترةٍ قصيرةٍ للغاية تكتشف جوانب

كبيرةً في نفسها لم تكن تعرفها، في تلك اللحظة بالذات شعرت أن كل هذا الألم الذي يسكن قلبها يمكن أن يُنسى، وشعرت أن الفاجعة المؤلمة التي حصلت معها على الرغم من كل ما حملته لها من أشياء سيئة، فإنها تعزو لها الفضل للتعرف إلى هؤلاء الأشخاص، لمعرفة هوشيار دوناً عن الجميع، لتسبر أغواره وتجعل همها إدراك ما يخفيه عن الجميع.

- أريد دراسة علم الفلك، كما تعلمين، في لوكيدي يحاولون البحث عن اهتماماتك منذ طفولتك ثم تركيز الاهتمام على ما ترغبين في دراسته في كل المراحل الدراسية الأخرى.

قال هوشيار لتومى له باهتمام وقد شعرت بالقلق لأنها لا تعرف اهتماماتها، لذا لا تدرك كيف ستكون الأيام القادمة، ابتسم بخفة قبل أن يضيف:

- ألم تري الكتب التي كانت موضوعاً على طاولتك؟ إنهم يحاولون دفعك لإيجاد أكثر ما تهتمين به حتى تعرفي اتجاهك.

- لا أعلم، تصفحتها جميعها!

بدا الملل على ملامحها ليضحك هوشيار بخفة وقد قرر أن خطوته التالية هي البحث عن الأشياء التي تهمها، بينما تجاهل الأمر في الفترة الحالية مركزاً على جلوسه مع أصدقائه.

مساء تلك الليلة سار معها ليوصلها إلى غرفتها بينما كانت تقفز على السلم درجةً تلو الأخرى، كانت المرة الأولى التي يراها بهذه السعادة مما جعله يرتاح بعض الشيء.

وصلت إلى غرفتها وفتحت الستارة ثم التفتت له وابتسمت قائلة:

- هل يمكنني أن أشكرك؟

- لأنني عرفتُك عليهم؟

- أجل، لقد أردتُ أن أسخر منك عشرات المرات متذكراً كم مرة قلتُ إنك وحيد ولا تملك أصدقاء، ولكن الآن أفكر، هل يمكنني أن أشكرك؟

- نحن نعيش مع بعضنا منذ سنوات، لذا فقد حظينا بالكثير من الأمور واللحظات معاً، هناك نشاطٌ سنويٌّ يعمل الجميع على تنظيمه بعضهم

مع بعض، لذا يمكنك أن تتخيلي كم تشاركنا لحظاتٍ مثيرة للاهتمام، الأمر فقط أنني أملك نوعًا من التحفظ حول استخدام كلمة صديق، وأنتي لا أذكر في يومٍ من الأيام أن وثقت بأحدهم لأخبي سري معه. وفي الحقيقة أنصحك بفعل المثل.

في نصف الجملة الأول كان حالًا جدًّا وسعيًا للغاية، حالما وصل للنصف الثاني شعرت أنه عاد لشخصيته القديمة مما دفعها لتسأل:

- ألم تفعل ذلك مطلقًا؟

حرك رأسه نفيًا لتضيف بحذر:

- ولا حتى مع فراس؟

- كان ذلك منذ زمنٍ طويل، وقد مضى...

ابتسم بخفة في نهاية جملته كأن الراحة تسكن قلبه لأن ذلك قد مضى ثم أضاف:

- تصبحين على خير.

أغلق الباب وتوجه عائداً لغرفته قبل أن يتنهد بخفة، متذكراً شيئاً قد عكر مزاجه قليلاً بين سن العاشرة والثانية عشرة، فقد تعلق بفراس وكأنه حبل نجاته، واستند إليه وكأنه جداره الثابت الوحيد في العالم الذي يتهاوى، لم يكن فراس يعامله بهذه الطريقة، ولكنه لم يكن يمانع أيضاً، حتى هذا الوقت ربما حزنه الأكبر أن هذا الجدار لم يعد هناك حين ينهار العالم فجأة، وندمه الأعظم أن كل ما حصل ليوصله هو وفراس إلى هذه العلاقة السيئة كان بسببه هو.

8

يومان وحسب يفصلان حتى تتأهل للدخول للمبنى الرئيسي، لم يعد هوشيار يراها كثيرًا لأنه كان مشغولًا تمامًا بإعداد غرفتها، كان عليه في البداية أن يطلي جدار الغرفة، ولكن لأن الطبيب منعه تمامًا من استخدام يده، فقد أرسلوا له (بسام) ليساعده لأنه كان أيضًا معفيًا من العمل في تلك الفترة، وقد كانت الحالة الصحية لمريض السكري الشاب مستقرة تقريبًا.

تولى بسام كل الأعمال اليدوية، وتولى هوشيار بقية الأعمال البسيطة التي يمكنه القيام بها بيدٍ واحدة، كان يضع اللمسات الأخيرة على الغرفة برفقة بسام وأمل التي جاءت لتقديم بعض المساعدة عندما حصلت على القليل من وقت الفراغ. عندما فُتح الباب دون استئذان، التفت الجميع إليه ليجدوا (فراس) واقفًا هناك بتعابير منزعجة على وجهه ليقول هوشيار:

- ما الأمر؟

- أريد التحدث معك بأمرٍ ما.

- هل يمكنني أن أنتهي من هذا أولًا؟

أشار إلى بعض الأغراض التي كان ينظمها ليحرك الأكبر رأسه نفيًا ويقول:

- إنه أمرٌ ضروري.

- أعتذر يا رفاق، سأعود بعد لحظات.

قالها وتوجه للخارج تاركًا (بسام) وأمل وحدهما. كان من الواضح أن هناك ما يزعجه، لذا لم يرد أن يتحدثا في الممرات، وقد فهمه الآخر دون أي كلمة وسارا معًا حتى غرفته حيث سيتمكنان من التكلم بحرية.

- هل تعرف نقاط الغرف؟

- قال فراس حالما أغلق الباب ليهز هوشيار رأسه نفياً بعد أن قفزت لذهنه كلمات السيد رافييل، وبعد ثوانٍ وجد نفسه يقول لا إرادياً:
- سمعتُ هذه الكلمة من قبل ولكنني لا أعرف معناها!
- بعض الغرف هنا مميزةٌ أكثر من غيرها، قد تكون أكبر حجماً أو أفضل من حيث إطلالتها على الحديقة أو تملك أي ميزةٍ أخرى، تدخل الشمس إليها مثلاً، هذه الغرف تملك نحو مئتي نقطة، ولكن لا يحق للشخص إلا أن يملك غرفة بمئة نقطة أو أقل!
- إذا...؟
- تساءل هوشيار باستغراب وهو يستند بجسده إلى الباب المغلق ليتنهد فراس ويقول:
- لقد ناداني أزار منذ لحظات، قال إن غرفتك مثالية، نافذتها على الحديقة وأول غرفة تدخلها الشمس في الصباح، وأنها الأكثر دفئاً في الشتاء البارد والأقل حرارةً في الصيف، وقد أعطاهم مئتين وخمسين نقطة!
- إذا، هل سينقص هذا من نقاطي؟
- نقاط الغرفة منفصلةٌ تماماً عن نقاط المقيم هنا، لذا حتى تستحق هذه الغرفة فيجب أن تنقص من نقاط الغرفة.
- إذا...؟
- باختصار كل هذا الهراء، سيجلبون لك شريكاً للغرفة!
- شريك؟

تمتم وهو ينظر إلى فراس بعينين متسعيتين، توقع أي شيء إلا هذا، لا يوجد أي شخصٍ في هذا المكان يملك شريك غرفة، لم يسمع بهذا القانون مطلقاً ولم يفكر يوماً أنه سيجد معه شخصاً آخر ضمن تلك الجدران الأربعة الصغيرة التي كانت مكان عزلته الوحيد، والتي -مهما نظر إلى الأمر- كانت منقذته الوحيدة وصديقه المؤنسة، لا يريد أن يملك شريكاً أياً كان الأمر، ولكن حين يصدر قرارٌ هنا يكون من الصعب تفاديته، بالذات إن كان أزار ساروس هو صاحب القرار.

الصدمة ابتلعت كلماته تمامًا، مهما فكر في الأمر ومهما ظن أنه قد استطاع فهم كل شيء حول هذا المكان، يُفاجأ بشيء جديد لم يكن قد سمع عنه من قبل مطلقًا، شيء ما يكون خارج نطاق كل توقعاته.

مشى عدة خطوات للأمام قبل أن يجلس على سريره محنيًا رأسه للأسفل، نظر فراس إليه بقلق لأنه توقع أن يزعجه الأمر، لكن الوجود على ملامحه يبدو كمن خسر شيئًا مهمًا جدًا، وهذه كانت حقيقة الأمر على أي حال.

الفتى الأكبر حمل بداخله طوال الوقت الكثير من المشاعر الجيدة نحو هوشيار حتى وإن كانت شخصيته العنيفة تحول دون إظهارها، يهتم بأمره مهما أظهر أنه شخصٌ لعينٌ لا يكثرث لأي أحد، ولهذا بالضبط كان خائفًا من قول الكلمات التالية له.

- هناك شيءٌ آخر يجب أن تعرفه...

قالها بصوتٍ خافت وهو يمشي مقتربًا منه، أومأ هوشيار دون أن يرفع رأسه لينحني لمستواه واضعًا يديه على ركبتيه مما دفعه لينظر بتوجس، لأن (فراس) لا يتعامل بهذه الطريقة إلا إن كان هناك مصيبة أكبر.

- شريك غرفتك الجديد، اسمه كارتال ساروس.

ضيق عينيه نحوه بتساؤل لأنه سمع هذا الاسم من قبل، تنهد فراس حين عرف أنه لن يفهم مقصده وأضاف بهدوء:

- إنه قريب آزار ساروس، ابن شقيقه الأكبر.

- لماذا؟

كانت الكلمة الوحيدة التي قالها بينما اتسعت عيناه على أشدها وقد فقد هدوءه المعروف به ليحرك فراس رأسه للجنتين ويجب:

- لا أعلم، كل ما أعلمه أنه في الرابعة العشرين من عمره، يتيم الأبوين منذ كان صغيرًا وقد رباه آزار في منزله.

- لم سيأتي إلي هنا إذا؟ هو بعمر العشرين، هو يملك عائلة!

قال بسرعة وكأن تقبل أي شيء كان سهلًا عليه إلا أن يكون شريك غرفته قريبًا لآزار، شخصٌ مهمٌ جدًا لديه، شخصٌ رباه كابنه.

- ماذا لو فكرت به على أنه حالة خاصة، مثلي ومثل هاري؟

ابتعد خطوةً للوراء ليجلس على الأرض ويمرر يده في خصلات شعره الطويل معيّدًا إياه للوراء قبل أن يقول:

- إنه ليس قادمًا إلى هنا لأنه يتيم، ألا يمكنك أن تفهم هذا هوشيار؟ إنها دار ألكمس للرعاية، ولم تكن (دار ألكمس لرعاية الأيتام) يومًا! إنه أحد أسرار هذا المكان اللعين، وأنتَ تعرفه جيدًا.

عند تلك اللحظة كل آمال هوشيار تحطمت أرضًا، غرفته الخاصة لم تعد له وحده، سيتشاركها مع شاب آخر، شاب لم يأتِ إلى هنا لأنه يتيم، شاب جاء لأن المجتمع في الخارج لا يريده، ولأنه يحتاج إلى مكانٍ يبقى فيه دون أن يغادر مطلقًا حتى لا يشكل أذيةً على مجتمع لو كيد المحمي، ويصبح تفاعله مع المقيمين في ألكمس نوعًا من التدريب الاجتماعي له ولهم، شاب مرفوض من الجميع سيقضي أيامًا طويلةً هنا وستستمر الإدارة في إنقاص نقاطه لأنه لا يستحق الخروج، لأنه لم يدخل حتى يخرج أبدًا، لأنه مجرم!

9

كان ذلك في عمر الحادية عشرة حين اكتشف هوشيار الأمر، أحد الأسرار التي من المفترض أن تبقى مخبأة ويجب ألا يعرفها الأيتام في آلكمس، صار شغله الشاغل أن يطرح الأسئلة.

«فراس، لماذا ترتدي ملابس مختلفة عن الجميع؟»

«فراس، لم تضع قلادة سوداء؟»

«فراس، لم لا يوجد شخصٌ مسؤولٌ عنك؟»

«فراس، كم نقطة تملك؟»

«فراس، ستبلغ العشرين في السنة القادمة، هل ستغادر؟»

«فراس، لم لا يحبك الآخرون؟»

سلسلة من الأسئلة التي كان فراس يسمعا ويتجاهلها، الجميع عرف أن هناك فتى يسأل كثيرا، وأن هذا الفتى يقضي كل وقته ملتصقا بفراس، وذات ليلة وصلت الأخبار إلى إدارة الدار ليأتي رافيل إلى غرفة هوشيار ويخبره بأن السيد آزار ساروس يريد رؤيته.

كان لقاءه الأول به وقد كان أبكر من المتوقع أيضا. آزار ساروس مدير آلكمس بأكملها جعله يجلس على إحدى الأرائك وأعطاه مجموعة من الأوراق يُشرح فيها معنى الجريمة والشخص المجرم والعقوبات القانونية للمجرمين عامة وللمجرمين تحت سن التكليف، لم يكن يعرف عنها أي شيء لأنه منذ بدأ يملك القليل من الوعي قد تربى هنا ولم يختلط كثيرا بالمجتمع. أنهاها الطفل الصغير ووضعها على الطاولة دون أن ينطق بأي كلمة لينظر إليه آزار من موقعه على كرسيه الجلدي ويحدق إليه بتلك العينين الزرقاوين اللتين يملكهما.

لم يقل له أي شيء يرضه، ولكن هوشيار الصغير انكمش على تلك الأريكة بخوف، دون أن ينطق أي كلمة، فإن أزار كان يملك حوله تلك الهالة المرعبة التي تجعلك تقول: «أريد الخروج من هنا سريعاً»، غير مكترث لم دخلت من الأساس، حتى الأشخاص الفضوليون يملكون حدوداً للأشياء التي يستطيعون التضحية بها في سبيل فضولهم، بالنسبة إلى هوشيار فقد كان متأكدًا أن هذه كل حدوده.

استمع لشرح أزار ثم خرج سريعاً راکضاً لغرفة فراس، عانقه وبكى على كتفه، وعلى الرغم من أن الأكبر لم يفهم سبب ذلك، فإنه واصل التربيت على ظهره بخفة وإخباره بأن الأمور ستكون بخير.

كان خائفاً جداً لأن مدير ألكمس نفسه أخبره بأن جزءاً كبيراً من هذا المكان يعد إصلاحية أحداث مختبئة خلف قناع الرعاية الاجتماعية، حينها فهم كل شيء، هناك مجموعة من الأشخاص -وهذه المجموعة هي فراس وبعض من أصدقائه- منبوذون من قبل الجميع، يرتدون ملابس مختلفة، حين دخلوا هذا المكان لم يعينوا شخصاً مسؤولاً عنهم، ولم يضعوهم في فترة تأهيل، وحصلوا على قلابات سوداء، أشخاص بطباع سيئة ملتزمون حول بعضهم بعضاً ويملكون الكثير من الكارهين.

نقاط فراس قليلة جداً، هذا جعله يعرف أن هناك حدًا من النقاط لا يمكنك أن تغادر إن لم تتجاوزه، حينها أدرك أن (فراس) لن يتجاوزه مطلقاً لأنهم سيخصمون من نقاطه لسبب أو آخر، كل تلك الأشياء التي أدركها جعلته يبكي بشدة معانقاً إياه، لأنه كان يحبه جداً، أربعته حقيقة أنه سيبقى عالقاً هنا طويلاً جداً، أربعته حقيقة أن ملجأه الوحيد وصديقه الأقرب الذي يلتصق به وكأنه والده مجرمٌ دخل إلى هنا لسبب ما بدلاً من إصلاحية الأحداث، ربما لأن مدينة لوكيد بُنيت على أساس واحد، المدينة التي تملك الجيل الجديد الأفضل، ويجب ألا تتخرب هذه السمعة بإنشاء إصلاحية أحداث.

بعد ذلك بأشهر عرف هوشيار جريمة فراس؛ والده كان يعنف والدته طوال فترة طفولته، يعود للمنزل ثملاً ويسبب أذياتٍ شديدة للأُم وابنها، في سن الخامسة عشرة لم يعد يحتمل الأمر وهاجمه مسبباً له إصابات أجلسته بالمشفى لسنوات وسببت له إعاقة دائمة في قدمه اليسرى، تمت معاملته

كمجرمٍ من مستوى عالٍ لأن مهاجمة والده دوناً عن غيره توحى باضطراباتٍ عديدة.

لم يفهم هوشيار ما معنى يعنّف، لم يفهم ما معنى اضطرابات، لم يفهم معنى أن يعود الأب للمنزل ثملاً ليخرب حياة ابنه، ولكنه كان متأكداً أن معاناة فراس كانت أكبر من الجميع لأنه آذى والده، حتى وإن لم يكن نادماً، ولكن يبقى الأمر مؤلماً.

ثمة فرقٌ كبيرٌ بين أن تتألم جراء فعلك لشيء ما، وبين أن تندم عليه، فراس كان يتألم حقاً حين يتذكر أن والده يُصنّف كـ «معاق» بسببه، ولكنه بالتأكيد ليس نادماً على هذا، كان يتألم وهو يعانق الطفل الصغير الذي كان وجوده المزعج نوراً في حياته، ولكنه شعر بدفء ذلك العناق ينتشر في صدره.

ما الذي عليك فعله إن كان الملجأ الوحيد الذي تملكه هو نفس المكان الذي عليك الهرب منه؟ واصل سؤال نفسه هذا السؤال مراتٍ تعد ولا تحصى في حياته، وحتى الآن لا يعرف إلى أي مدى يمكن أن يقودك العالم إلى حافته ويتركك مذعوراً من فكرة الهاوية! كان ألكمس هو الملجأ الوحيد الذي يملكه وما زال كذلك حتى سن السادسة والعشرين، لأنه لا يملك أي شيء في الخارج. لهذا على الرغم من كرهه للمكان، فقد كان لا يملك أي شيء ليفعله، لم يكن يعترض في حال ارتفعت نقاطه أو انخفضت، لم يكن هناك فائدة من عناد الأطفال في مواجهة الواقع الذي يعيش به، لأن أي واقعٍ آخر كان ليبدو سلسلةً أخرى من المعاناة التي لا مفر منها.

حين جاءته مولان لتخبره عن التحضيرات لخروجها مع عدد النقاط الهائل الذي تملكه، واجه الأمر بوجهٍ باردٍ وتعابير لا مبالية، لكن الحقيقة لم تكن كذلك، كان يشد على أعصاب يده حتى شعر أن عروقه ستنفجر، كان يدخن بشراهةٍ أكثر من المعتاد محاولاً أن ينفث غضبه بعيداً كي لا ينفجر بوجهها، كان يحدق إلى الخارج محاولاً ابتلاع الكلمات التي تجاسرت للوصول إلى حافة شفثيه ومنعها من الخروج بصعوبة، كان غاضباً بشدة، ليس لأنه يشعر بالغيرة، ولكن لأنه شعر أنه لا يحق له حتى أن يغار، لا يحق له حتى أن يتمنى الحياة!

منذ تلك الحادثة قبل سنوات قد أدرك هوشيار حقيقة وجود العديد من المجرمين بين جدران ألكمس، منهم هاري وفراس وكل المجموعة المرافقة لهم، كان يميزهم بكنزاتهم أو قلاداتهم المختلفة، وجود شخص جديد هنا ليس بالأمر الجلل، فقط عليه أن يحذر منه حتى يتأكد أنه ليس مؤذياً، وفي الغالب يكون هذا الشخص من النوع السيئ الذي يعاني العديد من مشكلات ضبط السلوك وينزوي لوحده أو ينضم للمجموعة سيئة السمعة التي كانت بقيادة فراس سابقاً وقيادة هاري حالياً.

ولكن هذه المرة الهرب من الشخص الجديد يعد ضرباً من المستحيل، سيكون قريباً جداً منه، ولن يستطيع أن يهرب منه مطلقاً، قدوم كارتال ساروس إلى غرفته هو دوناً عن الجميع كان له الكثير من التبعات الأخرى، وقد كان يملك صعوبة في حسابها أيضاً!

10

في تلك الليلة لم ينام جيدًا، في اليوم التالي كان شاردًا كثيرًا ولم ينطق إلا بالقليل من الأشياء بينما ينهي تجهيز غرفة الفتاة الجديدة برفقة بسام، وقد لاحظ الأخير حالته ولكنه لم يقل له شيئًا.

صباح اليوم الثالث كان عليه أن يكون صاحبًا أكثر ويتوقف عن التفكير السيئ، استحم في الصباح وارتدى قميصه الأبيض مع الخط الأسود على الذراع اليسرى، خرج للطابق الأول ليجد السيد رافييل واقفًا هناك كالعادة ولم يمنع نفسه أن يتساءل بسخرية متى ينام هذا الشخص، أراد أن يتوجه للمبنى الخشبي ولكنه وجدها واقفةً بجانب الباب بابتسامةٍ واسعة، ضحك بخفة وقال:

- أنتِ مستيقظةٌ باكراً هذا الصباح!

- ظننتُ أنني قد آخذ وقتًا في إعداد أغراضي، ولكن ليس معي سوى القليل.

قالت وهي تشير إلى الحقيبة الصغيرة التي كانت تحملها حين جاءت إلى هذا المكان قبل شهر، ليبتسم ويرد:

- ادخلي، سأعرفكِ على المكان في الداخل، وسيكون معنا بسام لأنه معفي من العمل أيضًا.

- أليس عليه الاعتناء بالفتى المريض؟

- إنه بحالةٍ جيدةٍ وقد تناول إفطاره منذ قليل وتركته في القسم الطبي ليقوم بالفحوصات الروتينية.

كان صوت الشاب الأسمر قادمًا من جانب الباب قبل أن يبتسم ويشير إلى الداخل محنيًا ظهره مقلدًا النبلاء ويقول:

- آنستي، مرحبًا بكِ في الكمس.

تقدمت عدة خطوات للأمام بترددٍ وحماسٍ كبيرين، خلف تلك البوابة الكبيرة كان هناك ردهةٌ واسعةٌ للغاية، الجدران كانت باللون الذهبي، وبتصميم ديكورٍ مذهبٍ كان هناك بعض الأرقام على الحائط لساعة إلكترونية، على الجانبين درجان كبيران يوصلان للطابق الأول الذي كان بوسعها رؤيته من بعض الشرفات الموجودة فيه، وعلى جانبي الردهة أبوابٌ كبيرة لم تعرف ما هي. بدأ هوشيار بقوله:

- في الطابق الأرضي هناك كل الأماكن المشتركة للجميع، المكتبة وقاعة الطعام وقاعات الألعاب والدراسة وأماكن تصفح الشبكة وبعض الأشياء الأخرى، في الأعلى هناك الغرف، الغرف مرتبة حسب أرقام الطابق والمجمع ورقم الغرفة.

- المجمع؟

تساءلت باستغراب ليرد بسام:

- كل عشر غرف تعد مجمعًا، تشترك في حمامٍ واحدٍ ومطبخٍ صغير في حال أردتِ إعداد فنجان من القهوة في المساء مثلاً.

تابع هوشيار:

- أنا في الطابق الرابع المجمع السادس الغرفة الرابعة، رقم غرفتي 464، هذا سهل، صحيح؟

أومأت بحماس ليبتسم بسام ويقول:

- ولدينا المفاجأة الجميلة، رقم غرفة الأتنة الجديدة 466.

- أوه، نحن في نفس المجمع!

قالت بسرعة وهي تنظر إلى هوشيار ليضحك ويقول:

- هذا صحيح. الأشخاص في المجمع الواحد أقرب بعضهم لبعض، في الأنشطة السنوية يعملون كفريقٍ واحد، وفي الأيام التي يعمل بها الجميع على التنظيف أو المشاركة في فعل شيءٍ مميز فيعملون بعضهم مع بعض أيضًا، لذا، من الجيد أننا معًا، سنحظى بوقتٍ ممتع.

- أريد رؤية المكتبة وقاعة الطعام.

- المكتبة أولاً، وقاعة الطعام سترينها في فترة الغداء.

أومأت له وسارت خلف الشابين إلى أحد الأبواب التي عرفت أنها ستوصل إلى المكتبة. حالما فتح هوشيار الباب وسارت خلفه فوجئت في الداخل بأعداد لا تُحصى من الكتب الموضوعة في الحافظات المعدنية المميزة.

كانت القضبان المعدنية مصطفة بعضها بجانب بعض على رفوف يبرز منها الوجه الجانبي الذي يحمل اسم الكتاب والكاتب، الرفوف كانت تشغل مساحات هائلة وبعضها مرتفع للغاية، كان هناك بعض السلالم التي تساعدك للوصول إلى هناك، أعلى كل مجموعة كبيرة كان هناك عنوان يشير إلى المجال الذي تتحدث عنه الكتب، الذكاء الصناعي، الفن المعماري، الرياضيات، الكيمياء، الطب، علم الفلك، الآداب، الفلسفة، وعشرات التصنيفات الأخرى تحت كل واحد منها مئات ومئات الكتب، لاحظت أن هناك شاباً أو فتاة جالسين أمام كل قسم من الأقسام، إما يقرؤون أو يرتبون الكتب ليخبرها هوشيار بأنهم يؤدون خدمتهم الاجتماعية هنا. في المنتصف كانت طاولات القراءة الكبيرة وعلى جانبيها عدد هائل من الكراسي، لم تسأل عن أرقام ولكن هذه المكتبة كانت تحوي بالتأكيد أكثر من خمسة عشر ألف كتاب!

- مولان تعمل هنا، تشرف على قسم الكتب الفنية.

لوح لها من بعيد ثم أشار لإيلاف وقال:

- سنأتي إلى هنا في وقت لاحق، لا نريد أن نقاطعها عن عملها.

في الخارج كانت تنقل عينيها بين جميع الأبواب الموصدة محاولة أن تعرف أي مكان جديد ستكتشفه الآن، دخلت قاعة الدراسة التي لم تكن مميزة كثيراً، احتوت على طاولات عديدة وكراسي، العديد من الأشخاص هناك كانوا بعمر هوشيار تقريباً واستطاعت أن تعرف أنهم يحضرون لامتحانات القبول، لم يكن هناك سوى شاب واحد في السابعة عشرة يؤدي خدمته الاجتماعية في المكان من خلال جلوسه على أحد الكراسي طوال الوقت والطلب من الآخرين التزام الهدوء في حال علت أصواتهم.

أغلق هوشيار باب قاعة الدراسة بعد أن اعتذر من الشاب على دخولهم المفاجئ. مقابل الباب كان هناك شاب آخر ينتظرهم، قبل أن يقول أي كلمة تقدم منه بسام بسرعة، واستطاعت من مكانها البعيد نسيباً أن تلتقط بعض الكلمات

بالإضافة لإشارات يديه وتعابير وجهه، فقد عرفت أن مريض السكري قد أصيب بنكسة سيئة، ركض بسام إلى القسم الطبي دون أن يعتذر منهما ليقول هوشيار: - أريد الذهاب لفك هذه الضمادة المزعجة، يمكنك مرافقتي والتعرف على مكان القسم الطبي.

فعلت كما أملى عليها، كان القسم الطبي في الطابق الأرضي أيضًا خلف الدرج الكبير، قبل أن تفتح بابه تظن أن المكان في الداخل هادئ مثل كل الأماكن التي رأتها في آلكمس حتى الآن، ولكن حالما تحرك يديك على المقبض المعدني ستشعر أن خلية نحلٍ كاملة في الداخل، كان هناك نحو سبعة أطباء وطبيبتين وثلاث عشرة ممرضة وسبعة ممرضين، وهذا الرقم كان أكبر من أن تراه في أحد أقسام المستشفيات المتواضعة، وصفه هوشيار بالمتكامل بقوله إن الأطباء يستطيعون معالجة أي حالة تمر عليهم، وأنه لا يذكر طوال فترة إقامته هنا أن احتاجوا إلى نقل أي شخصٍ لخارج المكان، وقد يكون منير مرؤوس بسام هو الاستثناء الأول.

جلس على أحد الأسرة الفارغة وساعده أحد الممرضين في فك الضمادة التي تحيط بيده ثم عقمها له قبل أن يستدعي له الطبيب ليفك القطب، لم يكن هوشيار مركزًا مطلقًا، عيناه كانتا على بعد خمسة أسرة حيث كان بسام ينحني على الفتى، يربت على رأسه بحنان، يساعده على الاستلقاء براحة ويعدل له غطاء سريره، بينما كان الفتى مغيبًا تمامًا عن العالم، لاحظ أنه يحدثه بلا توقف ويبتسم بين كلمةٍ وأخرى، وعرف حينها أنه يخبره ببعض الجمل التحفيزية؛ أن الأمور على ما يرام، أنه سيكون بخير... على الرغم من أن الفتى لم يسمعه على الأرجح.

نظر إلى الفتاة الواقفة بجانبه ليجدها تتابع المنظر نفسه بأعين مغلقة بالحزن، ولو لم يكن قد عرفها جيدًا خلال الفترة الماضية لفكر أنها ستبكي على حالهما، ربما كانت فتاةً بكاءةً بعض الشيء، ولكنها عقلانية للغاية، تحترم المكان والموقف والأشخاص، فعل هذا هنا كان غير مناسب، ولو أن (منير) شعر بالأمر ولو قليلاً فإن هذا سيحطم قلبه.

- لنأمل ألا يترك هذا أثرًا.

صوت الطبيب قاطع شرودهما في المشهد لينظر كلاهما إلى أثر القطب التي فكها الطبيب لتوه، في ذلك الوقت أدركت أكثر من أي وقت مضى كم كان

صَادِقًا حِينَ أَخْبَرَهُ إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْمِيلِمِتْرَاتِ كَانَتْ تَفْصِلُ بَيْنَ جِرْحِهِ الْعَمِيقِ وَفَقْدَانِهِ لِأَصَابِعِهِ.

ضَمَّ كَفَّ يَدَيْهِ وَبَسَطَهَا مَرَاتٍ عَدَّةً مَحَاوِلًا اعْتِيَادَ الشُّعُورِ بِهَا حَيَّةً مُجَدِّدًا، اخْتَفَى الطَّبِيبُ عَنِ الْكُرْسِيِّ الْمَقَابِلِ لِسُرِيرِهِ ثُمَّ عَادَ لِيَضَعُ مَرْهَمِينَ فِي يَدَيْهِ وَيُشِيرُ إِلَى أَحَدِهِمَا بِقَوْلِهِ:

- هَذَا سَيَسَاعِدُ عَلَى تَرْمِيمِ الْجِلْدِ، وَالْآخَرُ سَيَسَاعِدُ عَلَى عَوْدَةِ الْمُرُونَةِ فِي الْعَضَلَاتِ، اسْتَعْمَلْهُ بِطَرِيقَةِ التَّدْلِيكِ.

بَدَأَ يَشْرَحُ لَهُ لِتَلْتَفَتَتْ عَنْهُمَا وَتَنْظُرُ إِلَى بَسَامٍ مُجَدِّدًا، كَانَ جَالِسًا عَلَى الْكُرْسِيِّ بِجَانِبِ السَّرِيرِ الَّذِي يَرْقُدُ عَلَيْهِ الْفَتَى الْمَرْهُوقُ، يَعْقِدُ زُرَاعِيهِ أَمَامَهُ وَيَحْنِي رَأْسَهُ قَلِيلًا مَحْدَقًا إِلَى نَقْطَةٍ فِي الْفِرَاقِ.

- لَنْخْرُجَ مِنْ هُنَا، لَا يَسَعُنَا قَوْلُ شَيْءٍ لَهُ.

قَالَهَا هُوَشِيَارٌ حَالِمًا انْتَهَى مِنْ كَلَامِهِ مَعَ الطَّبِيبِ لِتَوَمُّؤٍ لَهُ عَلَى الْفُورِ، أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهَا عَلَى قَاعَةِ الْإِنْتَرْنَتِ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَعُدْ تَمْلِكُ نَفْسَ الْحِمَاسَةِ الَّتِي كَانَتْ لَدَيْهَا قَبْلَ لِحْظَاتٍ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُوَصِّلَهَا إِلَى غُرْفَتِهَا حَتَّى تَضَعَ حَقِيبَتَهَا هُنَاكَ.

صَعَدَا إِلَى الطَّابِقِ الرَّابِعِ بِاسْتِخْدَامِ الْأَدْرَاجِ وَأَخْبَرَهَا بِأَنَّ الْمَصَاعِدَ مَوْجُودَةً وَلَكِنْ عَادَةً يَتَجَاهَلُهَا مَنْ يَسْكُنُ فِي الطَّوَابِقِ الْأُولَى حَتَّى لَا يَسْبَبُوا الزَّحَامَ مَعَ الطَّوَابِقِ الْأَعْلَى، حِينَهَا عَرَفَتْ أَنَّ هَذِهِ قَاعَةٌ صَغِيرَةٌ وَضَعَهَا الْمَقِيمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَبِمَا أَنَّهَا الْقَاعَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَشْخَاصٍ يَمَاتُلُونَهَا تَمَامًا، فَقَدَ فِكْرَتْ أَلَّا تَكْسِرَهَا مَطْلَقًا.

أَشَارَ لَهَا إِلَى الْعَلَامَةِ الَّتِي تَمِيزُ الْمَجْمَعَ، وَهِيَ لَوْحٌ خَشْبِيٌّ مَقْصُوصٌ بِعِنَايَةٍ وَمُدْهُونٌ بِاللَّوْنِ الذَّهَبِيِّ مَعْلُوقٌ عَلَى جَانِبِ الْجِدَارِ الْأَبْيَضِ وَعَلَيْهِ أَحَدُ الْأَرْقَامِ اللَّاتِينِيَّةِ. بَعْدَ تَجَاوُزِهَا الْمَجْمَعَاتِ الْخَمْسَةَ الْأُولَى فِي الطَّابِقِ الثَّلَاثِ وَجَدَتْ حَرْفِي VI عَلَى اللَّوْحِ الذَّهَبِيِّ، انْتَبَهَتْ لَوْجُودِ بَابٍ مَغْلُوقٍ يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ مَجْمَعَ، وَقَدَ قَرَّرَتْ فَتَحَهُ عِنْدَ مَجْمَعِهَا لِتَجِدَ فِي الدَّخْلِ ثَلَاثَةَ أَبْوَابٍ أُخْرَى يُوَصِّلُونَ لِمَطْبِخٍ وَحَمَامِينَ.

- مَرْحَبًا بِكَ فِي غُرْفَتِكَ.

قالها هوشيار حين فتح باب غرفتها، كانت تشبه غرفتها السابقة كثيرًا، وضعت حقيبتها على الأرض بجانب السرير واقتربت لتتصفح الكتب بينما سحب الكرسي وراقبها بصمت. لم تكن الكتب مختلفةً عن تلك الموضوعية في غرفتها سابقًا، كتبٌ حول موضوعات عديدة ومختلفة، ابتسم بخفة حين لاحظها تغلق واحدًا وتفتح الآخر وتكلم أخيرًا:

- حين دخلتُ غرفتي لأول مرة كنتُ طفلًا في العاشرة، وعلى الرغم من ذلك وجدتُ الطاولة ممتلئةً بمراجع أولية لعلم الفلك، لقد استطاع المسؤولون عني في المكان المخصص للأطفال معرفة الأشياء التي تثير اهتمامي من الأسئلة التي طرحتها حين كنتُ طفلًا صغيرًا، ولكن أنتِ، يبدو أنهم لم يستطيعوا التحديد.

- أجل، ولكن كما قلت، إن أردتُ أن أكمل دراستي هنا فعلي أن أعرف ما الشيء الذي أفلح به حقًا.

- افتحي الخزانة.

نظرت إليه باستغراب ثم توجهت للخزانة لتفتحها، وجدتها ممتلئةً تمامًا بالقمصان، جميعها تملك الشكل نفسه، قميصٌ أبيض من قماشٍ ذي ملمس ناعم، على ذراعه اليسرى خطٌ ملون، لم تكن القمصان تختلف بعضها عن بعض إلا بالألوان الخطوط المتعددة، التفتت له لتلاحظ اللون الأسود على ذراع قميصه مما دفعها لتسأل:

- ماذا تعني هذه الألوان؟

- ألوان القمصان لا تعني شيئًا، ولكن ألوان القلادات تشير إلى العديد من الأشياء.

لمست قلادتها الزرقاء من أعلى كنزتها ليبتسم ويقول:

- لا أعلم التفاصيل في الحقيقة، ولكن قلادة زرقاء على الأغلب تعني أنك شخصٌ جديدٌ هنا، الجميع حصل على أزرق في البداية.

- والذهبي؟

تساءلت عن لون الحجر اللامع في قلادته ليحرك رأسه للجنتين ويقول:

- لا أعلم صدقيني، ولكن هناك شيئًا لا بد من الإشارة إليه بهذه الألوان، حصلتُ على الذهبي من سنتين وقبلها كان لدي أرجواني وأخضر وبني وأزرق.

- نظرت إليه بفضول بينما تجلس براحة على السرير مقابلة له ليبتلع ريقه ويقول:
- على الأقل أنا متأكدٌ أن هناك معنى، ثمة مجموعةٌ من الأشخاص يضعون قلاباتٍ سوداء، حاولي تفاديهم قدر المستطاع.
 - فراس مثلًا؟

قالتها بسخرية ليومئ ويرد:

- فراس وغيره، هناك العديد ممن يضعون هذا اللون، وأي شخص عمره فوق العشرين وما زال هنا فمن الأفضل ألا تتعاملي معه أبدًا.
- يمكنني أن أفهم.

قالت وهي تحرك رأسها للأمام والخلف، كان متأكدًا أنها فهمت تفصيلًا مثل أنهم سيئون مثل فراس، فيجب ألا تقترب منهم، لا سيما أنه أخبرها بأن فترة الإقامة تطول كلما أساء الشخص التصرف. ابتسم داخليًا لأنها مهما فكرت لن تصل مطلقًا لفكرة أن هؤلاء ليسوا يتامى عاديين.

- كل مكان تعيشين فيه عليكِ اتباع قوانينه، ولا أظن أنني بحاجة إلى شرح أن عليكِ ارتداء أحد هذه القمصان دائمًا، لقد أثقلتكِ بالقوانين في الفترة السابقة ولم يعد لدي ما أقوله سوى أن تلتزمي بها حتى تعيشي حياة أفضل حين تخرجين من هنا، النقاط هي أموالك، والسيرة الذاتية التي ستؤمّن لكِ فرصة عملٍ أفضل، باختصار، إنها الحسنات التي ستدخلكِ إلى جنة لو كيد، أعلم أن هناك الكثير من الأشياء لاتباعها، ونظام الحياة المنضبط والروتيني صعبٌ للغاية، ولكن، لأجل الأيام القادمة.

أومأت له بخفة وهي تمسك الوسادة وتحضنها بيديها متذكّرةً عائلتها، كان والدها يكره الالتزام ويحب أن يذهب في نزهة كل فترة، وكانت أمها تغير ترتيب الأطباق على المائدة كل صباح حتى تغير الروتين، لم يتركها هوشيار تفكر كثيرًا لأنه تابع:

- الآن، لنأتي للتفاصيل المهمة، كيف تعرفين نقاطكِ؟ كل شخصٍ معنا لديه شيء يسمى تعريف دخول، هذا التعريف يحمل بداخله شريحةً ذكية تحفظ نقاطكِ بها، كل مرة تدخلين بها إلى هنا يجب أن تظهره لرافيل حتى يعرف أنك من المؤهلين، وهناك ماسحٌ للشريحة الذكية في برهة الطابق الأرضي، هي ستخبركِ بنقاطكِ.

- شريحة ذكية!

قالت بلهجة جمعت بين المتعة والسخرية، أوماً لها ورد:

- مثلاً، حين تأخذين صحن طعامك وترجعينه فارغاً فإنها ستحسب أنك أكلت في الوقت لهذا اليوم، والشريحة مسؤولة عن إضافة النقاط لك في حال التزم بمواعيد الوجبات بانتظام، وأيضاً، بمجرد أن أقول لك إنني سأخضم منك بعض النقاط فإنها ستترجم كلماتي هذه على أنها صيغة جدية للخصم من شخص يحق له فعل ذلك وتنفيذ الأمر أو العكس.

- ماذا لو كانت تخدعني؟

- لا يوجد لديها سبب لتفعل!

قرر أن يختصر الأمر عليها بمنحها بعض الإجابات:

- لقد جربتُ حساب نقاطي لستة أشهر كاملة، ولا يوجد أي خطأ بها، إنها تعتمد على الذكاء الصناعي ويمكنها أن تحلل العديد من الأمور، لقد جربت في عديد من المرات التي نطق بها فراس كلمة خصم منتي نقطة من باب السخرية ولم تحتسب الخصم، حين تغيبتُ عن الخدمة الاجتماعية لشهرٍ كامل بسبب إصابتي لم تسبب لي الشريحة أي مشكلة في الخصومات بعدّي معفيًا.

- واو.

قالتها ضاحكة ليوميء ويقول:

- كانت ردة فعلي أيضاً، هذه الشريحة تحسب لك النقاط كما لو كانت تعيش معك، كما لو أنها أنت، المقيمون هنا اعتادوا تسمية النظام الذكي بداخلها (عين القانون).

- إذًا، ما هو تعريف دخولي؟

تساءلت بحماس لبيتسم لحماسها الكبير. أخرج علبةً صغيرةً من جيبه وقال:

- إنه لك، حافظي عليه.

فتحت العلبة لتجد سوارًا فضي اللون وضعته بيدها لترى ضوءًا صغيرًا

يعمل عليه قبل أن ينطفئ فورًا، نظرت إلى هوشيار وقالت:

- إنه مثل تعريف فراس.

حرك رأسه للأمام والخلف وتذكرت حين أخبرها فراس بأن هناك طريقة لمعرفة عدد نقاطه، ثم حدق إلى سواره بملل.

نظرت إليه بفضول وقالت:

- ما هو تعريفك؟

رفع حافة قميصه لتراه معلقًا على حزام السروال الذي يرتديه، كان دبوّسًا مما يوضّع على ياقات القمصان الرسمية يحمل شكلًا غريبًا تراه لأول مرة، وقد ساعدها حين نزعه من مكانه وناولها إياه لتراه بسهولة، بدا الشكل هندسيًا ولكن بطريقة ما كأنه شخص، رأت هوشيار يعلقه على قميصه بضغمرات، لم تتوقع أنه تعريف دخوله، أو أن التعاريف قد تكون بهذا الشكل أيضًا.

- ما الذي يعنيه؟

تساءلت مشيرةً إلى الرسم الهندسي ليقول بجدية:

- لو قلتُ لك إن هناك محاربين يحملون سيوفًا بين النجوم، هل ستصدقين ذلك؟

ضيقَت عينيها نحوه باستغراب، قبل أن تطرح عليه دسّة الاستنتاجات الفلسفية التي قفزت لذهنها وتابح بابتسامته الدافئة التي لم تكن ترتسم على شفّتيه إلا حينما يتحدث عن النجوم:

- إنه شكل مجموعة نجمية في السماء، محاربٌ يحمل سيفًا ويحيط بخصره حزامٌ من النجوم.
- أنت مهووس حقًا.

قالت بجدية وهي تنظر إليه قبل أن تعيده له ليعلقه على قميصه وهو يرسم ابتسامةً صغيرة، ثم قال مغيرًا الحديث:

- سأذهب إلى غرفتي قليلًا. سأتي لأخذكِ وقت الغداء.

أومأت له بابتسامة صغيرة ليتوجه خارجًا، حين أصبحت وحدها ضحكت لعالمها الجديد، وبعدها برد حماسها فورًا، نفس المكان، نفس الأشخاص، نفس الغرفة التي لم يتغير بها إلا نافذتها التي تطل على حديقة آلكمس الكبيرة، وما زال الحال نفسه دون والدين ودون أن تصلها زيارة واحدة من عائلتها.

عاد هوشيار لغرفته ليستلقي على سريريه وقد ارتاح من هذه المهمة أخيرًا، لن يعود مسؤولاً عن كل تصرفاتها الآن، ستتدبر كل أمورها وحدها، كل ما يعنيه لها أنه قائدها، حدق إلى السقف لوقتٍ طويلٍ مفكرًا في زميل غرفته المرتقب، سيكون معه قريبًا ما داموا قد اتخذوا القرار بذلك، ولن يمر بفترة تأهيل، بل سيجده يقلق راحته دون مقدمات، وضعه معه في غرفةٍ واحدةٍ كان وراءه غايةً حتمًا...

وقت الغداء ذهب إلى غرفتها ليجدها ترتدي أحد القمصان البيضاء مع سروال عادي، قادها إلى قاعة الطعام ليهولها مظهرها الضخم، وعلمها مكان أخذ الطبق الفارغ وكيف تمر على المسؤولين عن المطبخ لتملأه، والمكان حيث تنظفه وتضعه فيه قبل مغادرتها، ثم جلسا إلى طاولةٍ وحدهما بعد أن لوحث لمولان وأمل ولؤي من بعيد، إذ لم يكن هناك مكان فارغ على طاولتهم. كانت عيناه معلقتين بجانب الباب ينتظر دخول فراس، هذا ما كان يفعله كل يوم، في حال لم يكن يأتي كان يأخذ طعامه إلى غرفته، هوشيار كان يتفهم رغبته في الاختفاء أحيانًا على الرغم من أنه لم يظهر هذا كثيرًا.

مر على حادثة إيلينا سنوات عديدة، لم تكن تُذكر ولا يُشار إليها ولا يُنطق باسمها أمام أحد، كان يعرف أن الأمر يؤدي (فراس)، ولكن السنوات التي مضت جعلته يتعامل مع ذلك على أنه شيءٌ اعتيادي، تلك اللحظة حين قال اسمها وردَّ عليه فراس «فقط لا تقله مجددًا»، فقد تذكر حقيقةً كانت مخبأةً في اللاوعي لديه، هذا الشاب الذي يراه أمامه كصرحٍ قوي لا يهزه شيءٌ وينفجر غضبًا عندما يريد ذلك ويبرح كل شخصٍ يزعجه ضربًا ويتعامل بعنفٍ شديد، هذا الشاب الذي يدخن أكثر مما يتنفس وتخرج الكلمات التي يريد أن ينطق بها من فمه دون أن يكثرث إلى أين ستصل به، وهذا الشاب الذي قد خسر في

حياته أضعاف ما اكتسب... يحمل في قلبه جرحًا كبيرًا وغائرًا، قديمًا للغاية ولكنه يؤلمه جدًّا أيضًا، ينزف مجددًا أيًّا كان من ضغط عليه.

كل شخصٍ نكَّره بالندوب في صدره كان قد أضاف له واحدًا جديدًا، ذكره كم هو مشوه، وبطريقةٍ ما كان يكره هذا لأنه مدركٌ لهذه الحقيقة، سيثور، كوحشٍ هائجٍ جريحٍ يبحث عن الأمان ويريد أن يبتعد عن كل البشر.

قبل أن يخلد للنوم في ليلة الشجار، أُعيدت الأحداث في ذاكرته، علق تمامًا عند صورة فراس وهو يرمي الطبق الزجاجي على رأس الشاب دون أن ترف له عين، توقف طويلًا يتذكر تعابير وجهه الغارقة بالبؤس، عينيهِ المنطفئتين، يديه التي تتخلل خصلات شعره، ونظراته التي تهرب من النافذة حتى لا تواجه الواقع الخانق ضمن حدود غرفته الصغيرة.

من باب قاعة الطعام الكبير دخل فراس ليخفض بصره إلى طبقه بعد أن اطمأن على ذلك، وما إن وقعت عيناه عليهما حتى توجه إلى نفس الطاولة، ليجلس مقابل الفتاة الجديدة مباشرةً.

- مبارك انضمامك للمكان!

قالها بنبرة عادية وكأنهما صديقان قديمان متجاهلاً كم حاولت الهرب منه في الأيام الثلاثة التي علقت فيها معه، لتنظر إليه بتوجس قبل أن تومئ إيجابًا وترد بابتسامةٍ صغيرة:

- شكرًا لك.

التفت لهوشيار متجاهلاً إياها تمامًا وتابع كما لو أنها غير موجودة:

- كيف حال يدك؟

رفعها ليرى علامات القطب التي فكها هذا الصباح ليضيق عينيهِ نحوها ويهمس:

- ألا تؤلمك؟

- لا، فقط تحتاج إلى بعض التدليك لأستطيع استخدامها مثل السابق، وعلى الأغلب لن تترك ندبة.

- هذا مريح.

قالها بابتسامةٍ صغيرة، واستغربت إيلاف أن هذين الشخصين يتحدثان مع بعضهما بهذه الطريقة الطبيعية وقد شعرت سابقًا أن ما بينهما ليس سوى علاقة سيئة وشجار مستمر، بينما تابع فراس مستمراً في عداها غير موجودة:

- أين هاري؟ هل مات؟

نظرت إليه باستغراب من السؤال المفاجئ الذي قاله بينما ابتلع هوشيار اللقمة التي في فمه ورد بملل:

- لم تهتم بذلك الكائن ذي الرأس الأحمر؟

- كل فترة أتذكره وأصلي لكي يموت، أريد أن أعرف كي أتوقف عن ذلك.

اختلفت بالطعام في فمها وسعلت لينظر إليها هوشيار ويربت على ظهرها بخفة، نظرت إلى فراس وكأنها لا تصدق أن هذا الكلام صادرٌ منه، لينفجر الأخير ضحكًا بصوتٍ عالٍ ويقول:

- ألا أبدو من النوع الذي يتمنى الموت للآخرين؟

- فقط... لا تبدو من النوع الذي يقول هذه الأشياء بهذه الطريقة!

- لا يهم، أين هو؟

- مكث تلك الليلة في القسم الطبي بعد أن خيَطَ جرح رأسه، وبعدها لم يعد يأتي إلى هنا، يبدو أنه يحاول تجاهلك.

- أوه، لهذا كان في غرفتي هذا الصباح!

هذه المرة كان هوشيار من نظر إليه بصدمة، ترك الملاعقة من يده، وحدث إليه للحظات قبل أن يتنهد بنفاد صبر ويسأل:

- ماذا يريد؟

- كان فقط يعرض عليّ صفقةً بشأن العودة لمجموعتهم وجعلي القائد مجددًا، بما أن الصبي الصغير الذي أكل رأسي قد أصبح واعيًا.

ظهرت تعابير الاشمئزاز على وجه هوشيار حين تم نعته بتلك الجملة، وقد كانت تلك التعابير جوابًا كافيًا لفراس ولم يقل بعدها أي كلمة، ليكمل الأكبر:

- تعلم شيئاً، لدي الكثير من الأمور لأستفيد من هاري بها، إثارة حنق آزار لوحدها سببٌ كافٍ لهذا.

- لم أسمع اسم هذا الشخص كثيراً هذه الفترة؟

تمتم هوشيار وهو يرجع مستنداً إلى ظهر كرسيه بملل وقد فقد شهيته للطعام، وتابع فراس:

- الحقيقة أن كل ما قاله هاري كان مقنعاً، كان مثيراً للشك بما أنه قد مكث ليلةً في المستشفى بسببي واختفى لشهر حتى لا نلتقي مجدداً، ولكنه ما زال مغرباً.

- هل تطلب مشورتي الآن؟

نبرة صوت هوشيار الجامدة أخفت وراءها الكثير من الانزعاج، وعشرات الأمور التي أراد قولها وابتلعها، ابتسامةٌ ساخرةٌ قابلته من فراس وكأنه يتساءل إن كان قد طلب رأيه من قبل، قبل أن يجيب بتعبير هادئ:

- أنا لن أعود لتلك المجموعة، لم أكن سعيداً وقتها أصلاً.

لم تعد إيلاف تفهم أي شيء عما يدور بينهما، تنهد هوشيار والتقط ملعقته متابعاً تناول الطعام ليضيف فراس:

- هاري يعلم أنني لستُ جيداً مع آزار، ويعلم أن الأمر لن يستمر هكذا للأبد، وأن هناك مخرجاً من هذه الحالة السيئة، لذلك يقول لي إن البقاء معاً وفعل الأمور القديمة نفسها سيكون انتقامنا، سيكون الثمن الذي سيدفعه آزار، هذا جعلني أفكر، هذا الشاب يملك عقل طفل.

- إنه كذلك، لا يمكن أن يتغير.

همس هوشيار بسخرية ليبادلته فراس الابتسامة الساخرة نفسها قبل أن ينقر بإصبعه على الطاولة وينهض من مكانه حاملاً طبق الطعام الذي لم يأكل منه أي لقمة، ليضعه ممثلئاً في نفس المكان حيث يجب أن يغسله، وعلى الرغم من علمه أن هذا يخضم من نقاطه، فإنه لم يشعر برغبة في الأكل.

لاحقته إيلاف بنظراتها حتى غادر قاعة الطعام بأكملها ثم التفتت للشاب بجانبها ليتنهد ويقول:

- حتى أنت لا يمكن أن تتغير.

- من هو هاري؟

همّ أن يقول صديقًا قديمًا لفراس، ولكن رؤيته للشاب الأصهب يدخل من باب القاعة جعلته يقول:
- صاحب الرأس الأحمر.

التفتت إلى حيث كان ينظر ولم تمنع نفسها من ضحكة صغيرة بسبب وصفه الساخر، تابعت تناول طعامها دون أن تسأل عن آزار، بينما راقب هوشيار مجموعة هاري من لحظة دخولهم حتى جلوسهم على طاولة قريبة، والتقاء عينيه بعيني هاري الزرقاوين سبب له تشنّجًا مزعجًا في عضلاته، ليس بسبب الخوف أو التوتر، بل ذاك الذي تشعر به حين تعيش موقفًا لم تفكر يومًا في عيشه، وحينما نظر هاري إلى الفتاة طويلًا بابتسامة رفعت زاويتي شفثيه بسخرية، فقد تحول ذلك إلى شعور التوتر الذي يحاول الهرب منه.

- بالمناسبة، هاري ومجموعته من أصحاب القلادات السوداء ومن الأفضل تجنبهم.

نظرت إليه للحظات ثم التفتت لهاري الذي جلس بأريحية في مكانه قبل أن تومئ دون أن ترد عليه بأي كلمة.

12

مساء تلك الليلة دخل غرفة فراس ليجده مستلقيًا في سريره، كانت الساعة العاشرة والنصف، مما دفعه ليسأل باستغراب:

- هل ستنام في هذا الوقت الباكر؟

- أشعر ببعض الإرهاق، من الجيد أنك أتيت لتطفئ الضوء.

أومأ له وأطفأ الضوء ثم دخل ليجلس على الكرسي مقابل السرير، لم يخرج على الرغم من أنه أخبره بأنه يريد النوم، رؤيته نائمًا في هذا الوقت المبكر وهو الذي يبقي ضوء غرفته مفتوحًا حتى الصباح كان شيئًا غريبًا، لم يسأله عن السبب ولكنه لم يرغب في المغادرة، أراد قول الكثير من الأشياء، ولم يعرف من أين يبدأ، تحت ضوء القمر المتسلل من النافذة رأى علبة السجائر الموضوعة على الطاولة الصغيرة بجانب سرير فراس، مما جعله يفكر في أن هذا السم الذي يتجرعه قائده مفيدٌ للغاية، يجعله يرتاح، ويقصر من سنوات عمره، هذا مفيدٌ للغاية بالنسبة إلى شخصٍ يرغب في الموت.

كان فراس يصرِّح بهذه الرغبة لديه بين فترةٍ وأخرى، غالبًا ما يقولها بطريقةٍ ساخرةٍ أو مبتذلة، كأن يتحدثوا عن إحدى الدول التي وضعت سياسات تساعدك على الانتحار، ليبتسم ويلتصق برغبته العميقة في زيارتها، أو قوله لتلك الجملة: «أرغب في الموت» وسط أي محادثة دون مقدمات ودون سبب، بنبرةٍ ساخرةٍ أحيانًا، ومنطقته تمامًا في أحيان كثيرةٍ أخرى، لقد رأى كل ما عاشه فراس ولكنه لم يعيشه، كان يحاول ولكنه لم يستطع أن يدرك ألمه، كان يحاول أن يقول له: «أنا أفهمك» في كل موجة اكتئاب يغرق بها الشاب الأكبر، ولكن كان ذلك مستحيلًا.

لن يفهم شعور أن يُسجن لأنه سبب إعاقة لوالده، لن يتعايش مع حقيقة أنه مسجونٌ ويدعى اليتيم بينما أمه في الخارج لا ترغب في رؤيته لأنه أذى

أباه دفاعًا عنها، مهما حاول لا يمكنه أن يقدر ذلك الإحساس في صدره في كل مرة يفكر فيها أنه خسر حبه الوحيد بسببه.

لذلك على الرغم من كل شيء لا يريد أن يتركه، ربما لأنه معتادٌ عليه لقضائه السنوات الماضية معه، ربما لأنه لا يمكنه أن يتقبل هوشيار المستقل الذي لا يعيش في ظل فراس في معظم المواقف، ربما شفقة، ولتكن كذلك، كل هذا ليس مهمًا، المهم أن هذا الخيط الرقيق الذي يربط بينهما في هذه العلاقة الهشة لم ينقطع، لا يريده أن ينقطع.

- فراس...

نطق اسمه كمحاولةٍ لاستجداء نقاش يكسر سلسلة الصمت بينهما، فراس سيسأله عن حاله، عما يفكر، حينها يمكنه أن يُفصح له أن متلازمة القلق المزمن التي لديه أصبحت لا تُطاق، أنه يقلق كثيرًا من أي شيء وكل شيء ولا يمكنه أن يهرب من هذا القلق مهما فعل، سيجد طريقةً يخبره بها بأن كل أفكاره تتمحور حول الأسوأ، وأنه ما عاد قادرًا على النوم دون التفكير في هذا الأسوأ، كيف سيحكم حياته، كيف سيؤذيه، كم سيؤلمه حين يخسر حلمه ويفشل في اختبارات القبول، حين تصبح إيلاف روباتًا يتصرف بروتينٍ مخيف كي لا يخسر النقاط وتختفي مسحة الحياة الجميلة من عينيها، كيف سيتصرف إن وجد أحدًا يؤذيها، ولماذا يملك ذلك الشعور المتشائم على الرغم من أن أيًا من ذلك لم يحصل مطلقًا.

- أنا قلق، قلق كثيرًا، أنا خائفٌ من المضي قدمًا، وخائفٌ من هذا القلق.

لم يستطع أن يقول هذه الكلمات لأن (فراس) لم يستجب لندائه، نظر إليه ليجده غارقًا في النوم وسط السكون الذي يعم المكان، اقترب منه ليتحسس حرارته ممرًا يده على جبينه مبعدًا خصلات شعره الطويلة التي تغطي وجهه، كانت حرارته عادية، هذا يعني أنه ليس مصابًا بالحمى، مجرد إرهاقٍ عادي سيزول، فكر أنه على الأغلب استيقظ هذا النهار باكراً وراقب جولته مع إيلاف من بعيد، كان دومًا يفعل هذه الأمور؛ يراقب الأشياء المميزة التي يفعلها هوشيار من بعيد ولا يقول أي شيء، أو قد يعلق عليها بعد فترةٍ طويلة إن جاء أحدهم على ذكرها. لحظة تفكيره في هذا ابتسم وعلم أن جملة «الصبى الصغير الذي أكل رأسى» التي قالها فراس، كانت حقيقيةً جدًا بالنسبة إليه.

أغلق الستائر وغادر من الغرفة بهدوءٍ شديد حتى لا يوقظه، دخل غرفته وأطفأ الضوء بدوره، رمى بجسده على سريره وأحاط به ظلام ليليةٍ أخرى من الأرق.

13

مر أسبوعٌ بسلامٍ مطلق على الفتاة الجديدة، تم تعيينها في الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجمعات، هذا يعني أن عليها أن تمر كل يوم على المجمعات لترى إن كان هناك منشفة أو صابون استحمام أو فنجان قهوة ناقص للأشخاص العشرة في المجمع الواحد، لم تكن مهمةً صعبة، كانت تنتهي منها بسرعة وبشكلٍ بسيط، تتيح لها أن تلتقي بأكبر عدد من الأشخاص وتتحدث معهم.

كانت قد قابلت مجموعة أصدقاء هوشيار قبل أن تنتهي من فترة التأهيل حتى، وكان عليها أن تعترف بينها وبين نفسها بإعجابها الشديد بشخصية بسام وأفكاره وحتى طريقته في شرح الأمور، وقد كان مريحًا للغاية أنه الشخص المسؤول عن عملها، بل والشخص الوحيد الذي يشاركها إياه.

أخبرها من قبل بأن هذه المهمة سهلة ولا تأخذ الكثير من الوقت، ولكنهم ملزمون بالقيام بها كل يوم، لذلك لا يُكفَّ بها سوى شخصين أو ثلاثة، الشخص الثالث كان (منير) الذي ساءت حالته تمامًا وتم نقله إلى مستشفى خارج الكمس.

الساعات الطويلة برفقة بسام كانت تمضي بسرعة وبسلاسة، اكتشفت أن الشاب الأسمر لم يكن يهتم بالتاريخ السياسي وما قبل الحرب وبعدها وحسب، بل كان يملك أرضية معلوماتٍ واسعة ساعدتها لتسرح بأسئلتها كيف تشاء، كلما تبادر لذهنها شيء وسط العمل لم تكن تتردد في سؤاله، كان يجيبها دومًا، وقد استغربت كثيرًا كيف يمكن لشابٍ أكبر منها بسنتين وحسب أن يعرف كل هذا، حدّثها عن مشروع profusion لاستثمار الثروات والطريقة التي اتبعها في كثيرٍ من الدول لتحويل الطاقة إلى شكلٍ يتدفق في الهواء، حدّثها عن العديد من المدن الجديدة، وعن المدن القديمة والسياسات التي

اتبعتها المدن حتى تستطيع أن تنهض واقفةً على قدميها بعد الحرب وتحافظ على اسمها القديم الذي يدل على قوتها وصلابتها.

الجولة تنتهي دومًا بالدخول إلى القسم الطبي ليسأل إن كان منير قد عاد بعد نقله إلى المستشفى الخارجي، وقد كانت الممرضة التي تعمل هناك تحرك رأسها نفيًا بحزن وتخبره بأنه سيكون بخير بالتأكيد، فهو بين أيدي أمينة في الخارج.

تعابير وجهه تفرق في الكآبة، الحزن واليأس يغطيان ملامحه، عيناه تغرقان بالألم، وبشكلٍ ما كانت ترى منه جانبًا مختلفًا عن ذلك الذي يتحدث معها بحيوية كل يوم ويجب عن أسئلتها، تربت على كتفه بخفة لينتبه لوجودها ويرسم على شفثيه ضحكةً واسعة وهو يقول:

- لا بأس، انتهينا مبكرًا اليوم كالعادة، ماذا تريدان أن تفعلين؟

كانوا يجدون أي شيء ليفعلوه دومًا، يسيران في الحديقة أو يقضيان وقتًا طويلًا في المكتبة، هذه اللحظات الطويلة التي قضتها مع بسام جعلتها تشعر بالألفة، وقد كانت تحتاج إلى هذه الألفة كثيرًا.

3

المقيم الجديد

عاد هوشيار للقبو ليعمل في المطبخ بعد أن رحب به السيد غوندوز بعناقٍ كبير ووضعه بعمل بعيد عن الأدوات الحادة بسبب شروده الذي لم يتوقف حتى بعد إصابته لشهرٍ كامل بسبب هذا الشرود المخيف.

كان الأسبوع الأخير بالنسبة إليه مختلفًا تمامًا عن أسبوع الفتاة، لم يكن مليئًا بالسلام، وإنما بالتفكير المستمر حول كارتال ساروس الذي سيشاركه الغرفة، لا سيما بعدما جاء بعض الموظفين وعدلوا في غرفته ليضعوا بها سريرًا آخر. صار يقضي وقتًا طويلًا يحدق إلى ذلك السرير مدركًا أن الحياة مع صاحبه وشريك غرفته لن تكون بسيطة! لم يعرف قط متى يمكن أن يأتي هذا الشاب ولم يتم إخباره حتى على الرغم من سؤاله لفراس الذي لم يكن يملك أي معلومة ليفيده بها.

ولكن في ذلك المساء بعد أن أنهى خدمته الاجتماعية بتعبٍ شديد وتناول طعامه توجه عائداً لغرفته، فتح الباب لتصطدم بأنفه رائحة عطرٍ قوي، كانت تلك الرائحة أول منذرٍ له أن هناك شخصًا آخر في الغرفة، شريكًا، مجرمًا، قريب آزار، طفيلياً...

أغلق الباب دون أن ينطق أي كلمة، ألقى نظرةً طويلةً على الشاب الذي كان ينظر إلى الحديقة الكبيرة من النافذة، كان طويل القامة بجسدٍ رياضيٍّ مذهل، يملك رأسًا حليقًا تمامًا، وبشرةً حنطيةً أحرقتها الشمس بعض الشيء، مرتديًا تلك الكنزة التي تميز الأشخاص الذين لا يصنّفون كأيتام وتحتها سروالٌ من الجلد الأسود استطاع أن يلمح عليه اسم ماركة عالمية، كان واقفًا دون أن يبدي أي رد فعلٍ على صوت الباب وهو يُفتح.

- مساء الخير.

قالها بصوتٍ مقتضبٍ ليلتفت له الشاب أخيرًا، نظر إليه بعينين عسليتين كبيرتين وواسعتين، ووجهه الذي كان يحمل من الجمال الكثير حمل تعبيرًا حياديًا تمامًا وهو يجيب:

- مساء الخير، أدعى كارتال ساروس.

كانت بدايةً جيدة، هذا ما فكر فيه هوشيار، أن يبدأ كارتال حياتهما المشتركة بالتعريف عن اسمه بأدب كان أفضل مما تمنى، جلس على سريره عاقداً ذراعيه بين فخذه ورد:

- أدعى هوشيار ميكاليس. متى وصلت إلى هنا؟

- منذ ساعةٍ تقريبًا، هذا سريري وتلك خزانتي، صحيح؟

قال مشيرًا بيديه ليومئ هوشيار ويرد:

- لم يضعوا طاولةً أخرى للدراسة، لذا سيكون علينا أن نتشارك واحدة.

- لا بأس، يمكنك الحصول عليها.

كان متكبرًا بشكلٍ مرعب، ولكنه يخفي ذلك بكلماتٍ مؤدبة تخرج منه بسلاسة دون أن يظهر أنه كذلك، أو أنه على النقيض تمامًا، متواضعٌ جدًا ويحاول أن يمثل التكبر حتى يحصل على يدٍ عليا في المحادثة. هذا التناقض الغريب بين نبرة صوته وطبيعة كلماته جعل هوشيار غير قادرٍ على الحكم.

جلس على سريره مقابل هوشيار تمامًا، وبنفس طريقة جلوسه، لاحظ هوشيار القرط الفضي الذي يلمع في أذنه، وبما أن المكان لم يكن يسمح بالحلي، فقد أدرك أن تعريف الدخول وشريحة النقاط في ذلك القرط، تمامًا مثل لؤي وأمل اللذين يضعان قرطين متشابهين أحدهما في الأذن اليسرى والآخر في اليمنى.

- سمعتُ أن كل شخصٍ في هذا المكان يملك غرفةً خاصةً به.

قال كارتال بهدوءٍ ليبتسم هوشيار مستهزئًا ويرد:

- من الواضح أن هذه القاعدة قد كُسرت بسبب ابن مديرنا.

- آزار عمي وليس أبي.

نبرة هجومية قليلاً جعلته يعرف أن هناك نوعاً من المشكلات بينهما، تنهد متجاهلاً ذلك ورد:

- سأكون صريحاً معك، لستُ سعيداً مطلقاً بلقائك، ولا أشعر بأي رغبة في التعرف إليك أو إلى أي شخصٍ آخر، وبخاصة أي أحد له علاقة مع آزار ساروس سواءً كان ابنه أو ابن أخيه، لم أكن حتى مهتماً بمعرفة الشخص الذي سأشاركه الغرفة للسنتين القادمتين، أريد قضاء الوقت المتبقي لي لوحدي بشكلٍ تام، لا أن يشاركني شخصٌ ما في المكان الوحيد الذي أحصل فيه على خصوصيتي.

- هل هدفك من كل هذه الثرثرة أن تقول (غير مرحبٍ بك)؟

- أنتَ غير مرحبٍ بك، هذه حقيقةٌ لا يمكنني نكرانها، ولكن لا يمكنني نكران أيضاً أن عليّ التعايش مع الأمر والتوقف عن التذمر حتى لا يزعجني ذلك.

همهم الشاب ولم يجب، ربما لم يكن يهتم لأنه غير مرحبٍ به، ربما لأنه يفكر بنفس الأمر أيضاً؛ أن التعايش هو الخيار الأسهل لهما، وقد رجح هوشيار الخيارين معاً على حدٍ سواء.

- إذاً، هل يمكنكُ إخباري ما الذي فعلته حتى أدخلك عمك إلى هنا؟

أغمض عينيه بملل ثم نظر إليه نظرةً ذات معنى، نظرةً تخبره بأن هذا السؤال يجب ألا يُطرح، أن هذه المعلومة يجب أن تكون محظورة عن الأيتام العاديين في المكان، ولكن الإصرار في عيني هوشيار جعله يدرك أن هذا الشاب يعرف الحقيقة، ويعرف أكثر مما يتوجب عليه أن يفعل.

- الابتزاز.

- الابتزاز؟

هذه الكلمة آخر ما توقع أن يسمعه من ابن أكثر شخصٍ غني قابله في حياته، حرك رأسه برتابة وتابع:

- كنتُ معجباً بفتاةٍ في جامعتي وقد سرقتُ حاسوبها وقمتُ بابتزازها بمجموعةٍ من الصور.

- ألا تشعر بالعار من نفسك حين تقول هذا؟

تمتم بها هوشيار بشزر لبيتسم كارتال ببرود، تلك الابتسامة التي تجعلك تفكر أنه لا يمتلك كلمات ليقولها، وأنه بالفعل نطق كل ما يريد البوح به، اعترافه بذنبه مختلفٌ تمامًا عن اعترافه بندمه عليه، ربما سيجعله هذا يشعر بالضعف أو الهزيمة أو حتى بالمسؤولية، والأشخاص المجرمون دومًا ما يتميزون بانعدام المسؤولية، لا سيما في سنٍ صغيرة، يميلون للتفكير أن العالم مسخرٌ لرغباتهم، وأن حقوقهم تبقى حقوقًا لهم بغض النظر عن الوسيلة التي استعملوها للحصول عليها، بغض النظر عن عدد الأشخاص الذين تأذوا على الطريق.

لم يفهم لماذا يجلس أمامه بهذا الهدوء، ولم كان هذا الخط الوهمي الذي يفصل بينهما غير مريح البتة، أشعره أن عالمه انقسم بطريقة ما، لم يعرف لماذا أخبره بهذا، ربما سمع أنه فضولي وأراد أن يغلق باب الأسئلة ما دام لم يُفتح بما يكفي، وبطريقة ما شعر أنه قد كذب عليه.

لم يقل كارتال المزيد، وإنما نهض من مكانه متوجهًا للخزانة التي أعدت له، أخرج ملابس لينام بها، ارتدى كنزة سوداء ولاحظ أنه ينزع من جيب سرواله سلسلة ليضعها في جيب الكنزة السوداء ليعلم أنه لا يريد أن يتخلى عنها، انتهى من ارتداء ملابسه ثم استدار عائدًا ليستلقي على سريره دون أن ينطق أي كلمة، في عنقه كان الحجر الأسود الذي برز للخارج يلمع بوضوح على الرغم من أنه يحمل نفس لون كنزته، وخذ الشاب للنوم بهدوء، ربما كان قليل الكلام، ربما كان متعبًا قليلًا من انتقاله المفاجئ إلى هنا، هذه أحد التفاصيل التي لم يستطع هوشيار أن يتبينها أيضًا.

ولكن الواقع لم يكن كذلك، كل التفاصيل التي فكر فيها لم تكن هكذا، لم يدرك هوشيار أن كل التحليلات التي يحللها ومحاولاته الجاهدة لقراءة الموقف كانت ستذهب مع الرياح، لأن الحقائق تكون دومًا أكبر مما يمكن لعقلنا استيعابه!

2

بحلول أسبوعٍ واحدٍ كان هوشيار قد حفظ كل عادات كارتال؛ يستيقظ في الساعة الخامسة صباحًا ويرتدي ملابس رياضية ليخرج ويركض في الحديقة، وكان يلمح في كثيرٍ من المرات يؤدي تمارين صعبة في غرفتهما. كان يلتزم تمامًا بالملابس المشتركة للجميع، ولم يره يرتدي غيرها إلا وهو نائم أو حين يمارس الرياضة في الصباح الباكر قبل أن يستيقظ أي أحد، تم تعيينه في الخدمة الاجتماعية في المستودع، في نفس المكان الذي يعمل به لؤي، وقد أخبره الأخير بأنه مثالي بشكلٍ مرعب، لم يرتكب خطأً واحدًا منذ بدأ العمل.

كان صامتًا تمامًا، لا يتحدث إلا فيما ندر، يملك سلسلة فضية يحملها معه أينما ذهب ويقدها وكأنها أعلى ما يملك، يقرأ لمدة نصف ساعة قبل أن ينام، يحك ذقنه حين يفكر، ويقضي ساعاتٍ طويلة في التحديق إلى الفراغ دون أن يرف له جفن.

بقدر ما كان كل ذلك الغموض الذي يحيطه يزعجه، إلا أنه كان يشعره براحةٍ كبيرة، لأن الطفيلي غير المرغوب فيه يتصرف بهذا الصمت والانعزال، ولذلك تصرف هوشيار بنفس الطريقة، تعامل معه على أنه غير موجود تمامًا، وقد أراحهما هذا كثيرًا.

كانت تلك الفترة من السنة مميزةً عن غيرها؛ يتوقف كل الأشخاص في المكان عن الخدمة الاجتماعية ويتحضرون للسنة الدراسية الجديدة، بالنسبة إلى المجموعة التي تبلغ من العمر ثمانية عشر فهي تعيش تحت ظل التوتر حتى تصدر نتائج اختبارات القبول للجامعات التي قدموا لها. الفتاة الجديدة لم تقل عنهم توترًا، لأنها في مكانٍ جديدٍ مختلف كليًا عن مكان معيشتها من قبل.

في صباح يومها الخامس عشر من دخولها للمبنى الرئيسي اجتمعت مع هوشيار وأصدقائه في الطابق الأرضي، من بعيد تراقبهم عينا رافيل الباردتان، ورجلٌ في الأربعين من عمره كان ينظر إليهم بملل منتظرًا انتهاءهم من توديع صديقتهم التي ستغادر المكان.

مولان، الفتاة المثالية لن تعود هنا مجددًا، ولن تظل المسؤولة عن قسم الفنون في المكتبة، كانت قد حزمت حقيبتها الصغيرة لتغادر، وحملها الرجل الذي سيأخذها إلى الشقة المعدة لها والذي سيؤمن لها دخولها الآمن إلى عملها.

الجميع كان يهنئها، يخبرها بأنه يتمنى لها حياة جميلةً تبنيها بنفسها من الآن، دون قوانين صارمة، دون نظام نقاط، في عالمٍ كبيرٍ للغاية، أكبر بكثير من هذا المبنى الذي يضم عشرات الأشخاص، عالمٌ تملك فيه الأشياء غير المتوفرة هنا، هاتفٌ ذكي وجهاز لوحي وحاسبٌ محمول وشقةٌ فيها روبوتاتٌ عديدة تؤدي عنها المهمات التي كان الأطفال يؤدونها هنا، عالمٌ فيه تذهب إلى الجامعة وتخرج إلى مقهى مع أصدقائها بعد انتهاء ساعات الدوام الجامعي دون أن تقلق على نقاطها، العالم الكبير الذي رآه الجميع من القشور، وهي أول شخص في المجموعة سينخرط فيه أخيرًا.

من بعيد كان فراس يقف مستندًا إلى الجدار بجانب باب قاعة الدراسة ينظر إليهم بعينين هادئتين دون أن يقول أي شيء، لمحته مولان من بعيد لتعطيه ابتسامةً صغيرةً لم تكن تعني أي شيء بالنسبة إليه، كان يراقب تعابير هوشيار وهو يودع إحدى أصدقائه ويتنهد بخفة لأنه يعلم أنه بعد سنتين وحسب سيكون مكانه، حينها لا يعرف فراس بأي تعابير سيودعه.

الفكرة جعلت بعض المشاعر السوداء تتسلل لقلبه، ابتلع ريقه وأشاح بوجهه عنهم حتى لا يكمل سلسلة التفكير، على الرغم من كل شيء، لا يظن أنه يريد أن يعيش هذه اللحظة حيث يقف هوشيار مكان مولان ويكون هو مع هذه المجموعة يخبره بأنه يتمنى له حظًا جيدًا وأن يعيش حياته الآن بالطريقة التي يريدها.

جر خطواته نحو الأعلى دون أن يقترب، لمح هوشيار بطرف عينه ولكنه تجاهله معطياً تركيزه على رؤيته الأخيرة للفتاة ذات الشعر الأسود

الناعم التي كانت عيناها حادتا الذكاء منقذتهم في الكثير من المواقف، حين استدارت لتسير مع الرجل الذي يحمل حقيبتها وجد نفسه يتابعها خطوة خطوة، يراقب تحركاتها بالتفاصيل، سيخرج بعد سنتين، ولا يعلم إن كان سيحظى بفرصة لمقابلتها، لا يعلم كم ستغيرهما الحياة حتى ذلك الوقت.

«إن غدا لناظره قريب»، همس في نفسه بابتسامة صغيرة حين اختفت الفتاة عن أنظاره تماما.

- أتمنى لها حياة سعيدة.

قالت إيلاف ليرد بسام:

- وأنا أيضا.

لم يكد ينهي جملته حتى سمع الجميع صوتا ينادي باسمه، التفت إلى الممرض الشاب ذي الرداء الأبيض الذي قال له باحترام:

- أحد الأطباء في القسم الطبي يريد رؤيتك.

مشى خلفه بقلق، ودون أن يقول أي كلمة تبعه لؤي ووجدت إيلاف نفسها تسير خلفهم وهي التي شاركت (بسام) قلقه في الأيام الماضية، بينما تنهد هوشيار وقرر أن يصعد إلى غرفة فراس ليراه، لم يجده هناك ولكنه لمح من النافذة مستندا إلى جدار المبنى الخشبي وحده والصمت يحيط به، ميزه من مكانه البعيد من شعره الطويل الذي يغطي وجهه لينزل الدرجات مجددا متوجها نحوه.

3

اعتاد الجميع أن (فراس) يختار الأماكن الفارغة ليقف فيها، كان يحب هذه الوحدة التي فرضها على نفسه في ظل الصمت، وكان هوشيار الوحيد الذي يقاطعها.

حالما أصبح قريبًا منه بعض الشيء سمع صوت سعاله الحاد، رآه ينحني للأمام واضعًا يده على صدره والثانية يغطي بها فمه بمنديل أبيض، أسرع إليه وحاول التربيت على ظهره بخفة بينما استمر فراس في سعاله القوي، كان يأخذ شهيقًا طويلًا ويسعل مجددًا، حين شعر أنه هداً حرك يده التي تحمل المنديل ليشير لهوشيار بالابتعاد عنه، في تلك اللحظة، في أقل من أجزاء من الثانية استطاع أن يلمح ذلك اللون الأحمر يلون منديله الأبيض، بينما بقيت اليد الأخرى تضغط على صدره محاولاً إعادة انتظام الأنفاس لديه.

- هل ذهبتَ إلى القسم الطبي؟

- لا بأس، إنها مجرد نزلة برد.

- نحن ما زلنا في فصل الصيف.

قالها هوشيار وهو يجلس على العشب أمامه ويطالعه بعينين قلقتين دون أن يشير إلى تلك الدماء التي لمحاها ليشيح فراس بوجهه بعيدًا دون أن يقول أي شيء، فقط كان يأخذ أنفاسه بهدوء شديد وكأنه خائفٌ من فقدانها، وقد أدرك هوشيار في تلك اللحظة أن الإرهاق الذي لازمه طوال الأسبوع الماضي ونومه المبكر غير المعتاد قد كان لسبب، بالتأكيد كان هناك سبب!

- أنا قلقٌ عليك!

اعترف بها بعد صراعٍ طويل بين كبريائه التي تخبره بأن يصمت وعواطفه التي تأمره بقولها، رفع فراس نظره إليه مطولاً قبل أن يتنهد ويقول:

- أنا بخير، لا تخف.

- ولكن...

لم يتسنَّ له إكمال جملته لأنه قاطعه مغيرًا دفة الحديث مئةً وثمانين درجة:

- في الغد سيجمعون كل الأشخاص من عمر ثمانية عشر فما فوق لإخبارهم بنتائج القبول الجامعي، إن أردت أن تكون قلقًا فلتقلق حول الطريقة التي تريدنا أن نحتفل بها بعد أن يتم قبولك.

حدق إليه للحظات بذهول قبل أن يضحك بخفة ويقول:

- أنت مجنون.

- لقد قضيتُ سنوات طفولتك كلها ألتقطك من فوق الأسطح وأبحث عنك في آخر ساعات الليل لأجدك جالسًا وسط الظلام تحديقًا إلى السماء، أريد أن أرى ثمن هذا، لذا أرني أنك تستحق.

ابتسم بهدوء، بشكلٍ جعله يشعر بنبضات قلبه تستكين، والقلق في صدره يتلاشى شيئًا فشيئًا، في الغد سيعلم بنتيجته، حينها يريد أن يكون بجانبه شخصٌ ما ليعانقه ويخبره بأنه فعلها أخيرًا، في هذه اللحظة أدرك أنه مهما بدا عنيدًا وكارهًا وحاقدًا على فراس، فإنه الشخص الوحيد الذي يريد أن يقول له «لقد نجحت!». أخفض رأسه للأسفل يحرك يده على العشب الأملس ويهمس بصوتٍ خافت:

- حين تقول هذا تجعلني أشعر أنك أبي!

- إن كانت تربيتك من العاشرة وحتى الثامنة عشر تجعلني والدك فأنا لا أمانع أن تنادينني هكذا.

- إن كان ما فعلته يسمى تربية فأرجوك لا تتزوج بحياتك مطلقًا!

عند قوله لتلك الكلمة تجمدت ملامح فراس تمامًا، اصطنع ضحكةً ساخرة ليهرب من الموقف وأشاح بوجهه بعيدًا مجددًا بينما عاد البؤس ليغطي تعابيره.

جلسة كليهما التي خضعت لسطوة الصمت والهدوء قوطعت من قبل شخصٍ آخر يجلس معهم دون أن يستأذن أو يقول أي كلمة، عرفه هوشيار

على الفور وابتلع تدمراً كان على حافة شفثيه بينما حدق إليه فراس يركز على
ملابسه وقلادته السوداء قبل أن يقول:

- لا بد أنك كارتال ساروس.

- وأنتَ يجب أن تكون (فراس)؟

أوماً فراس له ليتنهد واضعاً يده على ذقنه كما يفعل كل مرة حين يمعن
في التفكير قبل أن يقول:

- أنا وأنتَ في سوية واحدة بالمكان، لذا أردتُ أن أسألك حول بعض
الأمر.

- لماذا؟

همس بها ببرود وهو يخرج علبة سجائر من جيبه وغرس واحدةً بين شفثيه
ثم أعاد التحديق إلى الشاب الجديد بعينيه الناعستين نصف المغمضتين،
أراد هوشيار أن يطلب منه التوقف عن التدخين ولكنه لم يتحدث، لأن جلوسه
بينهما كان بحد ذاته موترًا بالنسبة إليه.

- لا أعرف كيف عليّ التعامل مع الأمور هنا.

- كيف عشتَ خلال الأسبوع الماضي؟

لمح هوشيار بطرف عينه تعابير توتر غير منطوق على وجه كارتال،
اختفت سريعاً بعد أن تمالك نفسه وأجاب بصوتٍ خافت:

- تدبرتُ أمري بطريقتي ما.

- هكذا فعلتُ كل حياتي، عشتُ بطريقتي ما.

ابتلع هوشيار ريقه وأخفض بصره للعشب بينما أشعل فراس السيجارة
بولاعة ذهبية كانت بيده وتابع:

- أظن أن عليك البقاء هنا لأربع سنوات. صحيح؟

أوماً كارتال ليتنهد ويضيف:

- كان عليّ البقاء لست سنوات، ولكني بدلاً من أخذ هذا المكان كتجربة
اجتماعية مثيرة لعيشها وتحسين تصرفاتي بها، فقد فعلتُ المزيد من

الأشياء التي كانت لوحدها كافيةً لتدخلني سجن البالغين. لهذا أنا هنا حتى هذا اليوم.

هل هناك مجموعات أو شيء ما؟ أصدقاء يمكنني أن أقضي الوقت معهم.

- هناك قاعدتان هنا.

قال وهو يشير إليه بأطراف أصابعه التي تحتضن السجارة ثم ابتسم باستهزاء وتابع:

- لا تسأل أحدًا حول أي شيء، لا تثق بأحد.

احتدت عينا كارتال ليردف فراس بذات النبرة:

- والقاعدة الثانية، لو فكرت أن تكسر القاعدة الأولى، فأنا لستُ الشخص المناسب لتسأله أو تثق به.

تنهد كارتال بملل وهو يرجع بظهره للوراء ليستلقي على العشب ويحدق إلى السماء للأعلى لوقت طويل، لم يقل هوشيار أي كلمة وبقي جالسًا بين زميل غرفته وقائده، بينما تابع فراس التدخين وكان يهرب بعض السعال من فمه بين فترةٍ وأخرى. لم يبذُ على كارتال أنه سيقول شيئًا، لكن تعابير وجهه كانت توحى بالكثير من الملل، لحظات طويلة للغاية دخن بها فراس سيجارةً كاملة قبل أن يقطع كارتال سلسلة الصمت التي صنعها بنفسه ويقول:

- لأنني ابن أخ الشخص الذي تكرهه؟

- ما بيني وبين آزار مختلفٍ تمامًا عما أنا عليه في الحقيقة.

همس بها فراس وكأنه يخبره أنه شابٌ سيئٌ من البداية، وأن علاقته بمدير هذا المكان لم تزده سوى سوءًا، ثم أضاف بتململ:

- بالطبع هذا لا يعني أنني أحبه، لم أطلقه يومًا ولم أنظر إلى وجهه إلا حاقدًا، لذا أمل أنك تتفهم أنني لا أحب عمك العظيم حتى لو كان من أدخلك إلى هنا.

- أنتَ محق، كان من الخطأ أن أسألك من البداية!

قالها بسخرية وبقفزة واحدة نهض من استلقائه على الأرض ليقف بظهرٍ مشدود ثم قال:

- نلتقي في الأنحاء فراس.

ثم نظر إلى هوشيار وكأنه يقول «أراك مساءً»، وانسحب واضعاً يديه في جيبي سرواله دون أن يلتفت للوراء مجدداً. تنهد هوشيار وأعاد نظره إلى فراس قبل أن يقول بلوم:

- تزداد حدةً في التعامل مع الآخرين يوماً وراء الآخر.

- إنه لا يستحق أن أكون لطيفاً معه، هل يمكنك أن تساعدني؟

قال جملة الأخيرة بخفوت لينهض هوشيار من مكانه ويمد يده له، شعر به يترنح قليلاً ولكنه حاول إخفاء ذلك، شعر به غير قادر حتى على الوقوف بسوية ولكنه يخفي الأمر، لا يتذكر طوال حياته كلها أنه رأى (فراس) مرهقاً أو مريضاً، وهذا بشكلٍ ما كان مرعباً بالنسبة إليه.

لم يقل أي كلمة، لم يعلق حول أي شيء، فقط سار معه حتى غرفته وتركه هناك ليستلقي على سريره ويغرق في النوم على الفور، تركه ليرتاح وتوجه لغرفة بسام، طرق الباب بخفة وفتحها ليجد (بسام) جالساً على سريره وواضعاً رأسه بين كفيه بينما يحني ظهره ويحدق إلى الأرض، وبجانبه لؤي يضع يده على كتفه ويشد عليه محاولاً التخفيف عنه، بينما كانت إيلاف تقف بجانب الباب وعلى وجهها علامات الحزن.

- ماذا حصل مع منير؟

قالها على الفور مدرگًا تمامًا أن حجم الحزن على وجوههم مرتبطٌ بمصيبة كبيرة حصلت، أغمض بسام عينيه بألم بينما أجاب لؤي بخفوت:

- لقد ساءت حالته كثيرًا، يبدو أنهم سيبترون إصبعًا من قدمه.

ضيق عينيه نحوهم بغير فهم لتفسر إيلاف:

- يبدو أن السكري يؤثر على الأعصاب الصغيرة، قال الأطباء إنه محظوظ لأنه لم يخسر بصره، سيخضع لعملية جراحية ويمكث خارج ألكمس لشهر ثم سيعود إلى هنا.

تنهد هوشيار طويلًا مرجعًا ظهره ليستند إلى الباب المغلق وقد شعر أن هذه الفترة لن تنقضي قبل أن تحصل كارثة كبيرة جدًا لا أحد يستطيع توقع تبعاتها.

4

في إحدى قاعات الطابق الأرضي الكبيرة، اجتمع كل المقيمين الكبار بالعمر، الضجيج كان يعم المكان بين الشبان والفتيات. بقي هوشيار واقفًا بالجانب يستند إلى أحد الأعمدة الخشبية، يحدق إلى المنصة حيث سيخرج شخصٌ ما ليعلن النتائج.

شعر بجسدٍ قريبٍ منه ليلتفت ويجد (فراس) يستند إلى العمود نفسه من الجانب الآخر، ابتسم بخفة لأنه قد حضر على الرغم من تهربه الدائم من هذا النوع من الاجتماعات. لم يشعر أنه قد تحسن، كان يسعل بين فترةٍ وأخرى، ويتوقف عدة مرات في أثناء قوله أي جملةٍ قصيرة ليلتقط أنفاسه مراتٍ عدة، نظر أمامه يراقب مجموعات الأشخاص ولمح كارتال بطرف عينه واقفًا وحده في أحد الجوانب يراقب الوضع بعينين فضوليتين.

- هل تظن أنه تم قبولي؟

- ماذا سيحصل لو تم قبورك؟

سأل فراس ليصمت هوشيار لوهلة، كان يفكر ما الذي عليه فعله لو رُفض في جامعتة، ولكنه لم يفكر مطلقًا كيف ستكون حياته حين تبدأ أحلامه بالتحقق.

- سأدرس بجد، وسأعمل في مرصدٍ فلكي، أريد أن أنظر إلى النجوم كل يوم، أراقبها من تلسكوب، وأشعر بها تصبح أقرب لي أكثر من أي وقتٍ آخر.

- هل تريد أن تصبح رائد فضاء؟

- أنا لستُ طامعًا لهذا الحد، أن أنظر إلى السماء من هنا متعة كافية لي، لا أريد أن أخسرها مطلقًا.

- لن تخسرهما.

قالها بصوتٍ خافت وهو يضع يده على كتفه ويدفعه لمنتصف القاعة، حيث هدأ الجميع بعد أن انفتح الباب المقابل لهم. أعلى المنصة رأى شخصاً لم يكن يرغب في رؤيته قط، حاول تجاهل مشاعره السيئة والتركيز على الأهم. بدأ آزار ساروس حديثاً طويلاً حول أهمية العلم، ودور الكمس في تهيئة الأطفال ليتفاعلوا مع العالم الخارجي.

- أنتم أمل عالمننا، أنتم من ستبنون مدينة لوكد لتصعد إلى القمة.

قالها وهو ينقل أنظاره بينهم مع ابتسامة جانبية على وجهه فهمها القليل وحسب، لأن كل كلمة قالها لم تكن تعني مجموعة مساجين تم حشرهم هنا لتحسين سمعة مدينة لوكد لكونها المدينة التي تملك الجيل الجديد الأفضل. - سأبدأ في إعلان أسماء المقبولين في اختبارات القبول التي قدموا لها، الأشخاص الذين رُفضوا تم تحويلهم لجامعاتٍ أخرى تناسب خياراتهم العامة.

شعر بأنه يسمع صوت ضربات قلبه حتى رأسه، عرف في تلك اللحظة أنه لم يهتم بشيء في حياته كلها بقدر اهتمامه بالسماء منذ أن كان طفلاً. - هوشيار ميكاليس.

نطق بها آزار ثم رفع نظره عن الجهاز اللوحي الذي كان يقرأ منه، رفع زاوية شفتيه بابتسامة صغيرة وقال:

- تم قبولك في جامعة لوكد الكبرى لعلوم الفضاء والفيزياء الفلكية.

ضحكة عالية هربت من بين شفتيه، كل الأفكار السيئة حول آزار اختفت وكأنه لم يكن أمامه، كل الأفكار السوداء التي ملأت رأسه تلاشت دفعةً واحدة، كل الليالي التي سهر فيها يدرس بجد والأيام الطويلة التي كان ينام فيها بملابسه وحذائه من شدة التعب بدت ذات معنى، وكأنها الأجنحة التي حملته ورفعته إلى هذه السماء، حيث يشعر أنه يخلق، وأنه لن يسقط أبداً.

حين تحصل على شيء تريده فأول ما تفكر به هو الصراخ بسعادة ومشاركة هذا الشعور الجميل مع أقرب شخص لك، هذه الفكرة وحدها ملأت

رأسه وقلبه، والسعادة الكبيرة التي حواها صدره كانت أكبر منه، التفتت لفراس ليعانقه بكل قوة ويدفن رأسه في كتفه وهو يصيح بصوتٍ حاول كتمه:
- نجحت، فعلتها.

عانقه الأكبر بمودة، تمامًا كما وثق أنه سيفعل، ضمه إليه بفخر وكأنه ابنه حقًا، وربت على ظهره وهو يخبره بأنه يستحق هذا، منذ سنواتٍ طويلةٍ قد احتاج إلى لحظةٍ يعيش فيها شعورًا صادقًا كهذا.

في تلك اللحظة ظن أنه حصل على العالم كله، حصل على إنجازهِ الأول، إنجازٌ يريده، صنعه بيده، ويفتخر به، شعر أن هذا النجاح الصغير كفيلاً لابتلاع الكثير من الذكريات القديمة السيئة، وأن هذا الدفء الذي غمر قلبه سيمحي ليالي باردةٍ طويلة، وتصاعدت وتيرة مشاعره أكثر وأكثر مفكرًا في الأيام القديمة التي مضت والأيام التي ستأتي مع أحلامه الكبيرة التي بدأت تلمح النور أخيرًا.

كل تلك الأشياء لم ينطق بها، رماها كلها في صدر فراس، وقد تقبلها الأخير بحبٍّ لم يعطِ مثله لأحد من قبل، ولم يتلقَّ هوشيار مثله طوال سنوات حياته التي تذكرها.

ذلك الشعور، كان دافئًا جدًّا، سيتذكره طويلًا، سيبكي عليه كثيرًا، في تلك اللحظة كان كل ما يملكه، وكان أغلى ما يملكه على الإطلاق، ذلك الشعور كان في كل ذرةٍ من كيانه، وكان حقيقيًّا للغاية أيضًا!

5

استمرت سلسلة إعلان الأسماء لوقتٍ قصير، لم يعرف هوشيار لماذا يحضرون الأشخاص مثل هاري وفراس على الرغم من أنهم مساجين هنا، ولكنه كان ممتناً لوجود فراس على أي حال.

حالما انتهى الأمر عم الضجيج القاعة مجدداً بينما يراقبهم أزار من علوه بنظرات متفحصة، التقت عيناه بعيني فراس ليحرق إليها لوقتٍ لا بأس به قبل أن يشير إليه ليلحقه، وسط ضجيج المكان لم ينتبه أحد له، وضع فراس يده على كتف هوشيار وقال:

- اذهب لتهنئة صديقك.

قال مشيراً للوي ليستجيب له هوشيار على الفور، بينما مشى فراس ناحية الباب الجانبي الذي دخل منه أزار وخرج منه أيضاً، بطرف عينه لمح كارتال ينظر إليه بشك ولكنه تجاهله.

فتح الباب ليجد أزار واقفاً في ممرٍ طويل، نظر إليه ليسأل:

- كيف حالك فراس؟

أراد أن يقول له شيئاً ما، أي شيء مثل «وكأنك تهتم!»، ولكنه ابتلعها ورد: - بخير.

- وأنا أيضاً! أشعر بشكلٍ مثالي وأنا أرى أطفالاً قد كبروا ويدخلون الجامعات وسيغادرون هذا المكان قريباً.

ظهرت على وجهه علامات السخرية قبل أن يتنهد ممرراً يده في خصلات شعره الطويل ويجيب باستهزاء:

- هنيئاً لك أيها الأب الصالح. هوشيار ميكاليس قد هدأ أخيراً بعد كل هذه السنوات، حين يخرج من هنا سأطمئن لأنه لم يعد مفتعلاً للمشكلات.

أوماً له فراس ولم يتحدث، كان يشعر ببعض الألم في صدره وفكر أن عليه أن ينهي هذه المحادثة ويذهب ليرتاح في غرفته قليلاً، ولكن حين يذكر آزار اسم هوشيار فأعصابه تتوتر، يريد فقط أن يعرف ما الذي يفكر فيه تجاه هذا الفتى الذي كشف كثيرًا من أسراره.

- أريده أن يتوافق مع كارتال، وأريدك أن تحرص على هذا.

- أعتذر سيد آزار ولكن يبدو أنك تفهم الأمور بشكلٍ خاطئ.

رفع آزار حاجبيه بتساؤل ليدس فراس يديه في جيبي سرواله ويتعمد الوقوف بوقاحة أمامه بينما يتابع:

- أنا لستُ كلبك الأليف لأستمع لطلباتك، ولستُ الشخص المناسب لأرعى علاقات هوشيار الاجتماعية.

- أتعلم لمَ دخل كارتال هذا المكان؟

- لا أهتم!

مكتبة

t.me/soramnqraa

أجابه ببرود ليبتسم آزار ويتجاهل جوابه تمامًا:

- لقد كان يدرس الطب، شابٌ جيد وقوي ومثالي ولكنه جامعٌ بعض الشيء، لقد أمسكتُ به يتصفح حاسوبى دون إذن، ولهذا انتهى به الأمر هنا.

- هل وضعتَ ابن أخيكَ في السجن لأنه فتح حاسوبك وأنتما تسكنان في نفس المنزل؟!

تمتم بها بقرف وعيناه الناعستان توجهان نظرةً حارقةً نحو آزار الذي ضحك ورد:

- ألم تتعلم من الحوادث التي حصلت في السنوات الماضية أن أكثر شيء أكرهه بحياتي هو الفضول؟

ارتفعت زاويتا شفثيه بابتسامةٍ ساخرة بينما اقترب خطوةً للأمام مقلصًا المسافة بينهما:

- لا يمكنك أن تدرك هذا، ولكن هوشيار وكارتال متشابهان كثيرًا، أكثر مما تتخيل، ولهذا وضعتهما في غرفةٍ واحدة، كسرتُ قواعدى لأجلهما، هل رأيتَ كم أننى رجلٌ صالح؟!

- أجل، أنت تشع صلاحًا حتى إنك أعميتَ عيني!

- قولك إني وضعتُ ابن أخي بالسجن قد كسر قلبي، إنها دار آلكمس
للرعاية، مكانٌ مجهزٌ بكل شيء، يعد الجيل الجديد ليعيش في تفاصيل
ستجعل منهم قادة العالم.

لم يجبه، شعر بالألم يعود لصدره وصارع جسده مع نوبة سعال استمرت
لدقائق بينما ينظر آزار إليه بنظرةٍ لم يفسرهما، ولكنها بالتأكيد لم تحمل ذرةً
من الشفقة أو التعاطف!

- أريد العودة إلى غرفتي.

قالها وهو يستدير بنية المغادرة ليستوقفه آزار بقوله:

- لقد مضى أحد عشر عامًا، صحيح فراس؟

تجمد مكانه تمامًا حالما سمع ذلك، هذه المرة كان قلبه ما يؤلمه، كانت
تلك الغصة التي تجعله يتسمر في مكانه حتى يبتلعها دون أن تخنقه.

- حين دخلتُ إلى هنا كنتُ مراهقًا سخيًّا بالخامسة عشرة من عمره
ظل يضرب والده حتى سبب له إعاقة جسدية دائمة، ووجدتُ أن أمك
استغنت عنك تمامًا لأنها لم تتقبل ذلك.

استدار نحوه أخيرًا، بتعابير وجهٍ لم يرسم مثلها من قبل، يحدق إليه
بعينيه اللتين تظهران تحت خصلات شعره المتمرد على وجهه، كان يرغب
في قتله حقًا في تلك اللحظة!

- لم تتقبل أمك أن ابنها كان مسخًا يفعل هذا! وقد أثبتَ لها الحقيقة على
أكمل وجه. كان من المفترض أن تقضي هنا خمس أو ست سنوات،
انظر كم مر من الوقت، لأنك فكرتُ أن تتحول إلى مجرمٍ حقيقي!

انتفض بغضبٍ وكأن تلك الكلمة أعادت جانبه العنيف ليحيا، الشياطين
كانت تعبت فوق رأسه ونبرة صوت آزار كانت تستفزها بكل معنى الكلمة،
أحاط عنقه بأصابعه الطويلة ودفعه على الجدار مسببًا ارتطامًا قويًا لجسده
سيؤلم ظهره لأيام، في تلك اللحظة فكر أن عليه خنقه، قتله، وتخليص العالم
منه وحسب!

- افعلها، فقد قتلت من قبل ولن يكون لديك مشكلة.

عيناه أظلمتا أكثر بينما ضحك آزار بسخرية متجاهلاً واختناقه وأضاف:

- تملك الكثير من الدوافع لفعالها، لأنني أخبرتُ هوشيار عن حقيقتك بعد أن ظننتَ نفسكَ أبًا صالحًا له، لأنني دفعته ليخونك مرةً تلو مرة أمام عينيكَ بينما تنظر إليه بلوم لكسره الرابطة القوية التي حاولتَ صنعها بينكما، أو لأنني أذكركَ بما فعلته حتى قُررَ أن عليكَ المكوث هنا.

لم يجبه، أصابعه الملتفة حول عنقه اشتدت أكثر ليبتسم الآخر مظهرًا صف أسنانه البيضاء، وعيناه الزرقاوان تلمعان بينما يهمس:

- افعليها، وأول شيء سيحصل أنك ستدخل لسجن الراشدين حيث ستعامل بأسوأ طريقةٍ ممكنة من قبل المجرمين هناك، سيدمرونك تمامًا، فهم يحبون العيب مع الصغار مثلك، سأحرص على أن تتعذب حتى آخر لحظةٍ من حياتك بينما هوشيار ينتحب عليكَ لأجل الوداع المبكر!

أقلته أخيرًا ليحني ظهره محاولًا التقاط أنفاسه، بينما تفجرت مشاعر فراس الغاضبة ليلكم الحائط المقابل له بجنون ليشعر بعظامه تؤلمه حتى قلبه!

- أريد أن أعيش حتى اليوم الذي تموت فيه، أريد أن أعيش حتى أبصق على قبرك اللعين.

تمتم بها وهو يشد على يده بقوة أكبر ليبتسم آزار باستهزاء وكأنه يخبره بأنه جبان لأن كل ما بوسعه فعله أن يتمنى الموت له. لم يكن جبانًا، ولكن لا يريد لحياته المدمرة أن تنحدر أكثر مما هي عليه.

- ستنتهي مدة عقابك وستخرج من هنا بعد تسع سنواتٍ تقريبًا، ستكون حينها في الخامسة والثلاثين، وسيكون هوشيار قد تركك لسنواتٍ سبع كاملة، أنا من أرغب في العيش حتى ذلك الوقت لأراك منبؤدًا ووحيدًا وهائمًا من مكانٍ لآخر تبحث عن شخصٍ يتقبلك.

- توقف!

قالها بضعف وهو يشعر بالألم في صدره يزداد أكثر ليبتسم آزار ويتابع كأنه ينتقم من هجومه عليه:

- لن تجد أحدًا، ستظل وحيدًا تمامًا حتى تصاب بالجنون، ستسير على غير هدى وأنتَ تحمل في صدركَ كلماتٍ أكبر منك، وسترمي بها للجدران والأشجار والكتب ولن تجد شخصًا يستمع لك، وأرجوكَ حين تفكر أن تنهي حياتكَ بنفسك فتعال إلي لأؤمن لك مكانًا مناسبًا حتى لا تعكر صفو حياة الأشخاص هنا، الأشخاص الذين يستحقون الحياة.

- تظن أنني لا أستحق الحياة؟ تظن أنني لا أستحق أن يحبني أي شخص؟! همس بها بإرهاق وهو يستند بيديه الاثنتين إلى الجدار محاولاً تمالك التعب الذي ينخر جسده ليبتسم آزار ويرد: مكتبة .. سر من قرأ

- أنت أخبرني، هل تستحق؟ هل تستحق أن يهتم بك أحدهم بعد أن اهتمت بك فتاة مثل الملاك، فدمرتها تماماً؟! إيلينا ماتت بسببك! قتلتها! لم يعد قادراً على الرد، صراخ آزار بأخر ثلاث كلمات جعل أعصابه تنهار، لا شيء كان يؤلمه بقدر كونه محقاً، أن يبتعد عنه الجميع ويصبح وحيداً ومنبوذاً، هو يستحق كل هذا، وهذه الحقيقة التي يؤمن بها كانت تجرحه أكثر من أي شيء آخر.

تمالك نفسه وانسحب مبتعداً دون أن يرد، لم يرد أن يفقد السيطرة على غضبه مرة ثانية، كل الألم بداخله كان يتصاعد، وتعبه الجسدي أصبح بشكل غير متوقع أكثر حدة من جرح قلبه، الأمر الذي دفعه ليفتح الباب ويغادر من حيث دخل.

كانت القاعة الكبيرة فارغة، الجميع ذهب للتجهيز للاحتفال لتهنئة طلاب الجامعات على قبولهم، لم يكن هناك سوى شخص واحد، كان يقف بجانب الباب ويستمع لكل شيء، بعينين متسعيتين بصدمة وأطراف أصابعه ترتجف بخفة، نظر إليه فراس بشزر، نظرتة جعلت القشعريرة تسير على عموده الفقري بينما لا يجد أي كلمة يفسر بها ما يشعر به.

فراس قتلها، تلك الحقيقة طغت على كل شيء آخر وأعمت عينيه بينما يحدق إليه وحسب.

- ما الذي تفعله هنا؟

خرجت من بين شفثيه ضعيفة بسبب أنفاسه المتقطعة والسريعة ليرد كارتال:

- هل ما قاله لك حقيقي؟ هل قتلتها؟

تمالك نفسه بصعوبة كي لا تصطدم قبضته المشدودة بفكه مفرغاً به غضبه، وغادر القاعة آخذاً المصعد إلى غرفته، استند بجسده إلى الجدار يلتقط أنفاسه بصعوبة وتجاهل تماماً حقيقة أنه ترك كارتال متجمداً في مكانه حتى هذه اللحظة وسط قاعة الاجتماعات بعد أن استمع لحقائق أكبر بكثير مما أراد معرفتها!

6

قضوا اليوم بأكمله يحضرون لاحتفالٍ في المساء، ثم توجه كل شخصٍ إلى غرفته ليحضر نفسه، ارتدى هوشيار ملبسه ومشط شعره بأصابعه بحماس دون أن يسأل نفسه عن سبب اختفاء كارتال الغريب، فهو يخلد للنوم مبكرًا في العادة. طرقاتٌ خفيفةٌ على الباب قاطعت اندماجه بصورته المنعكسة على المرآة ليرد.

- تفضل.

فُتح الباب وأطلت إيلاف بجسدها النحيل من ورائه وهي ترسم على شفيتها ابتسامةً واسعة، ابتسم بالمقابل وقال:

- أخبرتكُ بأن هناك بعض الأمور الجميلة هنا، سنقضي الوقت في الحديقة ونحتفل حتى الصباح.

- لقد أشعلوا الأضواء في كل زاويةٍ في المكان ولم تعد النجوم واضحة! قالت بعبث لينفجر ضاحكًا بينما ابتسمت بمودةٍ لأول شخصٍ انتشلها من حزنها الكبير عند موت والديها، ابتسمت لأجل سعادته لأنها شعرت بها تقفز من عينيه قبل أن تقول:

- مباركٌ نجاحك ودخولك إلى الجامعة التي تتمناها.

- لقد كان حلمًا بعيد المدى طوال الوقت، الآن وقد تحقق، أشعر وكأني اصطدتُ شهابًا مهاجرًا عبر السماء!

- أنا سعيدةٌ جدًا لأجلك، خشيتُ أن تكون مشغولًا كثيرًا في الزحام بالأسفل هذا المساء، لذا أردتُ أن أهنئك بشكلٍ شخصي بما أنك شخصٌ مميزٌ بالنسبة إلي.

- أعلم أعلم!

قال ضاحكًا بينما يلتفت ليعيد تسريح شعره مجددًا قبل أن تقول مضيضةً:

- قضيتُ معظم اليوم مع بسام، غيروا مكان عملنا!

- ماذا تعنين؟

- سيتوقف بسام بشكلٍ كامل حتى يعتني بمنير، وبما أنهما لم يعودا

قادرين على العمل، فقد تم نقلي إلى المستودع، وسينظمون فريقًا آخر

لاستلام مهمتنا.

- فهمت، لننزل للاحتفال الآن.

قالها وهو يضع يده على كتفها ويفتح الباب باليد الأخرى، لتستوقفه

بقولها:

- أنت تعلم أن كارتال في المستودع أيضًا؟

شعرت بجسده يتصلب خلفها لوهلة قبل أن يحرك رأسه إيجابًا ويقول:

- أعلم ذلك، أنا لا أثق به مطلقًا، توخي الحذر!

أنهى كلمته وفتح الباب أخيرًا ليجد كارتال مقابلًا له مباشرةً وتعايير

وجهه أخبرته بأنه استمع للجملة الأخيرة من حديثهما بوضوح تام، ضيق

عينيه تجاهه ليتجاوزَه الآخر ويدخل الغرفة، قرر أن يتجاهله بالمقابل ولكنه

استوقفه بقوله:

- يبدو أن (فراس) لن يحضر.

التفت نحوه باستغراب ولكنه كان قد استلقى على سريره بالفعل، لذلك

نزل للأسفل حيث كانت الحديقة غارقةً بالضوء على الرغم من الوقت المتأخر،

الطاولات الكبيرة كانت منتشرةً في كل مكان مع كل أصناف الحلويات

الموضوعة عليها. مقيموا الكمس قادرون طبعًا على إعداد حفل مثالي في

وقتٍ قصيرٍ جدًا.

الاحتفال كان هادئًا للغاية، الأجواء كانت جميلة والكثيرون استعرضوا

مواهبهم في العزف والغناء والرقص. المقيمون الأكبر سنًا كانوا يتولون

عمومًا معظم الأمور، وبطبيعة الأحوال أطاعهم الأصغر لأنهم مسؤولون عنهم.

كان مستمتعًا بوقته تمامًا، لم تمنعه الأجواء المليئة بالأضواء أن يحدق إلى

السماء على الرغم من اختفاء النجوم منها. مقطوعةٌ مشهورةٌ تسللت لأذنه

كان قد سمعها عدة مرات من قبل مما دفعه ليتمایل معها والابتسامه التي ارتسمت على ثغره من الصباح لا تزال حتى الآن.

في الغرفة الصغيرة المعتمه، ظل كارتال يحدق إلى الخارج لفترة طويلة، يراقب ضحكة هوشيار المستمتعة وهو يجرج الفتاة الصغيرة، كانت الأجواء دافئة ولكنها أشعرته برغبة في العودة لغرفته وحسب، فهو لم يكن ينتمي إلى هنا على أي حال.

استلقى على سريره ونظر إلى السقف محاولاً أن يربط الأمور بعضها ببعض، ويفهم مغزى الأشياء التي سمعها بين فراس وعمه والتي لم يفهم معظمها!

مسح المكان بعينه بحثاً عن فراس، اصطدمت عيناه بكل الأماكن التي يحب الوقوف بها ولم يكن هناك، لمح هاري ومجموعته بعيداً يتحدثون بعضهم مع بعض، ولكنه لم يكن معهم أيضاً.

- سأعود بعد لحظات، يمكنك البقاء مع بسام أو أمل.

قالها مخاطباً إيلاف لتومى له، توجه ناحية البناء الأبيض الكبير ليجد رافيل واقفاً بجانب الباب يراقب الحديقة بملل وبجانبه كأس عصير وصحن حلويات جلبهما له أحد المقيمين لكنه لم يمسهما. صعد الأدراج حتى الطابق الخامس ووقف أمام باب غرفة فراس، تجمد في مكانه ثانية يسأل نفسه «ما الذي أفعله هنا؟» ولكنه تجاهل ذلك لأنه كان يعرف الإجابة بالفعل، يريد أن يطلب منه القدوم ليحظيا بوقت ممتع، فهذه الأمور لا تتكرر كثيراً هنا، وفراس لم يكن يغادر المكان مطلقاً، هو يحتاج إلى هذه الأيام حتى يصنع ذكريات جميلة يحارب بها ظلام حياته.

طرق الباب وفتحه، وجده مستلقياً على سريره، شعره الأسود متناثر على الوسادة بفوضوية، والغطاء يغطي جسده بأكمله على الرغم من الجو الحار. على الطاولة بجانب السرير كان يضع علبة سجائره وولاعته الذهبية والسوار الفضي الذي لم يكن يفارق يده قط، للمرة الثانية اقترب منه بقلق وهو يسأل نفسه منذ متى ينام فراس مبكراً؟ ولا يشعر حين يدخل أحدهم إلى غرفته؟

كان يتنفس ببطء شديد، وصوت نشيج خافت يخرج من بين أنفاسه عند كل زفير، خافت للغاية ولكنه استطاع سماعه بوضوح على الرغم من صوت الموسيقى المتسلل من الخارج.

كما فعل في المرة الماضية؛ أبعد شعره عن وجهه وعدل الغطاء على جسده وفتح النافذة ليدخل الهواء النقي إليه، غادر الغرفة بهدوء شديد حتى

لا يوقظه وتوجه لغرفته ليفتح الباب ويجد شريك غرفته مستلقيًا على سريره كما تركه ليقول بصوتٍ خافت:

- كارتال، هل أنتَ مستيقظ؟

سمع همهمةً منه كإجابةٍ ليدخل ويغلق الباب، تقدم ليجلس على سريره ويقول:

- ما الذي عنيتَه حين قلتَ إن (فراس) لن يحضر؟

- عنيتُ ما فهمته، هل أتى؟

سأل باستهزاءٍ لأنه يعرف الجواب مسبقًا بعد أن راقب كل شيء، حرك هوشيار رأسه نفيًا ليضحك الآخر ساخرًا ويضيف:

- توقعت!

- ما الذي دفعك لقول هذا؟

- إن قلتُ لكَ إنني رأيتُه اليوم بعد إعلان أسماء الجامعيين غاضبًا للغاية وأنفاسه متسارعةٌ بجنون، هل ستصدقني؟

لم يفهم هوشيار ما الذي قد يجعل (فراس) غاضبًا بعد تلك اللحظات الجميلة التي عاشها صباحًا، ولكنه لم يتوقف كثيرًا عند هذا التفصيل، لأن (فراس) كان دومًا شخصًا عصبياً سريع الانفعال وعنيفًا في رد فعله أيًا كانت سخافة الموقف، ولكنه لم يستطع أن يتجاوز قلقه.

- هل أنتَ خائفٌ عليه؟

صوت كارتال قاطع أفكاره لينظر إليه بشرود قبل أن ينهض من مكانه ويقول:

- سأحدثُ معه في الصباح.

- هل تعرف لماذا وضعتني أزار معك في نفس الغرفة؟

نظر إليه هوشيار باستغراب وحرك رأسه نفيًا، صمت للحظات قبل أن يجيب:

- هناك سبب، هو لا يفعل شيئًا دون سبب!

- لقد عشتُ في منزله لسنواتٍ طويلة، لأكون صادقًا، كنتُ أهابه كثيرًا، هو يملك تلك الهالة حوله، تجعلك ترتعد خوفًا من نظرةٍ واحدةٍ منه، ولكني لم أقتنع قط أن كل ما يقوم به لسبب.

- لأنك أحمق!

اعتدل كارتال ليجلس في سريره وينظر إلى هوشيار الواقف بجانب الباب، انتظره الأخير ليشتمه بالمقابل لكنه اكتفى بابتسامةٍ ساخرة ورد:

- أنتَ محق، أنا أحمق! رجلٌ يحمل نظراتٍ مثله ليس عاديًا، ولكني كنتُ أحمق حتى لا أدرك أن تلك النظرات تخبئ وراءها ذكاءً مرعبًا أكثر من عينيه، ذكاءً كافيًا ليدمرنا جميعًا دون أن يرف له جفن، أنا أحمق لأنني لم أفهم أن هذا النوع من الأشخاص لا يمكن أن يتنفس حتى دون سبب!

- هل أنتَ حاقدٌ على عمك الآن؟

- أنا فقط مستغرب، لأنني عشتُ معه لسنواتٍ طويلة ولم يفقد أعصابه سوى مرة واحدة، وقد رأيتُ هذا يحصل للمرة الثانية اليوم!

لم يفهم هوشيار ما علاقة هذا بالأمر، ولكن كارتال قال للتو إنه رأى (فراس) غاضبًا، هل تشاجرا؟ هل يمكن لفراس أصلًا أن يحظى بفرصة التحدث مع آزار وسط الأجواء الفوضوية اليوم ويتشاجرا أيضًا؟

- إنه بشرٌ بالنهاية، هناك شيءٌ ما سيخرجه عن السيطرة!

قالها وخرج من الغرفة دون أن يسأل المزيد تاركًا كارتال وحده، ابتسم الأخير بسخرية وأخرج السلسلة من جيبه، تلك السلسلة التي تبقى معه طوال الوقت ولا تفارقه أبدًا، كانت قلادةً تحوي حجرًا معدنيًا مغلقًا، حين تفتحه تظهر صورة مخبأة في الداخل. استلقى على سريره مجددًا والقلادة في يده ينظر إليها لوقتٍ طويلٍ للغاية، كانت صورةً قديمةً للغاية لكن شعورها لم يبهت في قلبه، يقف على الجانب الأيمن من الصورة ينظر إلى الكاميرا بضحكةٍ وصلت حتى عينيه، وبجانبه فتاةٌ شقراء جميلة تغرس أصابعها في خصلات شعره المبعثرة.

مر وقتٌ طويلٌ على هذا، وقتٌ أكثر مما يمكنه أن يدرك، منذ تلك الأيام التي مضت قد تكسرت أحلامٌ كثيرة كان متشبهاً بها بشدة، تغير كثيراً ولم يعد الشخص نفسه، بعدها، لا يظن أن هناك سعادةً بذلك الحجم سكنت قلبه! أغلقها وقبّلها ثم ضمها إلى صدره، ثمّة ألمٌ قديمٌ للغاية يزوره كثيراً في الليل، واليوم ازداد هذا الشعور في قلبه، وزاره ألمه في وقتٍ أبكر من المعتاد. «اشتقتُ إليك، كان يجب ألا تغادري».

همس في الفراغ مقرباً القلادة إلى صدره أكثر وكأنه يرغب في غرسها بأعماقه وتابع بحزن:

«كنتِ تعلمين أنني وحيدٌ جداً دونك، ما كان عليك أن تتركيني وترحلي إيلينا!»

لم يكن مجرد اسمٍ بالنسبة إليه، كان كياناً اقتحم عالمه وقلبه رأساً على عقب، أشعل شموعاً كثيرةً في حياته، ومع رحيلها هب نسيم عاصفة أطفأ كل تلك الأضواء وتركه في عالمه الفارغ وحده مجدداً! وسط الظلام...

8

استيقظ هوشيار باكراً في اليوم التالي على الرغم من سهره الليل بأكمله، توجه لرؤية إيلاف وأخذها معه لقاعة مساعدة الطلاب في الطابق الأرضي ليأخذ الجهاز اللوحي الذي سيستعمله في الجامعة، وحصلت على جهازها لتشعر أنها عادت قليلاً لعالمها، أخبرها المسؤول هناك عن مراقبة الأجهزة والمواقع وحذرها من فتح الأشياء المحظورة لأنه يستطيع الوصول إليه بسهولة.

كانت تستمع لحديثه بدهشة بينما تراقب عيناها المكان بفضول، كان هذا المكان الوحيد الذي يشعرها أنه ينتمي للعالم الذي كانت تعيش فيه، حيث توجد حواسيب عديدة أمام المهندس المسؤول عن الأمن الرقمي وعشرات الأجهزة الموضوععة على طاولاتٍ عديدة في المكان.

بعد الانتهاء من ذلك توجه هوشيار وحده نحو غرفة فراس، وجده على الحال الذي اعتاده عليه؛ جالساً على جانب نافذته ينظر إلى الخارج بتعابير ملولة ويدخن. التفت له حين دخل دون أن يطرق الباب وضيق عينيه نحوه بتساؤل ليقول له:

- استلمتُ مستلزمات الجامعة؛ جهازٌ لوحي وبطاقة دخول إلكترونية، الجهاز زُود ببرنامجي والصفحات الشخصية لزملاء صفي، وبعض التفاصيل الأخرى.

- ما الذي تخطط له في الفترة القادمة؟

- لا شيء محدد، سأذهب إلى الجامعة وأدرس وحسب، لا يمكنني أن أخطط لأكثر من هذا.

- هل ستصنع أصدقاء؟

سأله بابتسامةٍ صغيرة ليحرك رأسه نفيًا مبتسمًا بالمقابل ويرد:

- لا، سيكون هناك التزامات وراء التعرف إلى الأشخاص وأنا لا أستطيع القيام بها بسبب إقامتي هنا.

- تعني... ماذا لو فكر أحدهم أن يدعوك للعشاء في منزله؟

- سيكون من الصعب عليّ أن أبرر أن سبب رفضي هو تأديتي للخدمة الاجتماعية في دار رعاية أيتام لم يكن يعرف عنها إلا اسمها، وأنا نؤدي خدماتٍ تصل إلى منازلهم بينما يحتسون فناجين قهوتهم، لأنه على الرغم من الميزانية الهائلة التي يملكها المكان، فإنهم لم يجلبوا لنا روبوتات حتى نتعلم الاعتماد على أنفسنا.

- وحين يطلبون معلوماتك على مواقع التواصل الاجتماعي لا يمكنك إخبارهم بأنك لا تملك واحدة على الرغم من أنك في الثامنة عشر من عمرك لأنك تحصل على جهازك اللوحي لأجل الدراسة وحسب!

أكمل فراس باستهزاء ليضيف هوشيار:

- وحين نخرج من الجامعة لا يمكنني أن أخبرهم بأنني مستعجل بالعودة ولا أملك دقائق إضافية للتسكع معهم، لأن هناك شريحة ذكية في دبوس فاخر موضوع على قميصي قادرة على خصم نقاطي لو ضيعت الوقت دون مبرر خارج الميتم.

- ولا يمكنك أن تقول إنك عشت كل حياتك بنظام صارم يحكم كل تفصيل من تفاصيل حركاتك، وشخص مزعج يراقب تصرفاتك ويدعو نفسه قائدك!

انفجر هوشيار ضاحكًا لنبرة فراس قبل أن يحرك رأسه نفيًا ويقول:

- لست مزعجًا، لولا وجودك فإن الكثير من الأمور كانت ستأخذ منحى خاطئًا ولا تتصلح مطلقًا.

سمع كلماته والتفت للخارج دون أن يجيب، خلال ثوانٍ اختفت هذه الكلمات من رأسه ولم يجد لها أي معنى، المحادثة التي حصلت البارحة قفزت لذهنه وتردد صدى ما قاله أزار في عقله «دفعته ليخونك مرة تلو مرة أمام عينيك بينما تنظر إليه بلوم لكسره الرابطة القوية التي حاولت صنعها بينكما». كانت تلك إحدى الحقائق التي يعرفها ولكنه يحاول التغاضي عنها،

أنه غير نفسه جذرياً من أجل هوشيار، وأن هوشيار كسر الثقة التي تعيل علاقتهما، أخبره بأنه سامحه وكان صادقاً في هذا، ولكن هذه الذكرى كانت تتدفق لعقله لتخرب أفكاره كل فترة، وشياطينه تخبره بأن معاملة هوشيار الجيدة له كلها بدافع الشفقة والتكفير عن الذنب.

لم يظهر أي تعبير على وجهه، ولكن الألم عاد ليحتل صدره، وعلى الرغم من محاولته لإخفائه، فإنه بحركة لا إرادية شد على قميصه بقبضته وعقد حاجبيه وقطب جبينه بضيق.

- هل أنت بخير؟ ألا يجب أن تتوقف عن العناد وتذهب إلى القسم الطبي؟
- العناد؟

- أنت هكذا منذ أسبوعين، يمكنني أن أشعر من صوت أنفاسك أن هناك شيئاً خاطئاً.

- أخبرتك بأنني مصابٌ بالزكام!

- هذه لم تكن كذبة جيدة، وأنت تسعل دماً منذ أسبوعٍ ونصف!

مرر يده في خصلات شعره بضجر حين شعر أن الفتى الأصغر حاصره بالزاوية ليقترّب منه هوشيار ساحباً السيارة من يده ويتابع:

- أنت تدخن كالمجانين وهذا يضرّك أكثر، أنت تعلم أن التدخين ممنوعٌ هنا، فكيف تحصل عليه أصلاً؟!

- يمكن لأي شخص من مجموعة هاري أن يؤمن ما يريد من طريق تبادل بعض المصالح مع أي شخص يخرج.

- وكيف تدفع سعره؟

تساءل هوشيار رافعاً حاجبيه بسخرية ليهز فراس كتفيه باستهزاء ويرد:

- أنا لا أفعل، هم يحضرونه لي وحسب!

- أنت تفعل هذا منذ سنوات ولكنك لم تفكر قط أن هذا مريب!

- يمكنني أن أفهم أنهم يتقون شر الشيطان عن طريق إعطائه ما يريد!

تمتم ساخرًا وهو يسحب السيارة مجددًا من يد هوشيار ويطفئها على

الطاولة التي تفصل بين النافذة وسريره. تنهد هوشيار وقال:

- لا يهمني، لنذهب إلى القسم الطبي الآن.

- هوشيار، توقف عن التذمر كطفل! سأذهب إن لم أتحسن في الأسبوع القادم.

ضرب بيده على رأسه وتمتم:

- حينها سأكون مشغولاً في الخروج للجامعة وستتهرب من الأمر.

- من الرائع كيف تفهم الأمور دون أن أشرحها لك!

قالها فراس ساخرًا ثم أشار بيده إلى جانب الباب وقال:

- أطفئ الضوء قبل خروجك لأنني أرغب في النوم.

ضرب الأرض بقدمه كطفلٍ صغيرٍ يتذمر بعد أن طرده فراس بشكلٍ مباشرٍ وتوجه للخارج ليطفئ الضوء ويقول بعناد:

- حتى ولو كنتُ في أصعب جامعة في العالم فلن أنسى ذلك في الأسبوع القادم.

ثم صفع الباب خلفه بحدة لينفجر فراس ضاحكًا عليه قبل أن يضع يده على صدره مجددًا محاولاً تهدئة ذلك الألم الكبير الذي ظل يحاول كبته طوال فترة حديثه مع الآخر.

9

وضعت جهازها في غرفتها وجمعت شعرها أعلى رأسها لتقفز الدرجات سريعاً إلى الطابق الأول، قابلت لؤي بجانب المكتبة ليرشدها لمكان المستودع حيث ستؤدي خدمتها الجديدة.

مشى أمامها باتجاه المستودع بينما يقول:

- المستودع موجود في الجانب الشرقي من الطابق الأرضي، هناك الكثير من الأعمال، لذا لن تحصيلي على فترة راحة مثل العمل الذي كنتِ تقومين به مع بسام، الكثيرون يعملون هناك أيضاً، لذا ما إن تتعلمي التعاون معهم سيصبح كل شيء أسهل.

- من المسؤول عنه؟

- رجلٌ في الخمسين من عمره، ولكننا لا نلتقي به كثيراً، لأن كثافة العمل تجبرنا أن ننقسم لفرق وكل شخص يعمل مع فريقه وحسب، نعود له في حال واجهنا المشكلات.

- ما الذي تقصده بكثافة العمل؟

سألته بقلق لأن كلماته أوحى لها أنها ستجد أعمالاً هائلة تنتظرها، فهم مقصدها ليضحك على تعابيرها ويفسر على الفور:

- المكان يحوي كل شيء ممكن أن يحتاج إليه أي فرد هنا، أي أنه يؤمن مستلزمات لأكثر من تسعمئة شاب وفتاة أعمارهم بين العاشرة والسته والعشرين، لذلك يعمل فيه خمسة وعشرون بالمئة من مقيمي ألكمس! هناك كمية هائلة من الأشياء التي يجب تنظيمها وتنسيقها باستمرار، كما أن هناك كل المستلزمات التي يحتاج إليها قسم الزراعة أو القسم الطبي أو المستلزمات الدراسية وأدوات التنظيف، وقسم للأطعمة.

يشمل عملنا التأكد اليومي من نقصان أي شيء وتأمينه بسرعة هائلة لأن الأمور التي نحتاج إليها يجب أن تكون متوفرة دومًا.

الكم الهائل من الأشياء المخزّنة سيسبب بعض المشكلات، لذلك نحن ننظف بشكل يومي، ومنتبه لتعفن أو تخرب الأغراض، ونخبر قسم المطبخ لو كان لدينا أطعمة شارفت صلاحيتها على الانتهاء.

لم تستطع أن تخفي دهشتها من كمية الأشياء التي قالها، كل ما كان بعقلها في تلك اللحظة أن تعرف في أي مهمة ستوضع وسط كل هذا.

- هناك الكثير من الأشخاص تعرفينهم يعملون هنا، أنا وأمل وآخرون، هاري والفتى الأصلع الجديد هنا أيضًا.

تنبعت حواسها أكثر حين ذكر هذين الشخصين، فتحت باب المستودع ودخلت لتقابلها الأعداد الهائلة من الأغراض المصطفة بتنسيق على رفوف كبيرة وعالية. وقبل أن تمضي ثوانٍ على ذكره كان أول وجهٍ قد رأته بوجهها هو وجه كارتال.

لاحظت نظراته المتفحصة والمتسائلة نحوها بينما طلب منها لؤي الانتظار ليسأل عن مكان عملها، كان كارتال يضع قبعة على رأسه ويرتدي ملابسه المعتادة، لاحظت بعض الغبار على كنزته البيضاء، ولمحت بوضوح القلادة السوداء في عنقه.

- توقفي عن النظر إليّ بفضول، أنتِ تعرفيني بالفعل.

قالها وهو يستدير ليعد مجموعة من ألواح الصابون ويصفهم على أحد الرفوف بينما يدوّن شيئًا على جهازٍ يحمله.

- أنا لا أعرف سوى أنك شريك غرفة هوشيار.

- ليس هناك شيء آخر لتعرفيه عني سوى أنني شريك غرفته، كفي عن النظر إليّ وكأنني قادمٌ من عالم آخر.

قال أخيرًا لينهي نظراتها الفضولية نحوه لترد بسرعة:

- هناك شيءٌ أتساءل عنه...

- ما هو؟

- لقد وصلنا إلى المكان في نفس الوقت، ولكنني لم أركَ مطلقاً في مبنى التأهيل.

أطلق تهديداً متدمرةً طويلة، وضع الجهاز على الرف المقابل لها والتفت لها لينزع قبعته ويحك رأسه بتململ، الشيء الوحيد الذي لم يكن يريده هو أن يبدأ نهاره هكذا.

- إن كان لديك أسئلة لمْ لمْ تسألني هوشيار عنها؟

- لأنه نبّهني ألا أطرح الكثير من الأسئلة، قال إنه يعرف من الأمور أكثر مما يجب أن يعرفه أي شخص، لذلك فإن طرحي للكثير من الأسئلة قد يجبره على إخباري بهذه الأمور، وحينها سأقع في المشكلات.

- هذا ذكي، يمكنني أن أتفهم! ولكنني سأخبرك شيئاً أيتها الصغيرة، أنا لست مهتماً مطلقاً بمصلحتك الشخصية، لذا لن أخبرك ألا تطرحي الكثير من الأسئلة، ولكنني بالتأكيد لست الشخص المناسب ليحببك.

أعاد وضع قبعته على رأسه والتفت ليتابع عمله لتقول بسخرية:

- لأنك قريب أحد المسؤولين بالمكان؟

- لا يمكنني أن أستغرب أي تعليقٍ من فتاةٍ ثرثارةٍ مثلك!

همس متابعاً عمله وصوت لؤي ناداها مقاطعاً المحادثة التي كانت بينهما، شعرت بالضيق ولكنها لم تقل شيئاً لأنها كانت تملك شعوراً أنه سيكرر عليها تحذيرات هوشيار نفسها.

سارت خلفه بينما تنظر إلى المكان بفضول ليلفت نظرها بقوله:

- هل أنت مستعدةٌ للمدرسة؟

- أجل، ولكنني خائفة قليلاً.

- كل مقيمٍ في ألكمس قريبٌ من عمرك يرتاد نفس مدرستك، وكذلك بسام.

لم تستطع أن تخفي الراحة التي شعرت بها وابتساماً صغيرة على شفيتها، بالتأكيد كان بسام أكثر شخصٍ ساعدها في هذا المكان على الرغم من أنها قضت معه نصف الوقت الذي قضته مع هوشيار.

- سيكون عملك هنا.

قالها وهو يتوقف أمام طاولة عليها حاسوبٌ مكتبي بشاشةٍ مسطحةٍ متطورة لتبتسم بحماس لأنها لم تكن بالتأكيد تحب أن تقوم بشيء ممل مثل ما يقوم به كارتال.

- ستجلسين هنا وتنتظرين نتائج الفرز التي سيحضرها الآخرون، ستقارنينها مع الأعداد الموجودة على الحاسوب وستكتبين قائمة يومية بالأغراض الناقصة، عملك دقيقٌ طبعًا، ستحصلين على التقارير من معظم أقسام المستودع وسيكون عليك تدوينها بحذر لأنك ستكونين المُلامة في حال حصل نقصانٌ ما، يمكنك أن تبدئي في وقتٍ متأخر ما دام عملك لا يبدأ إلا بعدما ينتهي معظمهم من أعمالهم.

- فهمت.

- سأتركك الآن لتفحص الأمور على الحاسوب، إن وجدت شيئًا صعبًا فسأكون في قسم الأدوات الزراعية.

بقيت وحدها أخيرًا، وضعت يدها على السوار المعدني حول معصمها وهي تفكر أن الأمور يجب أن تسير بخير، ولن تخسر نقاطها لأجل عملٍ سهل لا يحتاج سوى بعض التركيز، ثم جلست على الكرسي بجانب الحاسوب لرؤية طريقة العمل بنفسها.

شعرت بالنشوة لحظة تحديقها إلى الشاشة الكبيرة أمامها، بدقتها العالية، وأبعادها الثنائية، والصور الملونة بدقة وكأنها هاربة من العالم الواقعي، في هذه اللحظة بالذات تذكرت حياتها السابقة أكثر من أي وقتٍ آخر، كانت شخصًا مهووسًا بالجلوس أمام الأجهزة، كانت تملك حياةً اجتماعية، ولكن معظمها كان ضمن الشاشات، كتبت ذات مرة تقريرًا أن حياة الإنسان ستنتهي إن عاش دون التكنولوجيا الحديثة لثلاثة أيام، وأنها أصبحت مهمة بقدر الطعام والشراب، على الرغم من أنها لم تكن مهووسة بالتقنيات مثل زملائها الذين يريدون دراستها.

الآن حين تتذكر ذلك تشعر كم كانت شخصًا سخيًا، مرت فترةٌ منذ آخر مرةٍ أمسكت هاتفًا، وقد استطاعت أن تفهم الكثير حول العلاقات الحقيقية للأشخاص خارج العالم الإلكتروني الذي كان يحكم حياتها، استطاعت أن تعيش دون تقنيات، عوضت الأمر ببذل المزيد من الجهد، وكانت الحياة ممكنة دون أفلام، وقرأت الكتب دون حاسوبها المحمول، ولم يكن الأمر صعبًا أن تستمر حياتها اليومية دون مشاهدة الحلقة الجديدة من مسلسلها المفضل، باختصار كل الأشياء التي تشبثت بها وظنت أنها مهمةٌ للغاية بدت هشةً جدًا وتافهةً للغاية ويمكن العيش دونها بكل سهولة!

بدأت العمل على الحاسوب لرؤية طبيعة مهمتها، استغرق منها الأمر نحو ساعة حتى قوطعت من أول شخصٍ يسلم لها تقريره من جهازه اللوحي.

- تقرير القسم الطبي.

رفعت رأسها لتشكر الشاب الذي تحدث معها، توقفت للحظات حين عرفته على الفور بشعره الأحمر ولحيته الخفيفة التي توحى بعمره الأكبر من البقية؛ هاري، أربعة وعشرون عامًا، يكرهه هوشيار، يتمنى فراس موته باستمرار، يضع قلادةً سوداء، ولا يشعر إلا بالخطر.

- شكرًا لك.

أجابته وهي تنقل الملف لجهازها ليقول لها:

- أين فراس؟ أنا لم أراه في الأثناء البارحة!

رفعت نظرها إليه وتقوس حاجباها بتساؤل قبل أن تقول:

- لا أملك فكرة.

- حقًا؟ أنتِ مقربةٌ منه!

قالها ساخرًا ليزداد تقوس حاجبيها وتعجبها مما قاله، لا تذكر أنها دخلت

غرفة فراس أو سارت معه أو تحدثا كثيرًا حتى.

- لا، نحن لسنا كذلك.

ضحك بسخرية لما قالته وهو يمسح بيده على فكه كشخصٍ يرغب في

الانفجار غاضبًا ولكن يتمالك نفسه بصعوبة، انحنى لمستواها ليصبح وجهه

قريبًا من وجهها مما دفعها لترجع للوراء سريعًا.

- ما الأمر؟

قالت بحدة محاولةً استجماع شجاعتها على الرغم من خوفها من عينيه

الزرقاوين المشتتين، أمسك بيدها لتجفل بذعر، حاولت أن تسحبها ولكن

عروق يديه البارزة كانت كافيةً لتعرف أنه أقوى منها بمرات، رفعها نحو

وجهه رغمًا عنها وجعلها تتحسس جرحًا عميقًا أعلى جبينه كان من الواضح

أنه حديث الأثر.

- هل تشعرين كم هو عميق؟

أومأت له بتوتر وحاولت سحب يدها من يده مجددًا ليفلتها أخيرًا، ضمتها

إلى صدرها وكأنها تمسح لمستته ليتابع:

- لقد حصلتُ عليه منذ ما يقارب الشهر والنصف، ما زلتُ أشعر به

يحرقني.

- لا يمكن للجروح أن تحرق لأكثر من شهرٍ ونصف!

همست بصوتٍ خافت وهي تنظر إليه مباشرةً، كانت أغبى جملةً لتقولها،

ولكنها أول ما فكرت فيه في ظل الوضع الغريب الذي وجدت نفسها به.

- هل تعلمين من تسبب به؟

- توقف عن سؤالي، هل نعرف بعضنا لنتحدث أصلًا!؟

ابتسم نحوها بسخريةً مجددًا، كان يتمنى لو بوسعه قتلها، هل تسخر منه؟! في كل مرةٍ ذكر اسمها كان يتلقى نظرةً تزعجه من فراس، تلك النظرة التي تشعره أن (فراس) جزءٌ من الموت! بل وقد رمى طبقًا زجاجيًا لينكسر على رأسه لمجرد أنه تحدث عنها، هل تسخر منه وتقول إنهما غير مقربين؟

- ما يزعجني حقًا أنه في كل مرةٍ يبدأ فراس في العودة لنا يظهر شخصٌ لعينٌ ما يبعده عنا تمامًا، أنتِ، وهوشيار، وتلك الشقراء!

انحنى أكثر لترجع للوراء مجددًا، بدت لها تلك العينان الزرقاوان كالمحيط؛ تحملان بداخلهما الكثير من المشاعر الدفينة، حقدٌ أكبر من أن يحتمله جسدٌ واحد، لم ترَ مثله من قبل!

- ما الذي تفعله؟!

الصوت أنقذها من نظرات هاري القاتلة نحوها، التفت هاري بشزر للخلف ليجد بوجهه شابًا قريبًا من عمره يضع نفس القلادة السوداء، بالتأكيد كانت محادثتها مع كارتال غير ودودةٍ مطلقًا ولكنها شعرت بامتنانٍ لقدمه، حتى وإن لم يكن قادمًا لأجلها.

- من أنت؟

قالها هاري بانزعاجٍ أكبر حين عرف أن هناك شخصًا مثل مجموعته هنا ولكنه لم ينضم للمجموعة ليرد الآخر بتعالٍ:

- لا علاقة لك، أفسح المجال إن كنتَ قد انتهيت.

- هل أنتَ جديد؟ متى أتيت؟

تقدم متجاهلاً إياه ليأخذ قطعة سكاكر من تلك الموضوعية على الطاولة بجانب شاشة الحاسوب، أكلها وكأن أحدًا لا يقف أمامه مصدرًا صوت تُلذ لحظة وضعها في فمه، ثم أنزل قبعته ليمسح العرق عن رأسه بكم كنزته، كان رأسه الحليق يميزه، لذا عرفه هاري على الفور ليقول:

- أنتَ شريك غرفة هوشيار إدا!

- ألا تظن أنك وقحٌ بعض الشيء لتتحدث بهذه الطريقة مع شخص لا تعرفه وتتنظر إلى طفلة بهذه النظرات؟

قالها كارتال بلا اكتراث وكأنه يلقي التحية، لا يمهد لشجارٍ محتمل، كان قد جاء منذ لحظات وسمع معظم ما قاله هاري لها.

- وقح؟! -

بصقتها من بين شفثيه ليحرق إليه كارتال طويلاً ويرد:

- فراس بقي في غرفته ليلة البارحة لذلك لم تره، هل هذا كافٍ لأجيبك عن سؤالك؟

ضرب هاري بقبضته على الطاولة بقوة محاولاً إظهار حجم انزعاجه لتنتفض للوراء بخوف دون أن تتجراً على قول كلمة، بينما واصل كارتال التحديق إليه بعينين باردتين لا تحملان بداخلهما أي حياة. لم ترد أن تصدق هذا الأمر ولكن عقلها لم يتوقف عن إقناعها أن كارتال كان يدافع عنها في هذه اللحظة.

- سنلتقي في الأنحاء أيها الشاب الجديد!

قالها وهو يستدير ليغادر ليستوقفه بقوله:

- كارتال ساروس.

التفت نحوه بسرعة ولم تخفَ عليهما عيناه المتسعتان ليردف بنفس البرود:

- هذا هو اسمي، يمكنك أن تناديني به عوضاً عن الشاب الجديد! كارتال ساروس.

تمتم بها مجدداً بينما رفع زاويتي شفثيه بابتسامةٍ ساخرة تحمل بداخلها الكثير من التهديد والنيران التي كانت كفيلاً بإحراق كل غرور هاري، عيناه العسليتان الواسعتان تحدقان مباشرةً إلى عيني هاري وأجاب:

- ليس هناك أي فائدة من نعت الأموات باللعناء!

كان يعني إيلينا! استطاع أن يفهم هذا، الأمر جعل هاري ينتفض غضباً ويغادر سريعاً بعد أن تلقى صدمة حياته بمعرفة اسم كارتال. نقل كارتال الملف لها واختفى من مكانه قبل أن يتسنى لها أن تشكره.

كان نوعاً مخيفاً من المحادثات بين شابين مخيفين أكبر منها، ذلك النوع الذي تستشعر به الألم والخطر والقوة ووجوب الحذر، ولكنك لا تفهم منه شيئاً مطلقاً!

4

الشمس التي غربت مع الماضي

العودة للمدارس كان شيئاً اعتيادياً يحصل كل سنة في ألكمس، ولكن الفوضى كانت تنتشر كثيراً في اليوم الأول بسبب توزيع الطلاب على حافلاتهم، إيلاف كانت في حافلة الثانوية برفقة عشرين طالباً آخر، وقد جلست في يومها الأول وبجانبها الشاب الأسمر الذي لم تلتقه منذ أسبوعين أو أكثر وعلامات التعب تغطي وجهه.

كان يبدو مرهقاً لأنه قضى الأيام الماضية برفقة منير الذي نُقل خارج ألكمس، أُلقت التحية عليه وسألته عن حاله بينما بدأت الحافلة بالتحرك أخيراً خارجةً من باب دار الرعاية، حدثت إلى الطريق بعينين مشدوهتين وبطريقة ما صدمتها حقيقة أنها لم تغادر هذه الأسوار العالية منذ شهرين كاملين ولم تشعر بمرور الوقت مطلقاً.

كان هناك لحظات مملة بالطبع، ولكن كان هناك الكثير من الأشياء الغريبة لاكتشافها يوماً وراء يوم، أشخاصٌ جددٌ تتعرف إليهم، قصصٌ قديمةٌ مدفونة تستشعرها من حديث الشبان الأكبر سنّاً ونظراتهم وتعابير وجوههم التي تحكي الكثير. لم يكن هناك وقتٌ لتفكر بمرور الأيام، كانت مشغولةً لوقتٍ طويل باستيعاب الحياة الجديدة التي عليها أن تواجهها، لفهم الأشياء المعقدة حول هذا المكان، وقتٌ طويلٌ ذهب في الدراسة، وآخر مضى بسرعة الضوء في الأيام الجميلة برفقة بسام، والأسبوعان الأخيران ذهبا في أرقٍ طويل بسبب هاري وكارتال.

- في المدرسة صفي مقابل صفك مباشرةً.

قال بسام هذه الكلمات ليفرك أصابعه ببعضها بقليلٍ من التوتر ويتابع:

- لا نملك الكثير من الأصدقاء في المدرسة، لا أعلم لماذا، هذه عادةٌ لدى الجميع هنا، نحن نتحاشاهم حتى لا نسقط في الإحراج، لأننا نحب أن

نكون متعاونين معهم كأصدقاء ولكن لا يمكننا الوقوف معهم طوال الوقت، لأن أي تصرف خاطئ قد يؤثر على نقاطنا.

قاطعته بقولها:

- ألا يمكنكم شرح الأمر وحسب؟

- هناك القليل من الخوف سيولد بصدرِك لو حاولتِ فعل ذلك، الخوف من عدم تقبل المجتمع لك لأنك شخصٌ يتيم أو الشعور بالشفقة عليكِ، بالتأكيد هناك أشخاصٌ سيتقبلون وآخرون سيشعرون بالضعف والهزيمة، لأننا نريد الهرب من الجوانب السيئة فسنلجأ لإخفاء الحقيقة. كنتُ أقضي كل الاستراحات بلا استثناء مع منير، وأحياناً مع لؤي وهوشيار وأمل.

أومأت له بتفهم مما دفعه للابتسام بمودة وأضاف أخيراً:

- لهذا إن كان هناك أحدٌ في صفك من الكمس فاعلمي على صناعة صداقةٍ معه، وأيضاً بمغادرة الجميع فسأكون سعيداً بوجود صديقةٍ جديدةٍ أقضي الوقت معها.

همس بأخر جملة وهو يحك مؤخرة رقبته ويشيح بنظره عنها محاولاً إخفاء إحراجة، وعلى الرغم من بشرته السمراء، فإنها لاحظت احمراراً طفيفاً بوجنتيه جعلها تضحك بخفة وتنظر إلى الخارج بدورها وهي تجيب:

- إن كنتُ قادرةً على قضاء أيام دراستي معك فلن يكون الأمر صعباً!

اعترفت بصراحة لتتسع عيناه لكلمتها، ابتسامةٌ صغيرة على شفتيه عبرت عن الكثير من الامتنان لها لأنها قبلت عرضه بطريقةٍ لطيفةٍ للغاية لم يتوقعها، وتوقف عن الضغط على أطراف أصابعه وهو ما كان يفعله من الصباح كرد فعل عن التوتر الداخلي الكبير الذي يزوره في بداية كل عامٍ دراسي خشية من قضاء وقتٍ طويل وحده دون أصدقاء.

حين كان صغيراً كان الطفل الوحيد والمدلل لوالديه، وضعت عائلته في مدرسةٍ للأغنياء على الرغم من أنه كان بحالةٍ ماديةٍ متوسطة، وبسبب عدم قدرته على مجاراتهم، قد عرفه الجميع بسهولة أنه مختلفٌ عنهم، تلقى بعض التنمر، لم يكن محبوباً كثيراً، لذا كان يقضي الكثير من الوقت وحده.

حين توفي والداه خسر ما كان يجعله قويًا وواثقًا بنفسه أو بوجوده من الأساس، حين تم أخذه إلى ألكمس ونقله إلى مدرسةٍ أخرى، ازداد شعور قلقه السنوي من المدرسة ورغبته في الصمت حين يكون فيها، ولكن الجانب الإيجابي أن جميع المقيمين كانوا يملكون شعورًا مشابهًا، ولهذا وجد أشخاصًا يشاركونه القلق غير المنطوق لديهم جميعًا.

كان ممتنًا لأن كلمةً بسيطةً وابتسامَةً دافئةً كانتا كافيتين لاحتواء مخاوفه السنوية القديمة التي يكره أنها تتمسك به.

في بعض الأحيان، وفي هذه المواقف بالذات، يشعر أنه ما زال صغيرًا حقًا، يملك تلك المخاوف الطفولية الصغيرة، والأشياء التي يحب أن يتهرب منها، والتوتر الصبياني الذي لا يفارقه، مراهقٌ صغير ما زال يبذل جهدًا لينتهي من المدرسة الثانوية بسلام، ويحمل همًا كبيرًا بالاعتناء بفتى مريض أصغر منه، على الرغم من أن هذا الهم لا يناسب طفوليته التي دفنها في أعماقه خوفًا عليها من العالم.

2

في حديقة ألكمس سارت الحافلات واحدةً تلو الأخرى وبقيت حافلة طلاب الجامعات التي تسير بعد البقية بنصف ساعة، كان هوشيار جالسًا في الحديقة في ظل المبنى الخشبي، رأى (فراس) يتوجه ناحيته مما دفعه ليضيق عينيه نحوه باستغراب؛ لقد مرت أيامٌ بالفعل وما زال فراس شاحبًا وعلامات التعب تبدو على وجهه، ينام مبكرًا كل ليلة لشدة الإرهاق الذي يحتل جسده على الرغم من أنه لا يفعل أي شيء مطلقًا، والخمول يسيطر عليه فلا يستيقظ باكراً أيضًا، ولكن هوشيار كان ممتنًا لأنه استيقظ هذا الصباح من أجله.

- هل أنت مستعدٌ للذهاب؟

قالها وهو يجلس على الأرض بجانبه ليحرك رأسه ويرد:

- أجل، متحمسٌ وخائفٌ بعض الشيء.

التفت له حين سمع كلمة خائف، ولكن هوشيار لم يفسر حقيقة مشاعره، كان يشعر بالغرابة، لأنه شرب فنجان قهوة في الوقت الذي استعجل به الطلاب حتى لا يفوتوا دوامهم المدرسي، لأنه حدق إليهم وهم يغادرون دون أن يكون معهم، على الرغم من كونه مدرِّكًا أنه سيدخل الجامعة الآن ولكن صدمته حقيقةً أنه لم يعد جزءًا من مجتمع المدرسة، وإنما من مجتمع أكبر، لا يملك تلك القوانين الدقيقة التي يجب أن يلتزم بها الطلاب.

صار جزءًا من مجتمع لا يعرفه، أرعبته فكرة أن عليه تقبله واعتياده، لأنه أكبر بكثير من دار الرعاية التي عاش كل حياته فيها، أو المدرسة البسيطة التي كان يذهب إليها.

- ستكون الأمور بخير.

همس بها فراس وهو ينظر إلى الحافلة التي لم تنطلق بعد، ثم نهض وتابع:

- استمتع بوقتك، لا تصنع العداوات، كن شخصًا مجددًا.

- إلى أين؟

- سأعود لغرفتي، أردتُ أن أطمئن عليك وحسب.

سعل بخفة ثم سار بعيدًا، كان قدومه تفاقؤًا كبيرًا بالنسبة إلى هوشيار، ولكنه شعر بالألم بسببه، مجددًا، كان يحس أن هذه اللحظات تؤلم صدره، ولم يكن يعرف السبب.

كان خائفًا على إيلاف أيضًا، لم يخبرها بالكثير من الأمور حول الثانوية التي ستذهب لها وترك لها أن تكتشف الأمور وحدها، كان متأكدًا أن الأمور ستكون صعبة عليها في يومها الأول، ولكنه تذكر أنه رأى (بسام) -الذي كان مختفيًا منذ أسبوعين- يجلس في الحافلة بجانبها مما جعله يرتاح قليلًا.

نسمات الصباح كانت باردة قليلًا، رأى أمل تشير إليه من بعيد ليقف معها ومع شقيقها التوأم، فنهض من مكانه حاملاً حقيبته الصغيرة وقرر أن يتوقف عن القلق على الأقل حتى يصل إلى الجامعة الجديدة ويرى الأمور بروية بنفسه.

3

فرغ المبنى من مقيميهِ وعم الهدوء فيه بشكلٍ مخيف، لم يكن هناك سوى القليل من الأشخاص بقوا هناك، لا يذهبون للدراسة ولا يغادرون مطلقاً، يضعون قلاذات سوداء في أعناقهم ويراقبون هذه الأوضاع بصمت. فراس عاد لغرفته ليغط في النوم على الفور، كارتال بقي واقفاً بجانب النافذة يراقب الأمور بتعابير منزعجة حتى بعد أن غادرت الحافلة الأخيرة التي تحمل طلاب الجامعات، يضغط بأطراف أصابعه على زجاج النافذة حتى أصدر صريراً مزعجاً، ويمرر يده الثانية على ياقة الكنزة السوداء الرياضية التي يرتديها مبعداً إياها عن رقبتهِ كتعبيرٍ عن السخط!

طرقتان على الباب قاطعتا صمته، وقبل أن يتسنى له أن يأذن بالدخول، فتح الطارق الباب بلا انتظار ليجد في وجهه هاري بزيارة صباحية غير متوقعة.

حدق إليه للحظات قبل أن يقول ببرود:

- أزار يريد رؤيتك.

- هل هو في مكتبه؟

- لا أعلم، لستُ مدير أعماله.

اختفى هاري كما ظهر، وعلى هذا ازداد انزعاج كارتال متذكراً أيامه الأولى، حين تمت محاصرته من بعض الأشخاص من مجموعة هاري، عُرض عليه أن ينضم لهم بإخباره بأنهم مجموعة واحدة، وقد فهم من بعض الأحاديث التي تدور في المكان أن (فراس) كان قائدهم في البداية ولكنه تركهم حين تم تعيينه قائداً على هوشيار، ولذلك كان يمكن أن يتفهم سبب حقدهم -هاري خاصة- على هوشيار، ولكنهم يخشون التمر عليه لأن (فراس) قد يتحول لوحش لو آذوا طفله الصغير.

بقاؤه هنا كان غريبًا عليه، كل الأشخاص مختلفون بعضهم عن بعض ومختلفون عنه، ولكن بطريقة ما، الجميع كان يحمل في قلبه نفس الحزن، الكل منكسرٌ بطريقة ما، ولكن شخصياتهم المختلفة وطريقة تعاملهم المختلفة مع الأمور جعلت المكان مثيرًا أكثر. كان يعلم أنه سيجرب أي شيء، ولكن ذلك اليوم الذي وجد نفسه محاطًا بتلك المجموعة جعله يضحك بشدة لأنه لم يضع هذا الموقف في الحسبان على الرغم من كونه طبيعيًا عند دخوله لمكان كهذا يحوي مجرمين تحت السن القانونية أو أشخاصًا يعانون اضطرابات عديدة!

انتهى الأمر بإسقاطه واحدًا منهم على الأرض يثني ذراعه خلف ظهره يهدده بكسرها إن لم ينسحب مع أصدقائه، بينما يضغط بركبته على ظهره مانعًا إياه من التحرك، وهكذا انسحبت المجموعة دون أن يتلقى أي من الطرفين أذية جسدية توقعهما في المشكلات، وحين اصطدمت عيناه بعيني هاري في اليوم التالي وجده غير مكترثٍ بطريقة غريبة جعلته يعرف أن الأمر حصل دون موافقته، لذلك لم يبدي رد فعلٍ لأنه وجد أتباعه يستحقون ما لاقوه. خرج من غرفته وتوجه إلى مكتب أزار، وجده جالسًا على كرسيه الجلدي الوثير ينظر إلى حاسوبه دون أن يلتفت له بينما يرتدي بزّة رمادية فاخرة.

- ماذا تريد؟

- هل هكذا تحدث عمك الذي لم تره منذ مدة طويلة؟

قبض ملامحه بانزعاج ورد:

- لستُ مشتاقًا لك، ولستُ في مزاج جيد للتحدث، لذا أخبرني ماذا تريد ودعني أعود لغرفتي لأنني نعس للغاية.

التفت أزار نحوه أخيرًا وابتسم باستفزاز:

- هل طبيب المستقبل المجتهد غاضبٌ لأنه خسر إحدى سنوات جامعتة المهمة؟

- أنت تعلم أنني أريد أن أكون طبيبًا وأطمح لذلك باحثًا عن أقصر الطرق، وأنت، من أجل لعبة بسيطة تقوم بها تجعلني متأخرًا عن زملائي بسنة!

- توقف عن نعت المهمة الوحيدة التي وكلك بها عمك العزيز بلعبة!

- لا أذكر أنني وافقتُ عليها، أنت أجبرتني!

همس بحرقة على الرغم من أنه ما زال يحافظ على هدوء ملامحه المعروف به. كان كارتال النسخة المعاكسة تمامًا لفراس حين يتعلق الأمر بطريقة تعبيره عما في داخله.

ابتسم آزار بوجه خالٍ من التعابير، نقر أصابعه على سطح الطاولة الزجاجي معبرًا عن مله من «درامية»، كارتال وأجاب:

- عده رد جميل لأنني ربيتك كل هذه السنوات بعد وفاة والديك.

- أنا لم أطلب منك ذلك، كان يمكنك رمي هنا كما فعلت معها!

بصقها وهم بالخروج ولكنه لم يتجرأ، على الرغم من وقاحته معه، فإنه يعترف بخوفه الدائم منه، تلك العينان كانتا كفيلتين بجعل الشاب يتجمد في مكانه خشية أن يستدير ويعطيه ظهره ليجد أن ما حصل تاليًا هو تحطم عظام جسده، على الرغم من أن ذلك لم يحصل مطلقًا من قبل ولكنه كان يفكر فيه وكأنه أسوأ كوابيسه.

- توقف عن النحيب كالأطفال كارتال، لست من أدخلها إلى هنا، بل هي من فعلت ذلك بنفسها، أنا لم أطلب منها أن تبيع موادًا لا قانونية بين طلاب الثانوية، هي فعلت!

- لأنها احتاجت إلى الأموال بشدة وأنت لم تعطها.

- حقًا؟! هل كل شخص يحتاج إلى الأموال يفعل ذلك؟!

شعر بعمه يضغط على أعصابه ويرسله للحافة، بشكل ما كان ذلك أكثر ما يكرهه به، أنه يعامله بهذه الطريقة التي تجعل أعصابه مستنفرة تمامًا على الرغم من علمه أنه لن ينفجر غضبًا بوجهه مطلقًا، حاول تمالك أعصابه وهدوءه الكبير الذي يخسره بلحظة كلما تحدث عن هذه الفتاة، ورد:

- لأنها أرادت معالجة أمها، كنت الشخص الوحيد المسؤول عنها، وقد بحثت عن كل طريقة ممكنة لتعالج أمها ولكنك لم تعطها النقود قط ولم تسمح لها بالعمل، لذا اضطرت إلى فعل كل شيء بطريقة لا قانونية.

لم يبدُ على وجه آزار أي تأثير بما قاله ليتابع بحسرة:

- وانظر ماذا حصل، تم الإمساك بها، وإرسالها إلى هنا كمجرمة تدعي أنها يتيمة!

قاطععه بقوله:

- لم تكذب؛ كانت يتيمة حقاً.

- والدها كان ميتاً، ولكن أمها كانت على قيد الحياة قبل أن تموت بسببك!
مجدداً كست الحسرة صوته أكثر من ذي قبل، وأضاف:

- لو أنك أعطيتها الأموال لما ماتت إيلينا في هذا الميتم اللعين!

- هل انتهيت؟

همس بها بصوتٍ كفحيح الأفعى وهو ينهض واقفاً ليتراجع كارتال خطوةً للوراء بشكلٍ لا إرادي، خرج الآخر من وراء مكتبه ومشى نحوه بخطواتٍ ثابتة وعيناه تنظران إليه مباشرةً بحدّة كالسيف، مما دفع كارتال ليبتلع اختناقاً ويخفض رأسه أرضاً دون أن يضيف أي كلمة.

وقف أمامه مباشرةً ووضع يده على مؤخرة عنقه مجبراً إياه على النظر إليه، كان يحاول أن يبدو قوياً ولكنه كان يرتجف بشكلٍ جعل الآخر يدرك سلطوته عليه. نظر إلى عينيه مباشرةً وقال:

- إن كنتُ ربيتُكما فهذا لا يعني أن أدفع أموالاً لعلاج أمها اللعينة التي سببت موت أخي، إن لم يكن من أجل أخي فمن أجلك، لن أدفع نقوداً لقاتلة أبيك! لننته من هذا النقاش المزعج من الصباح.

شفته ارتجفتا لكنه لم يقدر على نطق تبريراتٍ كثيرةٍ تزامت على طرف لسانه ليتابع:

- كنا نتحدث عن جامعتك وأنت أقحمتَ هذا الموضوع التافه وسط كلامنا، لذا لا تلمني إن تخرب مزاجي.

- موت إيلينا ليس موضوعاً تافهاً، وقد جعلتني أفوت سنةً جامعيةً كاملةً بالفعل.

تمتم بحرقة ليشد آزار على مؤخرة عنقه بقوة أكبر جعلته يشعر بألم عظامه حتى أسفل عموده الفقري وتابع متجاهلاً كلمته تماماً:

- لقد أدخلتُك الجامعة التي تريد حين أردتَ ذلك، وأنا أخرجك منها حين أريد أنا ذلك، لذا لا تتذمر لأجل سنة، فأنت ستصبح طبيباً سخيلاً مستقبلاً وسأتوقف عن سماع ترهاتك حول أي شيء.

ابتلع ريقه بتوتر ولم يخفَ على الرجل القريب منه هذا، رفع يده قليلاً من مؤخرة عنقه ليمررها على رأسه وانتهى به يربت عليه بخفة قبل أن يعيدها لجيبه ويقول:

- كارتال، إن كان لديك أي شيء تريد قوله فقله الآن لأنني لستُ مستعداً لفتح هذه المحادثة مرةً ثانية.

تردُّ طويل وقع به الشاب بعد الموقف الذي عاشه، ابتلع ريقه مرةً أخرى، أغمض عينيه مستجمعاً شجاعته وشد على قبضتي يديه مستعيداً هدوءه ليقول أخيراً:

- فقط ما الذي عليّ فعله؟

- أنا بحاجة إلى معلوماتٍ معينة وأحتاج إلى شخص ما ليجلبها لي، الروبوتات لا يمكن أن تقوم بما أريده، والأطفال هنا معظمهم مملون ومزعجون، نكاؤك هو الشيء الوحيد الذي سيعينني.

- معرفة مقدار الأشياء التي يعرفها هوشيار ميكاليس عن طريق الادعاء أنني مجرمٌ يجلس معه في نفس الغرفة! ماذا ستفعل بعد ذلك؟ ماذا لو كان هوشيار ميكاليس يعرف أكثر مما يحق له؟ هل ستقتله؟

رفع حاجبه بسخرية حين سمع الكلمة الأخيرة وكأنه لن يفعلها مطلقاً، ثم ابتسم ورد:

- لا أحب أن يتدخل أحدٌ في عملي، لذا لن أجيبك عن سؤالك.

- لو أخبرتهم بأنني مجرد يتيمٍ عادي ألن يكون الأمر أسهل؟!

- لماذا؟

- هوشيار لن يثق بي مطلقاً وهو يعرف أنني مجرمٌ وأنني على علاقةٍ مباشرةٍ معك، لن يخبرني مطلقاً بأي شيء! لماذا لم تخفِ حقيقة القرابة التي تجمعنا؟

- أنت أحمق حقاً كارتال، هل تظن أن شيئاً كهذا قد غاب عن ذهني؟

حدق إليه بلا فهم للحظات طويلة قبل أن تتسع عيناه بصدمة ويهمس:

- فعلتها متعمداً!!

ابتسم آزار ولم يجب، حينها فهم كارتال أنه لم يكن بالنسبة إليه أكثر من أداة، شيءٌ يحصل منه على أكثر فائدةٍ ممكنة، وضعه مع هوشيار بنفس

الغرفة ليحصل على المزيد من المعلومات، أخبر (فراس) بتلك الكذبة ليكسب ثقته عن طريق إخباره بأن كارتال يفتش في أغراض عمه، أخبرهم بأنه قريبه حتى يتقصى المزيد من الأشياء من هاري وآخرين.

تجسدت أمام عينيه في تلك اللحظة خطة أزار، متشابكة ومعقدة، وغير مفهومة مطلقًا بالنسبة إليه، خطة انقضت عليها سنوات لا يعرفها، وفيها بياذق كثر، بياذق أكثر من استيعابه، كل ما كان يعرفه في تلك اللحظة أنه أحد هؤلاء البياذق.

- هل هوشيار يشك بشأن أي شيء؟

- لا.

أجابه وهو يخفض رأسه مجددًا.

لم يكن يشك بأي شيء، ولكنه لم يكن سيخبر كارتال بأي شيء أيضًا، في الظروف العامة كان تنفيذ مهمته مستحيلًا تمامًا؛ هوشيار كان متحفظًا كثيرًا حول نفسه، صامتًا معظم الوقت ولا يتحدث إلا مع أصدقائه، لا يمنح ثقته لأي أحد على الإطلاق إلا فراس، وحتى فراس نفسه كان يعامله بطريقة محددة، بقول الأشياء المهم قولها وحسب. من المستحيل أن يقول أي شيء لشخص لم يطقه على الإطلاق.

- هل قال شيئًا ما؟ حول سياسة المكان؟ هذه الأمور...

- لم يفعل! امنحني بعض الوقت، سأحاول أن أعرف أشياء أخرى.

قالها بتوتر ليحرك أزار رأسه برتابة ويعود ليجلس على كرسيه واضعًا قدمًا فوق الأخرى وطالبًا منه الانصراف. حالما غادر وأغلق الباب انهار على الأرض وكأنه لا يصدق خروجه بسلام من هناك، مسح بيده على وجهه متذكرًا المحادثة التي حصلت منذ ثوانٍ وحسب، ولعن نفسه عشرات المرات لأنه أوصله إلى هذه المرحلة من الانفعال بقوله الكثير من الأشياء.

عاد لغرفته مجددًا ورمى بجسده على سريره والأفكار تسيطر عليه، لا يعرف أي طريقة للهرب من الأمر إلا بإعطاء أزار المعلومات التي يريد، ولا يمكنه أن يسأل هوشيار بشكل مباشر، لأن هذا سيجعله يعرف أنه في الحقيقة يراقبه. مسح بيده على وجهه بسخط وقرر أن يعود للنوم في هذا الوقت الباكر من النهار ليفكر في خطة مناسبة في وقت لاحق.

4

في نهاية ذلك اليوم قضى هوشيار وقتًا طويلًا على سطح المبنى الخشبي برفقة إيلاف التي كانت تحدثه عن يومها الأول، استمع لها بصبر على الرغم من أنها تحدثت عن الكثير من الأمور، وضحك عليها كثيرًا حين أخبرته بأنها انتظرت الاستراحة بفارغ الصبر لتركض وتخبر (بسام) بأنها وجدت معظم المعلومات التي يجب أن تُعطى هذه السنة معروفة لها بفضل وبفضل هوشيار.

استلقى بجسده محددًا إلى السماء بعينين لامعتين والراحة تتسلل لقلبه، وقد شعر أنه اطمأن عليها أخيرًا، لتسأله بلا مقدمات:

- ما الذي تريد أن تفعله بعد أن تخرج من هنا؟

نظر إليها باستغراب ثم أعاد عينيه للسماء وأجاب:

- أريد أن أحصل على منزل، أتابع دراستي وأعمل في مكان كبير، وبعدها بسنوات سأتزوج وأصنع عائلة تحب بعضها بعضًا، نراقب السماء معًا كل ليلة.

- هذه أحلامٌ بسيطةٌ للغاية بالنسبة إلى شخصٍ مثلك!

- لا أريد شيئًا معقدًا، إن أُتيحت لي هذه الحياة وحسب فسأكون سعيدًا كثيرًا. ماذا عنك؟

فكرت للحظات قبل أن ترد بتفاؤل:

- أريد العودة لمدينة مينوري والعيش مع عمي.

- عمك؟ أنتِ تتحدثين عنه كثيرًا، هل هو شخصٌ مميز؟!

- أروع شخصٍ يمكنك أن تراه، أتساءل ما الذي يفعله الآن.

كان الجلوس مع إيلاف يشعره بالسعادة، ولكنه كان مُرهقًا بطريقةٍ ما، لأنها لم تكن تسأل كثيرًا، ولم تكن تتعمق بالبحث عن الإجابات بشكلٍ كبير، ولم تكن تهتم لما تحصل عليه من المعلومات أو لا. ولكنها كانت ذكية، يلفت انتباهها أشياءٌ عديدةٌ لم يلاحظها مطلقًا، بقاؤها معه كان مرهقًا له لأن كل شيء لفت انتباهها أصبح سطرًا في دفتر أسئلته التي يعمل على البحث عن أجوبتها ولو كلفه الأمر خسارة الكثير.

جلسا معًا لوقتٍ طويل حتى قارب وقت النوم على الحلول، وأوصلها لغرفتها وأخبرها بأنه سيذهب لرؤية فراس قبل أن يتوجه لغرفته، صعد الدرج نحو غرفة الآخر وهو يدندن بلحن مقطوعته الموسيقية المفضلة، طرق الباب وانتظر للحظات دون أن يسمع إجابة، لكن صوت ارتطام حاد في الداخل دفعه ليفتح الباب بسرعة خشية أن يكون في مشكلة.

تجمد مكانه حين رأى ذلك، كان صوت وقوع بعض الكتب عن الطاولة بعد أن انحنى عليها فراس ضاغطًا بيده على صدره بقوة، بينما هناك بعض الدماء على سطحها كان من الواضح أنها أتت من نوبة سعالٍ طويلةٍ أخرى، اقترب منه بسرعة ليسند جسده إليه، ولكن قائده انهار ويده تضغط على صدره محاولًا التقاط أنفاسه بصعوبةٍ بالغة.

أسند جسده قبل أن يرتطم بالأرض، وارتجف مكانه غير قادرٍ على معرفة ما يجب عليه فعله، بدأ فراس يسعل مجددًا ليحمله على ظهره بصعوبةٍ ويتجه للمصعد ليوصله للقسم الطبي، لم يكن قادرًا على فتح عينيه أو نطق أي كلمة، لذلك لم يستطع أن يطلب منه الوقوف ليسيرا معًا.

كان يشعر بظهره يهتز بعنف مع صدر فراس الملتصق به، وكان يشعر بأن بعض الدماء لوثت قميصه لأنه لم يقدر على كبتها، وأحس بالوجع في كل ذرةٍ من قلبه لأن قائده الذي يكبره بسنوات ثمانٍ كان ذا بنية هزيلة للغاية ولم يواجه أي مشكلةٍ في حمله.

فتح باب القسم الطبي وهو يصيح:

- أريد المساعدة.

ووضع الجسد النحيل على أول سرير وجده، بينما هرع الممرضون وطبيبةٌ واحدةٌ مناوبة لتفقد حالته. بدا منهكًا، كنزته تجعدت من أصابعه التي

كانت تضغط على صدره، شعره الطويل مبعثر ومبتل من عرقه، ويضغط على عينيه معبرًا عن وجعه.

انسحب هوشيار للوراء تحت طلب أحد الممرضين، لعن نفسه بقوة لأن مرض فراس كان واضحًا منذ فترة طويلة ولكنه تغاضى عن الأمر، ربما لأجل تحقيق رغبته في الموت فلم يكن يكثر بالمرض الذي عده دومًا قطعة صغيرة من الموت، لم يهتم بنفسه، وهوشيار لاحظ، لكنه لم يهتم به أيضًا.

لام نفسه لأنه أهمله، وقضى الأيام الماضية يثرثر حول الجامعة والأحلام والخروج، لام نفسه لأنه لأول مرة بحياته ينظر بعيدًا جدًّا لأحلامه القادمة دون أن ينتبه أنه ثمة أمور تحصل في الواقع يجب عليه أن يعطيها جل اهتمامه.

رأى الطبيبة تمزق كنزة فراس، وتضع العديد من الأجهزة على صدره، رأى ذراعها يُحقن بعدة حقن، ومحلولٌ غريب يدخل جسده، ورآه يهدأ أخيرًا. - يمكنك أن تمكث هنا الليلة.

قالتها الطبيبة له وهي تنسحب مع فريقها لتعقم يديها، لم يكن يملك أي قدرة ليسألها عما حل به، لذا أومأ لها بشرود مما دفعها لتتابع:

- هل أرسل أحدًا ليجلب لك قميصًا جديدًا؟

- غرفتي 464.

أجابها برتابة وهو يسحب الكرسي ليجلس مقابل السرير، ينظر إلى فراس بعينين مليئتين بالندم والخوف، يتذكر ما حصل منذ لحظات ويشعر بجسده يرتجف.

لحظات الصمت المخيف خيمت على القسم الطبي بعد الضجيج الذي صنعه المريض المفاجئ، عينا هوشيار انتكست أرضًا قبل أن يشعر بجسد أدهم قريبًا منه، رفع عينيه ليجد كارتال هناك، ينظر إليه بوجه خالٍ من التعابير ويمد له قميصًا جديدًا ليرتديه.

- ماذا حصل؟

- لا أعلم، فقد القدرة على التنفس بعد أن ظل يسعل دمًا لأسابيع.

قالها وهو يمرر يده في خصلات شعره متمالكًا نفسه. كارتال كان الشخص الوحيد أمامه في لحظة ضعف لذلك وجد نفسه يخبره ما في ذهنه.

- سيكون بخير، إن أردتَ يمكنني البقاء بجانبه، لستُ محتاجًا إلى الاستيقاظ باكراً غداً.

ضيق عينيه نحوه باستغراب من لطافته المفاجئة، لم يجد كلماتٍ تعبر عما بداخله من مشاعر هائجة ومضطربة، لذا اكتفى بتحريك رأسه نفيًا وهو يقول:
- لن أبرح جانبه.

نهض من مكانه حاملاً القميص ليبدله، تذكر حين أُصيبت يده واستيقظ ليجد (فراس) قد ساعده على خلع قميصه الملوث بالدماء وغطى جسده وجلس بجانبه، وعلى الرغم من أنه استقبله حين فتح عينيه بتوبيخ عنيف، فإن هذا كان طبعه، كان أبًا حنونًا عصبياً، يحيط ابنه بحبه ويقسو عليه، كان هوشيار مثل ابنه حتى وإن سخر كلاهما عند قول ذلك.

ذهب هوشيار للحمام في القسم الطبي ليغسل يديه ويبدل قميصه، رمى القديم في سلةٍ للملابس المتسخة ومسح وجهه بالمياه ليعود التركيز إليه.

في الخارج بقي كارتال جالسًا على سريرٍ مقابلٍ لخاصة فراس، يحدق إليه بنظراتٍ تحمل داخلها الكثير من التشنت، لو كان يريد أن يسير بخطه عمه ففراس يجب أن يكون أحد البيادق التي تقربه من هوشيار. سمع أنينه الخافت يعبر عن ألمه، مما دفعه لينظر نحوه بندم لأنه لم يكن معتادًا كطالبٍ يحلم أن يصبح طبيبًا على التفكير في الناس كبيادق، سمعه يهذي من تحت قناع الأكسجين الذي يغطي أنفه وفمه، سمعه يهمس اسمًا بين ألمه، يختطف نفسًا زائدًا من أنفاسه الهاربة لينطق تلك الحروف، يحلم بها خلال نومه المثقل بالوجع والمرض، سمعه يهمس باسم «إيلينا» وكان ذلك كفيلاً لجعله ينتفض من مكانه ويخرج من القسم الطبي بينما يضع يده على قلبه الذي ينبض بعنف شديد.

«ما الذي كانت تعنيه له حتى يهمس باسمها؟!» ابتلع ريقه بصعوبة ونظر ناحية باب المركز المغلق وسط الظلام المخيم على الطابق الأرضي بعد حلول وقت النوم، أغمض عينيه محاولاً تمالك نفسه بصعوبة وهمس: «قتلها...».

كل الكلام الذي سمعه حين تنصت على حديث فراس مع عمه عاد لرأسه، في تلك اللحظة قرر أنه ولو كان مجرد جندي قابل للتضحية به في خطة عمه، فعليه أن يصنع خطة أخرى لنفسه ليعرف حقيقة الأمور التي سلبت النوم من جفنيه ليالي طويلة.

5

في اليوم التالي اضطر هوشيار إلى أن يغادر لجامعته صباحًا قبل استيقاظ فراس وقبل أن يتسنى له رؤية الطبيبة لسؤالها عن حاله وما حصل معه، وحين عاد قضى وقتًا قصيرًا في الخدمة الاجتماعية لأن السيد غوندوز لاحظ شروده وخشي أن يوقع نفسه بإصابة جديدة، لا سيما أن علامات الإصابة السابقة ما زالت على أصابعه.

عاد فورًا للمركز الطبي ليجلس بجانب فراس الذي كان نائمًا، أخبره الممرض بأنه فتح عينيه وأكل القليل ثم عاد للنوم تحت تأثير المحلول المتصل بجسده. لم تعطه الطبيبة أي إجابة سوى أنها قامت ببعض التحاليل، واضطر إلى أن يجلس على الكرسي بجانبه دون أن يقوم بأي شيء.

على الجانب الآخر كان كارتال قد قضى نهارًا طويلًا في التفكير في أمور كثيرة، ثمة قلقٌ أرقه لفترةٍ طويلة، وقد تبادرت لذهنه آلاف الأفكار في اليوم السابق، ما دام أنه عالقٌ هنا ليحقق بشأن أمر ما لأجل عمه فعليه أن يستغل الفرصة ويحقق بشأن أمر يهمه أيضًا. بحث بعقله عن خطة ليفعل ذلك، وقد وجد الطريقة الأفضل؛ استغلال الفتاة الجديدة!

انتهى من الجرد المكلف به وذهب لتسليم التقرير للفتاة الصغيرة التي تعمل على الحاسوب بجد، لم يستطع أن يخفي كرهه لهذا المكان مرات تُعد ولا تُحصى، ولكن في كل مرة كان يعترف بداخله أنه يخرج كل سنة الكثير من الشبان المتعلمين والمثقفين ومتحملي المسؤولية، تلك الأخيرة كانت سمة بارزة للجميع هنا.

سلمها تقريره وهو ينظر إليها مباشرة، كان يقف مقابلًا لها ينتظرها لتنتهي وتعيد له جهازه اللوحي، لكنها توقفت عن العمل بسبب مناداة أحدهم لها، التفت بدوره ليجد لؤي واقفًا وراءه.

- آسف لمقاطعتك، هل رأيت (بسام) البارحة أو اليوم؟

- أجل، طلب مني اليوم أن أوصل لك اعتذاره لاختفائه مجددًا. لن يعود إلى هنا، ستوصله الحافلة للمستشفى وسيمكث مع منير طوال الوقت حتى يتحسن ويعودا معًا.

- كيف حاله؟

- بدأ يتحسن أخيرًا، قال إن النكسة الأخيرة كانت بسبب أن مضاعفات بعد العملية لم يتحملها جسده لضعفه وصغر سنه، ولكن يبدو أنه بدأ يستقر، على الأغلب سيعودان غدًا ويلتحق منير بالمدرسة الأسبوع القادم.

- شكرًا لك.

قالها وهم بالمغادرة قبل أن ينتبه لكارتال ليتابع بسرعة:

- أعتذر لمقاطعتكما وتأخيرك.

- هل يتم نقل المرضى خارج الكمس؟

سأل كارتال وهو يضيق عينيه باستغراب ليرد لؤي:

- فقط الحالات التي لا يمكن علاجها بالمعدات الموجودة هنا.

التقط الجهاز منها وابتعد عن المكان، تابعت عملها وبعد ساعة أخرى كان عليها أن تأخذ تقريرًا من هاري، لاحظت أن لحيته الحمراء طالت قليلًا، كان يمنحها شعورًا أنه أكبر منها بكثير، ولم يكن بوسعها سوى أن تسخر من نفسها، لأن شعورها حقيقي كثيرًا؛ هناك عقدٌ من العمر يفصل بينهما تقريبًا.

في كل يوم كان يقول لها شيئًا ما، حول هوشيار أو فراس، يسخر منها ويتنمر عليها بالكثير من الاستهزاء، ولكنها لم تخبر هوشيار بهذا مطلقًا، في بعض الأحيان كان يقلل من حدة ذلك في حال كان هناك شخص آخر عند طاولتها، لم يصطدم بكارتال منذ آخر مرة ولم يذكر شيئًا آخر عن تلك الشقراء التي تحدث عنها وكانت سببًا في تغير تعابير وجهه لشكلٍ لم تره بعدها قط.

لم تكن تقول أي شيء، لم تكن تتذمر حول أي أمر، ولكن بأعماقها كانت تعرف تمامًا ما يدور في ذهنها؛ هذا الشاب مخيف، وهي لا تريد التعامل معه

مطلقًا!

6

أرادت أن تتحدث مع هوشيار، لكنه لم يكن بغرفته، إلا أن ذراعًا قوية سحبتها وأدخلتها الغرفة مجددًا رغمًا عنها، شعرت بذراعها مثنية خلف ظهرها بقسوة، وكف ضخمة تغطي فمها.

- كوني هادئة!

أومأت بارتجاف ليبعد يده عن فمها ويحرر يدها الأخرى لتستدير سريعًا، وجدت كارتال يقف مقابلًا لها بعينه الغارقتين بالموت.

- ما الذي تفعله بحق الجحيم؟

صاحت بغضب ليضع يده على كتفها بغضب ويهمس بين صرير أسنانه:

- أخبرتك أن تبقي هادئة!

نثرت يده عنها بعنف ليبعدها مما دفعها لتتابع:

- ما الذي تريده؟ وأين هوشيار؟

- هوشيار في القسم الطبي لأن (فراس) مريض.

- ما به؟

هدأت نبرتها قليلًا ليهز كتفيه بغير اكتراث ويرد:

- لا يهمني، أريد التحدث معك، وستسمعيني حتى النهاية.

- تأكد أنني لن أفعل بسبب أسلوبك الوقح ذاك!

استدارت لتخرج ولكنه ضرب بيده على الباب وقال:

- ستستمعين لي، أنا مجنونٌ لأؤذيك إن لم تفعل ذلك.

التفتت له مجددًا وعيناها تشع غضبًا وردت:

- ما الأمر؟

- فتاة جيدة، اجلسي.

سارت خلفه بانزعاجٍ شديد، جلست على سرير هوشيار مقابلة له، يده كانت تمسح على طرف ذقنه بتوتر ثم شابك كفيه واضعًا إياهما بين قدميه ونظر إليها مباشرةً وهو يقول:

- لنختصر التفاصيل، من الواضح أن هناك مشكلات كثيرة قديمة بين فراس وهاري بسبب هوشيار، فراس كان قائد المجموعة ولكنه انسحب بسبب هوشيار، أما أنتِ، لا أعلم ما علاقتك بفراس، ولا هاري يعلم، ولكن لو كنتُ هاري وأردتُ أن أؤذي (فراس) ولكني لا أستطيع فسأؤذي الأشخاص المهمين له.

حركت رأسها برتابة لبيتسم ويتابع:

- وبما أن هوشيار ليس شخصًا سهلًا مطلقًا وفراس عنيفٌ للغاية حين يتعلق الأمر به فسيكون من الصعب الاقتراب منه، لو أراد هاري أن يفعل شيئًا يحطم قلب فراس ولكن في الوقت نفسه لا يثير أعصابه كفايةً ليقنته فلن يكون هوشيار خيارًا مناسبًا! هل تعلمين من هو الخيار الأمثل؟ إنه أنتِ.

ابتسم حين قال آخر كلمة ورفعت حاجبيها باستنكار ليتابع:

- لأختصر كل ذلك، هاري ومجموعته يضمرون لك شرًا، لأجل أذية هوشيار للانتقام من فراس، ولكن بالنسبة إلى فتاةٍ ضعيفةٍ وحمقاء مثلك فيمكنني أن أقول إنك ستصمدين أمامهم لثلاث ثوانٍ على الأكثر.

تحولت ملامحها للانزعاج التام حين فهمت الغاية من كل هذه المحادثة لبيتسم باسترخاء لأنه استطاع إيصالها إلى حيث يريد وتابع دفعها أكثر:

- لا يمكنك أن تدافعي عن نفسك ضدهم، ولا يمكنكِ إخبار هوشيار أو فراس لأن (فراس) منهارٌ تمامًا وهو في القسم الطبي منذ البارحة ولا يبدو قادرًا على فتح عينيه، وإن قلتِ لهوشيار فستقحمينه في مشكلةٍ أكبر من مشكلتكِ لأنه سبب كل ذلك.

- ما الذي تريده؟!

تمت بارتجاف هذه المرة وقد شعرت بكل كلمة يقولها، لو كان صادقاً فسيكون الأمر كافياً لدمرها تماماً، منذ بدأ حديثه فكرت أنها لن تخبر هوشيار، لأنه كان في تلك النقطة تماماً بين الجنون والهدوء، فلا أحد قادرٌ على معرفة رد فعله، وبالتأكيد ستشتته كثيراً إن كان خبر مرض فراس صحيحاً. فهمت أنه يقول لها كل ذلك لغاية ما، لم يدخلها الغرفة رغماً عنها سوى لأنه يريد شيئاً ما، شعرت بأعصابها ستتهار! أي شيء قد يريده منها شخصٌ مثله.

- أنا مستعدٌ لأحميك منهم في أي وقت، لقد حاول عددٌ منهم الهجوم عليّ وقد تأذى أحدهم وخرجتُ دون أن أُصاب بخدش، وأنا مستعدٌ لحمايتك في وقت الخدمة الاجتماعية وما بعدها، هل أنتِ موافقة؟

- أنتَ لن تفعل ذلك دون مقابل!

رفع زاوية شفته بابتسامةٍ جانبية لأنه لم يسمع تعليقاً طفولياً غيبياً مثل «شكراً لك، أنتَ شخصٌ جيد». اعتدل في جلسته مسنداً رأسه إلى يده الموضوعة على ركبته ونظر إليها مباشرةً وهو يجيب:

- أريد بعض المعلومات.

- معلومات؟

- ثمة شيءٌ أريد البحث عنه، ولا يمكن لأي شخص أن يساعدي.

- لماذا؟

سألت بشك وعرف أنه لن ينهي هذه المحادثة حتى يجيبها ليقول بصراحة:

- لأنهم لا يثقون بي، ولا يحبونني مطلقاً، أنتِ تعرفين هذا.

- لا، لا أعرفه! لم لا يثقون بك؟!

قالت بشك لينظر إليها باستغراب لجهلها الأمر، ورد بصراحة:

- لأنني ابن أخ أزار ساروس مدير هذا المكان.

- لم أنتَ هنا بعد أن بلغت العشرين بالفعل؟!

- هذا شيءٌ لا يمكنني الإجابة عنه، هل ستقبلين عرضي أم لا؟

غير الحديث فوراً لتضيق عينيها نحوه بشكٌ كبير، عرضه كان مغرياً مهما كانت الزاوية التي تنظر إليها، ستكون في حماية شابٍ قوي، ستقلل

المشكلات التي قد يفتعلها فراس وستحمي هوشيار مقابل أن تريح فضوله وتجيبه عن أسئلة لن يحصل على أجوبتها لأنه قريب آزار.

- ما الأمور التي تريد أن تعرفها؟!

- أخبريني أولاً بأنك موافقة.

- لا يمكنني أن أعدك بإخبارك شيئاً لا أعرف ما هو، قبل كل شيء، أنا لا أثق بك أصلاً!

- أنتِ صغيرةٌ ذكية!

همس لها بسخرية قبل أن يحك ذقنه مجدداً وينظر إليها بتركيز وهو يقول:

- إن علم أحدهم بهذا سأكون الشخص المؤذي بالنسبة إليك حتى وإن عني ذلك أن أقف بوجه فراس نفسه!

تلك الكلمة جعلتها تضغط على عينيها بقوة محاولةً استيعاب الطريقة الجنونية التي تجري بها هذه المحادثة، كل ما فيها يدور حول التتمر وانعدام الثقة والخيانة وأخيراً استمرار وضع فراس في خانة الشخص الخطير الذي يجب أن يكون العبث معه آخر شيء قد يفكر فيه أي أحد.

- هل يمكنك أن تتوقف عن التهديد والتبجح بكونك شخصاً قوياً والتحدث مباشرةً؟

- كان هناك فتاةٌ تدعى إيلينا تمكث هنا، أريد أن أعرف ما العلاقة التي كانت تجمع بينها وبين هوشيار وفراس.

- لم أنت متأكداً أنهما يعرفانها؟

- أنا أعلم ذلك وحسب، أرايتِ؟ هذا ليس مؤذياً! هذا الأمر وهذه الفتاة يعنيان الكثير بالنسبة إلي، وكل ما أريد معرفته هو طبيعة العلاقة التي كانت تجمعها معهما، في المقابل لن أسمح لهاري أو أي أحدٍ في مجموعته بالاقتراب منك، سأكون موجوداً لحمايتك في حال فعلوا ذلك، هذه صداقة منفعلة للطرفين ولن تؤذي أحداً. ستكونين بخير وسأعرف ما أريد معرفته.

كان كلامه مقنعًا، ولكنها لم تكن واثقة جدًا من أي شيء قد تقوله الآن لأنها كانت مشتتة من فكرة أن شخصًا مخيفًا كهاري قد يتربص بها، مشتتة من كلامه وطلبه وطريقة طرحه، وحتى لمسة يده التي ضغطت على يدها حين أجبرها على الدخول، تذكّرتها لترتجف بخفة وتزداد خوفًا، مشتتة من ذلك الاسم الذي لم تسمعه من قبل ولكنها شعرت أن وراءه الكثير، ومن عينيه اللتين تخبرانها بأن موافقتها تعني له الكثير لأنه يحتاج بشدة إلى أن يعرف.

- سأخبرك بقراري في الغد.

قالت وهي تنهض من مكانها متجهةً للباب بسرعة ليستوقفها مناديًا اسمها، التفتت له باستغراب لأنها كانت المرة الأولى التي يناديها بهذه النبرة، نبرة غريبة شعرت فيها ببعض الرجاء ولكنها نفت ذلك على الفور.

- إن وافقتِ أو لا، لا تدعي أحدًا يعرف أنني على معرفةٍ بإيلينا. أعتقد أنني شخص أحمق قرر أن يضع بعض الثقة في صغيرةٍ مثلك. لا تخذليها مهما كان الثمن، أريد أن يبقى أمر معرفتي بها سرّيًا.

- لك ذلك.

قالت وتوجهت للخارج ليطلق تنهيدةً طويلة، نهض من مكانه ليبدل ملبسه ويطفئ الضوء ثم يستلقي على سريره يحدق إلى السقف بصمتٍ مطبق، أغمض عينيه وضغط عليهما بألم مستعيدًا ذكرياتٍ من ست سنوات قبل أن يخرج السلسلة التي لا يتركها مطلقًا، يحدق إلى الصورة الموضوعة هناك، الشقراء التي عنت له حياته وأكثر، تغرس أصابعها في شعره الذي حلّقه تمامًا بعد موتها، شعر أن ضوء القمر ينكسر بين خصلات شعرها وعذوبة ضحكتها، شعر أنه يعيش لحظة التقاط هذه الصورة مجددًا ويشعر بأصابعها على رأسه وبالحب ينبعث منها.

كل الأشياء التي قيلت له والتي سمعها لم يصدقها، كل الأمور التي أخبروه بها كانت كذبةً بالنسبة إليه، يريد أن يعرف كل شيء بنفسه. لقد توفيت منذ ست سنوات ولم يعرف عنها شيئًا مطلقًا.

كان آزار مسؤولاً عنها ورفض أن يدفع لعلاج أمها مما دفعها لتغرق باليأس وتتجه لبيع مواد لا قانونية، أدخلت الكمس كسجينة تضع قلادةً سوداء وتوفيت بعد سنةٍ واحدة، عمه أخبره بأنها وجدت منتحرة في غرفتها، ولكن

كلمة قتل التي وجَّهها الشخص نفسه نحو فراس وسمعها كارتال مصادفةً قد حطمت حقيقةً كان يعيش فيها طوال سنوات.

شيءٌ ما بداخلة لم يكن مقتنعاً أن (فراس) قد فعل ذلك، شابٌ مثله لم يكن من ذلك النوع بطريقتي ما، شابٌ يغلبه المرض إثر فقدان أنفاسه ويوضع له جهاز تنفس اصطناعي في القسم الطبي بينما يواصل الهمس باسمها بين كل شهيق وزفير، لا يمكنه أن يقتنع أنه قتلها!

كان ذلك اللغز الأكبر الذي يريد حله الآن، لم يعد يهتم بالمهمة التي وكلها له آزار، لم يعد يهتم بفكرة المغادرة سريعاً كي لا تفوته الدراسة، كانت فرصته الوحيدة ليعرف كيف قضت إيلينا هذه السنة هنا، وكيف ماتت، مقتولة أم منتحرة؟

حتى يحصلوا على ما يريدون يستغل الناس الأشخاص الأضعف، والأفقر، والأقل مكانة، وبما أن كل المقيمين في دار الرعاية الاجتماعية متساوون من الناحية المادية ولا يوجد مكانات سوى القائد ومرؤوسه، فإن الوسيلة الوحيدة هي استغلال الأضعف.

كان يحتاج بشدة إلى أن يسكت الضجيج في عقله، وقد كانت تلك الفتاة هي الخيار الأمثل لأنها الحلقة الأضعف في سلسلة العلاقات التي تربط بينه وبين هوشيار أو فراس. كان قد رآها من قبل تتحدث مع هاري بخوف وتوتر، فاستغل هذه النقطة لصالحه، سيكون حاجزًا بينها وبين ما يخيفها في سبيل إعطائه ما يحتاج إليه، هذا هو استغلال الأضعف بالطريقة الأكثر نبلاً بالنسبة إليه!

حين ترمي شخصًا ما بالفرع وتقطع كل حبال نجاته فسيتشبث بك بكل ما لديه، هذا ما فعله بالضبط، كان متأكدًا أنها ستتشبث به وتوافق على عرضه، وبخاصة بعد أن أقنعها أنها لن تخون أي أحد لو أخبرته بما يريد.

في اليوم التالي التقت بهوشيار في فترة الغداء، كان على طاولة وحده لتذهب وتجلس معه بابتسامة واسعةبادلها إياها بتعب.

- هل أنت بخير؟ سمعتُ أن (فراس) في القسم الطبي.

- استيقظ صباحًا وتنفس بشكلٍ طبيعي، فلم يوافقوا على نقله إلى المستشفى، لم أحصل على استثناء للبقاء معه لأنه قائدي وليس العكس.

قال كل شيء دفعة واحدة بينما يأكل طعامه بتعبير وجه مكفهر ومتعب، نظر إليها وكأنه تذكر شيئاً مهماً وسألها عن مدرستها على الفور، انتهت فترة الطعام بقليل من الأحاديث ليتوجه للاطمئنان على فراس بعد أن أخذ إذنًا من السيد غوندوز بالتأخر، فتح باب القسم الطبي ليجده هادئاً بعض الشيء في هذا الوقت ومشى ناحية سرير فراس وهو ينظر إليه بينما يستلقي الآخر محديقاً إلى السقف بشرود ينتظر انتهاء المحلول الموصول بيده.

جلس مقابلًا له لينظر إليه فراس وقد انتبه لدخوله للتو، ابتسم بخفة وسأل:

- هل أنت متأكد أنك بخير؟

حرك رأسه إيجاباً بتعبيرٍ دافئٍ بعض الشيء، شعر هوشيار بالقلق أكثر ولكن لم يكن بوسعه قول أي كلمة تزيد الوضع سوءاً.

- شكرًا لمساعدتي.

قال فراس.

- كنت تعاني ضيق التنفس لأسابيع وتستمر في التدخين وتتجاهل الأمر، هل كنت تنوي قتل نفسك؟

قال بعتاب وهو يشد على قبضة يده وكأنه يرمي على كتفه كل الثقل الذي شعر به في تلك اللحظات الصعبة، ابتسم فراس بخفة ونظر إلى السماء في الخارج دون أن يجيب، سريره كان بجانب النافذة وكان الأمر حجةً له ليتجاهل النقاش، لم يكن ينوي قتل نفسه، ولكنه لم يكن يمانع الموت مطلقاً، كان يشعر أن حياته التي تسير بشكلٍ مستمر نحو الدمار لا يمكن لها أن تُصلح وأن الحل الوحيد كان بالتخلص من الحياة كلها.

- سأخرج حين ينتهي هذا الشيء، لذا أبعد تلك النظرة الكئيبة عن وجهك!

قال فراس وهو يعتدل جالسًا وينظر إلى المحلول ثم تنهد وتابع:

- بشأن البارحة، كنتُ مرهقًا وغير قادرٍ على السير خطوةً واحدة، أنا آسفٌ أنك اضطررتَ إلى حملي.

- آسفٌ لأنني لم أنتبه لألمك في وقتٍ مبكر!

همس بصوتٍ خافت وأخفض رأسه أرضًا مجددًا ليضع فراس يده على كتفه ويقول أمرًا:

- توقف عن ذلك.

أومأ له وقد رسم على شفثيه ابتسامةً صغيرةً مطمئنة ليتابع فراس:

- اذهب لعملك الآن. ألقِ التحية على السيد غوندوز عوضًا عني.

- سأفعل.

توجه خارجًا ليطلق فراس تنهيدةً طويلةً قبل أن ينتزع الإبرة من يده وينهض بدوره، كان جسده متعبًا بعض الشيء واحتاج إلى تمديد عضلاته لفترة قبل أن يتوقف بجانب النافذة محدقًا إلى الخارج بنظراتٍ طويلة سائلًا نفسه ما الذي يحصل معه، مرر يده في خصلات شعره مرجعًا إياه للوراء وارتدى كنزته البيضاء الموضوععة على طرف السرير ثم أبرز قلاذته السوداء فوقها وخرج متجهًا لغرفته، صعد الدرجات بهدوء ليقابل هاري الذي كان ينزل سريعًا من الطابق الخامس، توقف الأخير مكانه ونظر إليه لفترة قبل أن يقول:

- هل تحسنت؟

حرك رأسه ببلادة وتابع الصعود، حالما أصبح بجانبه استوقفه بقوله:

- أحسن التصرف هاري.

قالها وحسب ثم صعد نحو غرفته، كان مرهقًا على الرغم من ادعائه غير ذلك، صدره ما زال يؤلمه على الرغم من قوله العكس، التنفس صعبٌ بالنسبة إليه ولكنه غير مهتم مطلقًا للشكوى حول الأمر، لو أن هذه الأنفاس التي في صدره تلاشت تمامًا فستكون الأمور بخيرٍ جدًا بالنسبة إليه.

لم يفهم هاري كل ذلك، بل سأل نفسه كيف يمكن لشخصٍ خارجٍ من القسم الطبي للتو أن يصعد إلى غرفته وحده دون أن يأخذ المصعد ويرسم هذه التعابير الباردة على وجهه، كان صاحب الشعر الأحمر متأكدًا أنه لو قال أي شيء حول القصص القديمة فإن (فراس) لن يتردد بسحق رأسه بالحائط حتى على الرغم من بنيته الهزيلة، لم يكن يريد أن يخوض أي نقاشٍ معه من الصباح، لذا فعل مثل فراس ونزل مسرعًا للمستودع لخدمته الاجتماعية.

أدخل هاري المكان حين كان في الثانية عشرة من عمره بسبب شجارٍ وقع مع أحد أصدقائه في المدرسة، دفعه بقوة ليتعثر الطفل الآخر ويرطم رأسه بحافة النافذة ويسقط ميتاً فوراً، العنف الكبير في هذه الحادثة ورفضه لاعترافه بذنبه أجلسه في هذا المكان سنواتٍ طويلة، بعد مرور القليل منها وحسب لم يعد يشعر برغبة في الخروج، بدأ يتعامل مع المكان على أنه العالم الخارجي، كان يحصل على كل ما يريد هنا، يملك أصدقاء، يملك سلطة لا بأس بها، يملك عملاً، وفي المقابل يحصل على الطعام والشراب والمأكل والملبس ويقضي وقت فراغه في حديقة كبيرة أو مكتبة فيها ما يريد من الكتب وأنشطة أخرى.

ولأنه قرر تقبل هذا النوع من الحياة فقد أصبحت الخدمة الاجتماعية بالنسبة إليه واجباً لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه لو قصر به فسيشعر أن الحياة التي بناها في عقله تهدمت، على الرغم من ذلك، لم يكن ومجموعته قادرين على التوقف عن افتعال المشكلات، شعور غير مدفون وكامن بدواخلهم دفعهم لذلك، غيراً من الأطفال الذين يخرجون كل يوم لمدارسهم وجامعاتهم بينما يمكثون هنا ويتلقون بعض التعليم السيئ، غيراً من الأحمال التي ينسجها الأيتام ولا يمكن لهم أن يتجاهلوا شعورهم وهم يرون هؤلاء الأطفال يخططون لما سيفعلونه بالخروج، وكيف ستقلب حياتهم رأساً على عقب، بينما يُجبرون على التعامل كمجرمين لا يستطيعون التفكير في حياتهم.

هذه القرارات التي اتخذها هاري لأجل حياته جعلت نقاطه ترتفع للغاية، وكان من الممكن أن يخرج بعد فترة لولا استمراره في افتعال المشكلات والبحث عنها، النشوة التي يشعر بها حين يحس أنه الشاب الأقوى والذي يخاف منه كل مقيم هنا حطمت نقاطه كثيراً وجعلته يمكث حتى الرابعة والعشرين، وربما سيبقى لوقتٍ أطول.

دخل المستودع وتوجه للوحي الذي كان المسؤول عن إخبار كل شخص بمهمته، في ذلك اليوم أخبره بأن هناك أطعمة جديدة وصلت وعليهم تنظيمها في قسم الأطعمة، وأشار له إلى مجموعة من الصناديق على الجانب الأيمن لباب المستودع، ليشر عن ساعديه ويبدأ بالعمل.

حمل أول صندوق من بداية المستودع حتى قسم الأطعمة، هناك لاحظ بعض الفتيات والأطفال يرتبون الصناديق التي يحملها الشبان الأكبر.

وضع الصندوق على الأرض واتجه ليحمل واحدًا آخر ماشيًا بمحاذاة كارتال، ولكن الآخر تجاهله تمامًا واضعًا يديه في جيبه، كان يعلم أن كارتال يستطيع أن يعطيك وجهًا جامدًا تمامًا ويرمي عليك بعض الجمل الهادئة التي يدفعك بها للصمت رغمًا عنك لأنك لن تملك مطلقًا كلمات لترد عليه، لا يوجد أي شيء شخصي بينهما، ولكنه كان يزعجه للغاية، كان قادرًا على أن يثير كل مشاعر الغضب والاحتقار في نفس هاري من نظرة واحدة!

تابعا العمل حتى انتهت المجموعة من حمل كل الصناديق، ثم توزعوا لمساعدة الفتيات والفتيان الأصغر بفرز الأغراض، كان الأمر مرهقًا للغاية، وقد ارتمى الجميع على الأرض بتعب ولم يتطوع أي أحد ليقوم بالجرد الأخير لتسليم التقرير، مما دفع كارتال لينهض ويأخذ المهمة دون أي تعليق.

حمل الجهاز اللوحي الموضوع في مكانه المخصص، قام ببعض الحسابات ثم غادر المكان متجهًا للفتاة التي تعمل على الحاسوب لجمع نتائج الجرد، لاحظ ارتباكها حين رآته ولكنها حاولت ألا تظهر ذلك وركزت عينيها على الحاسوب ليقاطعها بقوله:

- هل اتخذت قرارك؟

نظرت إليه بتوتر شديد، عيناها تنتقلان بينه وبين الشاشة بسرعة محاولة التهرب قبل أن تزفر وتقول:

- أنا فقط...

- هل أنت موافقة أم لا؟

- أنا موافقة، ولكن...

شعر بالراحة لقولها ولكنه حافظ على تعابيره الهادئة وسأل:

- ولكن ماذا؟

- هوشيار متحفظُ كثيرًا عندما يتحدث عن أي شيء، ولا أملك أي علاقة مع فراس، لا أجد طريقة لأفتح بها الموضوع حتى.
- صمت للحظات مفكرًا ينقر بأطراف أصابعه على الطاولة ويضع اليد الثانية على ذقنه قبل أن يتذكر شيئًا ما لينظر إليها ويقول:
- اذهبي إلى هوشيار واسأليه بشكل مباشر (من هي إيلينا؟)
- هل هذه طريقتك للحصول على المعلومات؟ السؤال المباشر؟
- أليس لطيفًا؟
- سخر بصوتٍ خافت وهو ينحني قليلًا لمستواها مما دفعها لتهدر رأسها نفيًا وترد:
- لا، أتعلم ما أول رد فعل سيفعله هوشيار؟ سينظر إليّ بغضب ويصيح (أين سمعت بهذا الاسم؟)
- ولهذا أنا أخبرك بأن تفعلي ذلك، وحين يسأل عن ذلك قولي إنك مررت على القسم الطبي لسببٍ ما ورأيت (فراس) هناك يهذي بهذا الاسم بينما كان في غيبوبته القصيرة.
- هل تسخر مني؟
- عقدت ذراعيها أمام صدرها لأنها لم تقتنع بفكرة أن (فراس) يهذي باسم فتاةٍ ما، ليحرك رأسه نفيًا ويجيب بجدية:
- لقد ذهبتُ لرؤية فراس بعد دخوله القسم الطبي مباشرةً وقد ظل يهذي باسمها طوال الوقت، حصل الأمر نفسه في اليوم التالي بينما كان هوشيار في جامعته، يمكنك أن تقولي إنك فعلت ذلك في وقتٍ لم يكن به هوشيار موجودًا وسيصدقك، لأنني واثقٌ أنه سمع هذه المهمة مراتٍ كثيرة في اليومين الماضيين.
- لم يبدُ على وجهها علامات الاقتناع بكلامه، ولكنها أطلقت زفيرًا معبرًا عن غيظها منه، لمحت شخصًا وراءه لتعود بنظرها على الحاسوب بسرعة بينما التفت كارتال للوراء حين سمع اسمه، ليجد هاري يناديه مستندًا إلى الباب الزجاجي الذي يفصل غرفة الحاسوب عن باقي المستودع ويقول:
- الفتى الذي يقسم المهام يبحث عنك.
- ألم ننته اليوم؟

تذمر بصوتٍ خافتٍ بمللٍ لأنَّ العملَ كانَ طويلًا ولكنه اكتفى بتحريك رأسه وهو يقول:

- سأنتهي من هذا وأتي.

أخذ الجهاز اللوحي من يدها لحظة انتهت منه وقال:

- يمكنك أن تفعلني ذلك اليوم بما أن (فراس) سيكون قد غادر القسم الطبي الآن.

لم تجبه ليغادر المكان. أخبره لؤي بأنه مع هاري مجددًا وفتاة الثالثة من مجموعة هاري وكُفِّوا بإعادة ترتيب بعض الأغراض في قسم الأدوات الزراعية. كعادته توجه إلى هناك وعمل مخفيًا عينيه أسفل القبعة التي تغطي رأسه. مضت نصف ساعة كاملة بالصمت المطبق الذي قطعه صوت هاري بقوله:

- ما الذي أدخلك إلى هنا؟

التفت له ليتأكد إن كان يتحدث معه ثم تتأب بنعاس ورد:

- لن أجييب عن هذا السؤال.

- كلانا يعلم أنك لم تدخل لأنك يتيم، ما السبب إذا؟

- أنا يتيم، وذلك السبب يخصني وحدي.

قالها بتعابير جامدة ليسأل هاري بسخرية:

- هل أنت ابن شقيق آزار المتوفى؟ إذا، أنت شقيق إيلينا؟!

اتسعت عينا كارتال حين سمع ذلك، بطريقةٍ ما بدأ عقله يعمل بسرعة أكبر بعشرين مرة من المعتاد، لا أحد في هذا المكان كان على دراية بهوية إيلينا الحقيقية، مطلقًا!

وضع حبوب السماد التي كان يحملها على الأرض ثم التفت له بنظراتٍ حادة وسأل:

- ما الذي تعرفه عن إيلينا؟

- لن أجييبك.

تحدث هاري باستفزاز جاعلاً عيني كارتال تلمعان بغضب، هذه المحادثة بالذات كانت تثير أعصابه.

- لا أحد كان يعرف أن إيلينا هي ابنة أخ آزار!

- حسنًا، أنا كنتُ أعرف.

- كيف؟

تمتم بها بشزر ولاحظ أن هاري والفتاة توقفًا عن العمل أيضًا ليضيف بسرعة:

- هي لم تخبر أحدًا، لم تكن فتاةً ثرثارةً مطلقًا، كيف عرفت؟ ومن يعرف بهذا أيضًا؟!

- إنها شقيقتك، أليس من المفترض أن تعرف أنت؟!

شعر كارتال بالغضب يزداد في صدره ودفح هاري من كتفه بحدة وهو يقول بين صرير أسنانه:

- توقف عن استفزازي وأجبنني هاري.

- هل أتيتَ إلى هنا لأنك أصبحتَ مجنونًا بعد موت شقيقتك؟

تصاعدت وتيرة غضبه أكثر بسبب نبذة هاري، ولكنه فكّر أن خسارة أعصابه في هذه اللحظة قد يوقع كليهما في المشكلات، سيشعر آزار أنه يتحرى الأمر أو على الأقل يفكر به. زفيرٌ حارٌ خرج من بين شفثيه وتمالك أعصابه لتعود التعابير الجامدة لتحتل وجهه ويقول:

- انس الأمر، لن أجيبك عن أي شيء وسأعرف ما أريده بنفسي.

رجع خطوةً للوراء موسعًا المسافة بينهما وأضاف:

- وأيضًا... إيلينا ليست شقيقتي.

- أوه، هل هي أختك غير الشقيقة؟ لم أعلم أن شقيق آزار يملك امرأتين.

- إنها ليست أختي.

همس بها بصوتٍ خافت سمعه هاري لخلو المكان بينما انسحب كارتال خارجًا. كان هاري متأكدًا أن إيلينا ابنة شقيق آزار وكذلك كارتال، ولا يذكر أنه سمع أن آزار يملك أكثر من أخ، هذا جعله محتارًا بعض الشيء ومشتتًا قليلًا أمام كلمات الفتى البارد الذي غادر المكان دون أن يقدم أي تفسير.

9

كانت خائفةً كثيرًا بعد الأمور التي حصلت، شعرت بندمٍ كبيرٍ لموافقتها على مساعدة كارتال، ولكنها لم تجد ضررًا أن تجرب، ما دامت لن تخبره أي شيء دون أن تتأكد أنه لن يؤدي أحدًا.

مساء تلك الليلة صعدت لسقف المبنى الخشبي من الدرج المنحدر الخارجي لتجد هوشيار هناك، مستلقيًا على الأخشاب وينظر إلى السماء، محممت لينتبه لها ويلقي عليها تحية المساء لتبادله إياها وهي تجلس بجانبه.

- كيف وجدت الجامعة؟

ابتسم بخفة لسؤالها ولم يخفَ عليها لمعان عينيه بحماس وأجاب:

- كيف يمكنني أن أصف ذلك؟ مرهقة للغاية على الرغم من أننا في يومنا الثالث، ولكنها حلمٌ كبيرٌ وجميل، لذا فهي تستحق العناء.

- مرهقة؟

- المحاضرات الطويلة، والزحام، والكثير من الأشخاص، تفاصيل كثيرة ومساحات هائلة الحجم وممراتٌ تسبب الضياع، بالتأكيد ستكون السنة الأولى طويلة جدًا حتى أشعر أنني جزءٌ من هذه الأجواء.

- كم استغرقت من الوقت حتى شعرت أنك جزءٌ من الكمس؟

نظر إليها بتفكير للحظات قبل أن يقول:

- بعد أن تم نقلي من قسم الأطفال إلى هنا، فقد كان الأمر جديدًا كليًا عليّ، نظام النقاط وقوانين كثيرة لأتبعها، وصدمت بحقيقة أن قائدي رئيس مجموعة من الجانحين الذين يتنمرون على الآخرين، فراس لم يتقبل وجودي في البداية قط، كان يوبخني ويصرخ عليّ وكاد يضربني أكثر من مرة.

- كنتَ طفلاً في العاشرة وحسب!

قالت بسرعة ليومئ ويرد:

- أنتِ محقة، وكان بعمر الثامنة عشرة، في ذروة جنونه وصخبه بعد قضائه ثلاث سنوات بشعين هنا، لم يحبني مطلقاً وأثار خوفي كثيراً، ولكن... انظري أين نحن الآن.

- كيف تغير فراس؟

سألته باستغراب ليعتدل في جلسته ويرفع كتفيه معاً ثم يجيب:

- لا أعرف، لم أعرف قط، لكن هاري كان يخبره بأنني السبب باستمرار. أحياناً أشعر أنه حين أصبح فراس مسؤولاً عن شخصٍ مثيرٍ للمتاعب مثلي، فقد شعر أنه يجب أن يكون عاقلاً حتى لا يدمرني، كالأب الذي تتغير تصرفاته حين يملك أطفالاً. لا يمكنك أن تعتني بطفل وأنت مثيرٌ للمشكلات ومفتعلٌ للأذى، تضايق الجميع وتضرب من لا يعجبك، أظن أن (فراس) أدرك هذه الحقيقة لذلك تغير شيئاً فشيئاً، بعد فترة أربعة أشهر تقريباً استطعتُ اعتياد المكان وبدأنا نتفاهم لألقي عليه أسئلتني الكثيرة، ولأنه بدأ يتفهم الوضع الجديد فقد تقبل الأمر وبدأ يجيبي عما يعرف من أسئلتني.

- أربعة أشهرٍ إذاً، الأطفال يملكون قدرةً سريعةً على التأقلم!

همست بابتسامةٍ جانبيةٍ ساخرة لينظر إليها وقد لفتته نبرتها.

- ألم تعادي المكان بعد؟

شهران وبضعة أسابيع مضوا على قدومها إلى هذا المكان، كان يشعر بها دوماً، هدوؤها وصمتها، حالتها النفسية تتغير بين فترةٍ وأخرى فيعلم أنها استيقظت هذا اليوم بمزاجٍ معكرٍ أو أنها اشتاقت إلى والديها حتى لو لم تقل ذلك.

كانت تبدو دوماً بخير، تضحك طوال الوقت، تثرثر حول أشياء كثيرة، تحدثه عن بسام والمدرسة والأشياء السهلة التي تقوم بها في الخدمة الاجتماعية، يندمج ضوء القمر بعينيها السوداوين لتبدو كالمجرة، تحمل

السعادة في قلبها وتوزعها في سلالٍ من الأزهار بينما تسير بخفةٍ على الأرض وكأنها تطير.

لم تكن تتذمر حول وفاة والديها التي لم يمضِ عليها الكثير، ولا حول الضغط غير المعتاد بين المدرسة والدراسة والخدمة الاجتماعية، أخبره لؤي أكثر من مرة بأن هاري يضايقها وكارتال يتحدث معها بنبرةٍ حادة ولكنها لم تقل ذلك قط.

حتى في هذه اللحظات وهي تخبره بأنها بخير واعتادت المكان منذ وقتٍ طويلٍ، لم يستطع أن يصدقها كثيرًا، ولكن محاولة إخبار شخصٍ ما بأنه بحالةٍ سيئةٍ بينما يملك القدرة على التحمل مجرد طريقةٍ سيئةٍ لدفعه نحو الانهيار.

- أريد أن أسألك شيئًا.

قالت بتوتر وهي تعبت بطرف كنزتها ليوميء لها، أخذت نفسًا وتابعت:

- من هي إيلينا؟

أظلمت عيناه وشعرت بتصلب جسده وانقباض فكه، تلك التعابير لم تكن تشبهه، لأول مرة تجده مخيفًا.

- أين سمعتِ هذا الاسم؟

- رأيتُ (فراس) في القسم الطبي، كان يهمس بالاسم في أثناء نومه.

لاحظت انزعاجه من سؤالها ولكنه حاول تمالك نفسه، مرر يده في خصلات شعره وتمتم بسخرية مخاطبًا نفسه «ظل يهذي بذلك الاسم يومين كاملين»!

- إن لم ترد الإجابة يمكنك نسيان سؤالِي.

لم تكن تتملقه، تعابير وجهه الغربية دفعتها لذلك، الشرود الذي غطى ملامحه والحزن الذي احتل عينيه واغتال بريقهما لوهلة.

- لا، لا بأس، يمكنني أن أجيبك.

همس بها ثم رجع قليلًا للوراء ليستند إلى الباب الذي يوصل من المبنى الخشبي إلى السقف، رفع نظره للسماء للحظات ثم التفت لها وقال:

- إيلينا دخلت إلى هنا في عمر السابعة عشرة، وفي فترة قصيرة جدًا لفتت أنظار الجميع إليها، كانت شابة جميلة للغاية، أكثر مما تتصورين، تملك شعرًا ذهبيًا مثل خيوط الشمس، وعينين مثل زرقاء ونقاء السماء، أصبحت سريعًا صديقة الجميع بتلك الضحكة الدافئة التي تمنحها لأي أحد دون توانٍ مطلقًا مهما كان.

- لا بد أنها كانت مذهلة!

همست بابتسامة صغيرة وصوتٍ خافت وكأنها لا ترغب منه أن يسمعها لاندماجها الشديد في الحديث، بدا حاليًا تمامًا، يتحدث عن أميرة قادمة من حكاية خيالية!

- كنتُ حينها صغيرًا جدًا ولكنها أسرّتني أيضًا وأحبتُّها كثيرًا، فراس كان في عمر التاسعة عشرة، كانت أصغر منه بسنتين، ولكنها استطاعت أن تستحوذ عليه بأكمله، قلبًا وعقلًا وروحًا وجسدًا وكيانًا وحبًا، فراس كان مأخوذًا بها، واقفًا في حبها تمامًا، كان يفكر في البداية أنها مشاعر مراهقة، ولكن (فراس) منذ دخوله إلى هنا كان يعيش في عالمٍ مظلمٍ تمامًا وقد كانت كالشمس التي أضاءت كل تفصيلٍ معتمٍ بعالمه. أغمض عينيهِ متذكرًا تلك الأيام قبل أن يبتسم ويتابع:

- أصبحت صديقين بسرعةٍ خيالية على الرغم من أن (فراس) لم يكن يميل للأصدقاء كثيرًا، كان يصنع أتباعًا أو عداوات، ولكنه لم يصنع الأصدقاء قط، ولذلك بالضرورة كان الجميع يتجنبه ويخاف منه، ولكنها لم تفعل، اكتشفت كل ثغرٍ في شخصيته وبدأت تملؤه بهدوء، وبروية، وبكل حنان، لا يمكنك أن تصدقي كم تعلق بها.

لم يستطع أن يقول الكثير من التفاصيل، لا يمكنه أن يقول إن ما قربهما من بعضهما أن كليهما كانا من أصحاب السمعة السيئة هنا، ذوي القلادات السوداء المتجنّبين من قبل الآخرين، وأن إيلينا استطاعت أن تتحدث مع فراس بسهولة أكبر لأنها في نفس حالته، كلاهما دخل المكان بجريمةٍ ما، وقصص متشابهة بعض الشيء جمعتهما، فراس سبّب إعاقة لوالده لأنه كان يضرب أمه، وإيلينا باعت مواد لا قانونية لتعالج أمها المريضة بعد أن ألقي على أمها اللوم في موت والدها.

لم يكن هوشيار يعرف الكثير من التفاصيل حول حالة إيلينا، ولم يكن يعرف كيف تمكنت إيلينا من الضحك بكل تلك العذوبة وهي تحمل في صدرها كل ذلك!

انتبه أنه شرد قليلاً ليحمم ويلتفت لها مضيئاً:

- يبدو هذا غريباً على شخصية فراس، صحيح؟!

- وكأنه شخصٌ مختلفٌ عن الذي أعرفه.

- كان مختلفاً عن فراس الذي يعرفه أي شخصٍ منا، معها كان مسالماً،

لطيفاً، محبباً، كان يدخل في شجارٍ مع أحدهم ويكون على بعد خطوة

من تحطيم رأسه ليجتمع حولهم الجميع، كان الشبان الأكبر يحاولون

الإمساك بفراس بينما ينقض كوحشٍ يهاجم فريسته، وكانت تكتفي

بنداء اسمه ليتوقف وتمسك بيده ليسير معها بكل ألفة.

- كان يحبها كثيراً؟

- لا أعلم إن كان هذا هو الحب، كان مهووساً حقاً بها، هذا ما أظنه!

همس بها غارساً يده في شعره وضغط على رأسه بألم بينما تابع:

- كنتُ صغيراً وقتها، ولكن كان من السهل أن أدرك هذه الحقيقة، أن

أعرف أن هذه الفتاة تستطيع أن تغير (فراس) كثيراً، إن كنتِ قد رأيتِ

(فراس) كيف كان قبل قدومها وبعده، إلى أي حدٍّ سعدت معها لفوق

السحاب، وكيف انهار إلى أسفل دركٍ من الأرض بعد رحيلها!

- كيف غادرت المكان؟

عيناه تغرق في الحزن أكثر وأكثر، نظراته تحتد، لم تكن تعرف إن كان

حزيناً على الفتاة نفسها أم على ما حصل بفراس بعد رحيلها، أو حتى إن كان

حزنه ليس على أحد وإنما على ما آلت إليه الأمور وحسب، البؤس، فقط البؤس

كان يغطي ملامحه.

- آلكمس مكانٌ حوى آلاف المقيمين منذ افتتاحه حتى اليوم، ولكن إيلينا

كانت الفتاة الوحيدة التي ماتت هنا بطريقةٍ مؤلمةٍ جداً!

- ماتت؟!

أعادتها بغير تصديق، وكل الحزن الذي كان يسيطر عليه تدفق لها بطريقةٍ أو بأخرى، لم تبدو تلك الكلمة مرعبةً كثيرًا؟ في البداية راودها شعور الأمان حول فراس، أن هناك دفنًا من نوع خاص في حياته، دفنًا جميلًا للغاية، مشاعر أكبر من استيعابها، ولكن كل ذلك الدفاء والطمأنينة تدمرا حين قال ذلك، لقد عرفت من هي إيلينا منذ عشر دقائق وحسب، والآن تشعر بألم شديد جرّاء موتها. سؤالٌ واحدٌ كان ينقر في قعر جمجمتها؛ كيف كان شعور فراس في ذلك الوقت؟ ماذا حصل به بعد أن فقد أغلى ما يملكه؟! أخبرها إجابتها سلفًا! فراس صعد معها ل فوق السحاب، وانهار إلى أسفل دركٍ من الأرض بعد رحيلها.

لم يكن بوسعها أن تتخيل (فراس) عاشقًا، ولا (فراس) مسالمًا وهادئًا، ولكن بعد هذه المحادثة كان ذهنها يرسم صورة فراس أصغر بست سنوات؛ لا يدخل ويجلس في الحديقة وبرفته فتاةٌ شقراءٌ جميلة ويضحكان بكل سلام كأشخاص عاديين لا يعرفان ما يخبئه لهما القدر، كان بوسعها أن تتخيل (فراس) يتشاجر مع شخصٍ ما ويتوقف كطفلٍ يستمع لكلام أمه حين تناديه، وكان بوسعها أن تراهما بوضوح بينما يجلس على فراشه وتقف هي أمامه تضمد جرحًا برأسه، وتلف ضمادًا حول يده، وتوبخه لكي لا يفتعل المزيد من المشكلات، بينما يضحك عليها ويخبرها بأنه بخير. كان بوسعها أن تشعر بضحكة فراس تدفئ قلبها، ضحكة حقيقية لم تراها من قبل، كان بوسعها أن تحس بهما في كل زاوية من زوايا المكان التي عرفتتها أو التي لم يسعها وقتها القصير لتعرفها بعد، وكان بوسعها أن تضحك لأجلهما ولو لم تكن معهما، ولكن لم يكن بوسعها مطلقًا أن تتخيل النظرة التي رُسمت على وجهه حين علم بخبر موتها، أو رآها وهي ميتة - إن كان قد حظي بهذه الفرصة أصلًا.

- سنتحدث عن هذا لاحقًا.

قالها هوشيار وهو ينهض من مكانه مغادرًا قبل أن يسمع ردها، قفز الدرجات بسرعة مبتعدًا عن المبنى الخشبي واستطاعت من مكانها أن تراه وهو يدخل المبنى الرئيسي سريعًا، لتأخذ نفسًا طويلاً وتستلقي على الأرض لتحقق إلى السماء كما كان يفعل تمامًا.

10

في فترة الخدمة الاجتماعية باليوم التالي جلست أمام الحاسوب وحاولت انتزاع كل الأفكار من رأسها حتى لا ترتكب أي خطأ، وتذكرت كلمات لؤي حول الدقة في هذا العمل. سلمتها أمل تقرير المواد في قسم المنظفات ووجدت نفسها لا تتفاعل كثيرًا مع تعليقاتها وسخريتها، لا تعلم لم شعرت أن موت هذه الفتاة حصل من فترة قريبة جدًا، قريبة بما يكفي ليعطل حزنُها عليها حركة حياتها.

بعد مرور ساعتين تقريبًا وجدت هاري يقف أمامها، يمد لها جهازًا لويحياً لتأخذه منه دون أن تنظر إليه، رفع حاجبه باستغراب من تصرفها قبل أن يبتسم ويسأل باستفزاز:

- هل الأميرة الصغيرة حزينة لأن (فراس) مريض؟
- لقد تحسن وخرج من المستشفى البارحة.
- قالت دون أن تلتفت له واستشعر في نبرتها السخرية.
- أجل، رأيته صباح البارحة، كان يبدو شاحبًا، على الرغم من ذلك يحمل نظرات شيطان.

رفعت نظرها إليه مع حاجب مقوس وسألت باستغراب:

- لم تقول هذا؟ لم أرَ (فراس) يفعل أي شيء طوال فترة مكوثي هنا.
- لا يمكنك أن تقارني ثلاثة أشهر باثني عشر عامًا أيتها الفتاة، رأيتُ من فراس أكثر مما يمكنك أن تتخيلي، ونعم، هو شيطان، لا يهتم لأي شيء، ولذلك لديه قدرة على أذية أي أحد بسهولة.
- أنتم تستمرون في الثرثرة حول هذا على الرغم من أنه أفضل من ذلك!

نبرة صوتها أصبحت أعلى، دفاعٌ لا فائدة منه لتحسين صورة فراس المشوّهة منذ سنوات طويلة والتي لم يهتم هو نفسه بتحسينها، محاولة إخبارهم بأن هذا الشخص شخصٌ جيد على الرغم من أنها لا تعرف كل شيء عنه، ولكن شعورًا قويًا بالألم ما زال يراودها لأجله، أدركت بعد محادثة الليلة الماضية حقيقة أن (فراس) إنسانٌ مثلهم؛ يملك انكساراته وأحزانه وأشخاصًا يحبهم للغاية فقدهم لأسبابٍ عدة ربما لم يكن مقتنعًا بها ولكنه أُجبر على تقبلها، لأن الوقت قد لا يشفي الجراح كلها، ولكنه يجبرك على التعايش معها.

- لا أعلم هل عليّ أن ألوم صغيرةً غبية لم ترَ شيئًا بعد، أترين هذا الجرح؟ قلتُ شيئًا لم يعجبه وحسب فرمى طبقًا زجاجيًا على رأسي، إلى هذا الحد يمكن لفراس أن يكون مجنونًا!

أشار إلى الجرح العميق الذي برأسه والذي جعلها تراه في لقاءهم الأول، ولكنها أرادت أن تدافع عنه مجددًا، شفقة حديثة الأمد امتلأت في قلبها وفاضت بغباء.

- أنتَ تستحق، تعرف أنه عصبي، فلمَ تقول له أشياء لا تعجبه؟
- ما الذي تعرفه صغيرةً مثلك؟!

صرخ بغضب وضرب بيده على الطاولة مقتربًا منها لتنتفض للوراء، صر على أسنانه بغضب ثم حرك بيده على الطاولة راميًا لوحة المفاتيح على الأرض لتتكسر، تذكرت أنها تحادث هاري، شخصًا مخيفًا آخر، هاري الذي أثار فزعها منذ دخلت للمكان ولو حاولت إخفاء ذلك أو إبقاءه طي الكتمان، تذكرت أنه لا يطيقها، وتذكرت أنها لم تكن تريد أن تصطدم بأي أحد مطلقًا ولا حتى من أجل نفسها، فما بالك من أجل فراس. كان محققًا تمامًا، لم تكن تعرف أي شيء.

- ابتعد عنها.

الصوت البارد نفسه الذي رافق كوابيسها طوال اليومين الماضيين كان منقذها، كان يسند جسده إلى الباب وينظر إليه بشكلٍ مباشر دون أن يرمش، لقد أخبرها بأنه سيحميها وفعل، ولكنها تعلمت درسًا بعدم التسرع في الثانية الواحدة التي تأخرها.

التفت هاري إليه وغطت تعابير السخرية وجهه، تقدم كارتال خطوةً للداخل وتابع:

- ألا تخجل من نفسك؟ تظهر القوة على طفلةٍ تصغركَ بعشر سنوات؟! عيناه كانتا ملتهبتين كلون شعره تمامًا، بدا غاضبًا جدًّا، لم يكن منزعًا أن هناك شخصًا ما يدافع عنها بقدر ما أزعجه أن كارتال هو هذا الشخص، وبذلك القدر نفسه كان يكن الكراهية لكارتال في صدره.

- أنتَ من يجب أن تشعر بالعار من نفسك، لأنك تدافع عنها وهي تتحدث عن فراس كالعاشقات!

- سمعتُ كل ما قالت، طريقته في التحدث كانت عادية ولكنك تملك دماغًا فاسدًا.

رد بجمود ثم نزع قبعته من على رأسه ووضعها في جيب سرواله الخلفي وأضاف بابتسامةٍ ساخرة:

- وإن كانت تفعل، لم عليّ أن أشعر بالعار إن دافعتُ عنها؟ ولمَ تشعر بالغيرة؟

في تلك اللحظة كانت ستعطي كارتال سبع نقاطٍ للوقفة والمظهر المثالي لافتعال شجار، ثمانٍ للبرود، تسع للابتسامة، وعشر للاستفزاز! استطاع أن يوصل هاري لحدوده، رأت عرقه النابض في رقبتة، وأخيرًا ضغط على قبضة يده بكل ما يملك من قوة قبل أن يحركها بسرعة ليملك كارتال.

كان الآخر أسرع، أمسكها بكف يده واحدة بنفس قوة الآخر، ضغط عليها حتى بانّت عروق يده وكان في هذه الحركة تحدُّ مباشرًا للآخر، أنه يستطيع أن يمسك به، يستطيع أن يتفاداه، ويستطيع أن يجاريه أيضًا.

- إن كان هناك شخصٌ لعينٍ واحدٍ سأشعر بالغيرة منه في هذا العالم فلن يكون (فراس) حتمًا!

صوته كان كفحيح الأفعى، خافت ولكنه يعبر عن الكثير من الغضب. رفع كارتال حاجبيه مما دفع الآخر ليكمل بنفس الحدة:

- إن كان هناك شخصٌ لعينٍ واحدٍ يجب أن تدافع عنه في حياتك كلها يا كارتال ساروس، فيجب ألا يكون (فراس).

- إنه ليس صديقي، ولكنه لم يؤذني، ربما كانت محقة؛ أنت ترى (فراس) كوحش لأنك أحرق يجبر شياطينه على التراقص فوق رأسه.

سحب هاري قبضته بحدة ليبعد كارتال يده معيدًا إياها لجيب سرواله الأسود الذي كان يرتديه، وفجأته لهجة هاري الساخرة:

- لم يؤذك؟! ألا تأخذ في الحسبان موت إيلينا؟!

ضيق عينيه ناحيته بتفاجؤ، لم يكن متقبلًا بعد لحقيقة أن هاري يعرف من تكون إيلينا بالنسبة إلى أزار أو له، لم يكن مقتنعًا مطلقًا بكلمات عمه وهو يخبر فراس «أنت قتلتها»، ولذلك كانت كل كلمة بهذا الحديث تدفعه لأقصى حالات الانتباه.

- ما علاقة موتها؟

الصوت الأنثوي همس بصوتٍ خافت، كاد كارتال ينسى وجودها على الرغم من أنه هنا للدفاع عنها، ولكنها قالت السؤال الذي كان يدور في دوامة رأسه ليبتسم هاري ويرد:

- ما علاقتها؟ هذا السؤال كبيرٌ جدًّا، ولكن تذكرني قبل أن تدافعي عن فراس أننا في أحد أيام الخريف استيقظنا من النوم ونحن نفكر أن هذا اليوم سيمر بسلام، ووجدنا فتاةً ميتةً بغرفته!

رمى كلمته وغادر أخيرًا بينما تجمدت بمكانها تمامًا، هل ماتت في غرفته؟ كارتال من ناحيةٍ أخرى لم يفهم أي شيء سوى أن ما قاله هاري كان كافيًا ليؤكد أن (فراس) قتل إيلينا فعلًا، عقله كان يرفض تصديق تلك الحقيقة ولكن كل شيء كان يدفعه نحوها.

ظل الاسم يتكرر برأسه بلا توقف، ونطق أخيرًا بصوتٍ لا يكاد يُسمع: «قتلها، فراس قتلها!»

تغيرت تعابير وجهه، عيناه غرقتا بالظلام وحرك رقبتة للجانبين، لم تفهم أي شيء سوى أن إيلينا كانت تعني له الكثير، وأن موتها في غرفة فراس جعله يظن أن (فراس) قتلها. تحرك للخارج وتعابير وجهه كانت توحى أنه ذاهبٌ لارتكاب جريمة قتلٍ أخرى.

هوشيار كان بعيدًا للغاية لتصل له وتطلب مساعدته لإنهاء هذه المشكلة، فراس كان متعبًا، صدره يؤلمه ويلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة وأتته نوبة سعالٍ حادة في فترة الغداء على الرغم من أنه غادر القسم الطبي منذ يومٍ واحدٍ وحسب، بالتأكيد لا يملك القوة الكافية ليدافع عن نفسه ضد كارتال، أو حتى يشرح له حقيقة الأمر.

فكرت في كل تلك الأشياء بسرعةٍ أكبر مما تخيلت أن عقلها يمكن أن يعمل بها، ووجدت نفسها تقفز من مكانها وتعانق ذراع كارتال بكل جسدها مانعةً إياه من التحرك، ودون وعيٍ منها صاحت:

- توقف، أرجوك توقف!

- ابتعدي.

صاح وهو يحاول إبعادها عنه ولكنها تشبثت به أكثر، الكثير من الأشخاص تجمعوا ولمحت من بينهم أمل التي لم تتجرأ على الاقتراب وركضت لتنادي لؤي، ولكنها تجاهلتهم جميعًا وتشبثت بذراعه أكثر على الرغم من ألمها الشديد من كفه التي تقبض على معصمها وتابعت:

- توقف، هناك شيءٌ يجب أن تسمعه، قد تكون الأمور كلها قد أسوء فهمها، لذا توقف من فضلك!

ابتلع ريقه ونظر إليها من أعلى رأسها حتى أخمض قدميها، للطفلة الصغيرة التي تشبثت به، أخيرًا أخذ نفسًا عميقًا مستعيدًا هدوءه الذي يهرب منه بصعوبة ويعود بكل سلاسة وأومأ قائلاً:

- سأراك مساءً وستخبريني بما لديك.

ثم أبعد يدها عنه بقسوة ومشى مبتعدًا عن المكان وسط نظرات الآخرين إليه.

5

الفتى الذي تيتم مرتين

هوشيار سبب لها الصداق!

كانت مرهقة ولكنها وعدت كارتال بالذهاب إليه والتحدث معه، هوشيار لم يترك لها فرصة لهذا! على الأقل تريد أن تدرس قليلاً وتخلد للنوم على الفور، ولكنه دخل لغرفتها بعد ساعة واحدة من انتهاء الخدمة الاجتماعية ولم يتوقف عن التحدث عن المشكلات التي ستسببها لنفسها إن تدخلت في أشياء لا تعنيها، ظناً منه أن هناك مشكلة بين كارتال وهاري وأنها وضعت نفسها بينهما، ظل يتحدث أن كارتال شاب رياضي وهاري قويٌّ كثيرًا وأنها حمقاء لتدخلها، لم تذكر له أن كارتال يدافع عنها لأن هذا سيبدو غريباً وكاذباً جداً في نظره!

ظل يدور في الغرفة ذهاباً وإياباً ويكرر سؤال:

- ما الذي يريده هاري منك؟

وظلت جالسة على سريرها تضم ركبتيها لصدرها وتسند رأسها إليهما دون أن تنطق بأي كلمة.

أخرج زفيراً طويلاً عبّر به عن انزعاجه ثم وقف أمامها مباشرة وقال:

- ما بك؟ لست الشخص الذي يقضي الوقت بالصمت!

- ليس لدي أي شيء أقوله لك.

- كنت تثرثرين كثيراً وتخبريني بتفاصيل الأمور، هذا الصمت لا يلائمك! إن كان هناك شيء فقط لا تبقيه بداخلك، أخبريني، أخبرني أمل أو لؤي، أخبرني (بسام) لأنه سيقف معك بكل ما لديه، ولكن لا تتمسكي بهذا الصمت، لا تصبحي مثلنا!

لم يكن يتحدث عن هذا الموقف وحسب، كان يتحدث عن كل ما مضى، كم أربعته فكرة أنها شخصٌ ثرثارٌ للغاية ولكنه في الحقيقة لا يعرف أي شيء

من الأمور العميقة، أشعرته أنها تكتم الكثير من الأمور، أن أحاديثها السطحية ليست سوى نسخة غير حقيقية من كل ما يدور بداخلها، لم يكن يهتم أن يعرف، هذه المرة بالذات تضارب صديقه المقربان -فضوله وقلقه- وهذه المرة دوناً عن كل المرات انتصر قلقه. حتى لو أخبرت (بسام)، حتى لو تركته خارج الأمر دون أن يعرف أي شيء، المهم أن تكون بخير لأن هذا الصمت بعد موقفٍ وقفت فيه بين كارتال وهاري لم يكن شيئاً جيداً مطلقاً.

خرج من غرفتها بانزعاج دون أن تجيبه ودون أن ينطق أي كلمة، انكشمت على نفسها أكثر محدقة إلى نفس النقطة من الفراغ التي كانت تنظر إليها منذ دخل إلى غرفتها وبدأ كلامه الطويل الذي أشعرها بالخوف أكثر.

كانت خائفة لأنها وجدت نفسها وسط مجموعة من الشبان الأكبر منها والغاضبين حول موت فتاةٍ ما، فتاة لم تعرفها ولكنها عرفت صفاتها وتمنت لو التقت بها، لأن هذا الأمر أصبح أكبر، ولأن هناك قناعة متولدة في رأس أحدهم أن الآخر قد قتل هذه الفتاة!

لم تستطع أن تدرس أي شيء، لذا أخذت جهازها ونهضت نحو قاعة الدراسة، مرت على الطابق السفلي وسألت (بسام) إن كان يريد القدوم معها، وقد رافقها بابتسامةٍ صغيرة دون أن يعلق على ما حصل معها على الرغم من أنه على الأغلب كان يعلم، نظرة القلق في عينيه لأول وهلة أشعرتها بذلك ولكنه لم يتكلم، كان ذلك مفيداً لتعرف معلومةً جديدةً أخرى، بسام قادرٌ على كبت الكثير أيضاً، ولؤي وأمل توأمٌ ثرثار أحدهما أو كلاهما ينقل معظم ما يحصل لباقي المجموعة، وبما أن كليهما معها في الخدمة الاجتماعية في المستودع، وبما أن كارتال وهاري لا يطيقان بعضهما الآن -على الأغلب بسببها- فسيكون هناك الكثير من الأشياء ليتحدث التوأم الثرثار عنها.

عاد إلى غرفته ليجد شريكه واقفاً بجانب النافذة ينظر إلى الخارج ويضع يديه في جيبي سرواله، حاول تجاهله وتبديل ملابسه لملابس النوم ولكنه لم يستطع ذلك، لم يقدر سوى أن يتحدث بما يدور في ذهنه لأنه لو ظل يكتبه أكثر قد يندم لاحقاً.

- ما الذي حصل اليوم؟

قالها بلا مقدمات ليلتفت كارتال نحوه بحاجبين معقودين. جلس على سريره على يمين النافذة وأضاف:

- شجارك مع هاري، وما علاقة إيلاف بهذا؟

- لا علاقة لك!

نبرته كانت باردة كالصقيع، لا تحمل بداخلها أي حياة، عيناه حادثان وعلى وجهه نفس التعابير الجامدة.

- أنت محق، لا علاقة لي، ولكن إن كان لإيلاف دخلٌ بهذا فمن حقي أن أعرفه بكوني قائدها.

- لم لم تسألها؟

لم يجبه، ليبتسم بسخرية ويضيف:

- لا بد أنها رفضت إخبارك، تلك الفتاة تذهلني، هل هددها بخصم نقاطها وأصرت على رفضها؟

- كارتال، هذا ليس وقت السخرية.

همس بها بين صرير أسنانه ليرفع حاجبه ويرد:

- وقت ماذا؟

- تلك الفتاة صغيرة، فقدت عائلتها من فترةٍ قصيرةٍ للغاية ولم تعدت أي شيء هنا، حتى شوارع المدينة غريبة عليها، إن كان هناك مشكلة بينك وبين هاري فإن أسوأ شيء تفعله أن تدخل شخصاً بريئاً مثلها فيها.

- شخصاً بريئاً؟

همس بسخرية ثم هز كتفيه بلا مبالاة وهو يتحرك ليجلس على سريره يسار النافذة ويرد:

- سأكون صادقاً، إنها كذلك.

- لا تدخلها بأمورٍ مؤذية، إن كان هناك شيء ما أخبرني.

قالها ولم يحصل على رد فعل، مما دفعه ليتنهد بنفاد صبر وينهض لطاولته ليدرس بينما تجاهله كارتال كأن تلك المحادثة لم تحصل من الأساس.

2

صباح اليوم التالي توجهت لحافلتها صباحًا لتأخذ مكانها المعتاد بجانب بسام، أسندت رأسها إلى النافذة تحديقًا إلى الخارج بعينين شاردين، استطاعت أن تدرس في اليوم الفائت، واستطاعت أن تنام بسلام، ولكنها كانت تحمل قلق هذا اليوم، وكيف ستواجه كل الأشخاص الذين ستراهم عند عودتها من المدرسة.

سمعت بعض الضجيج غير المألوف في مقدمة الحافلة لتتنظر إلى هناك، وجدت كارتال يدخل مرتديًا ملابس رياضية والعرق يتقاطر على جبهته، أشار لها لتتقرب منه، لينظر بسام إليها ويسأل:

- ما الذي يريده منك؟

- سأراه.

قالت باختصار وهي تنهض من مكانها نحوه. الأنظار موجهة لكليهما بشكل مزعج، خرج من الحافلة ليقف بعيدًا عنها قليلًا على العشب الأخضر الجاف لتتقدم نحوه بخطوات مترددة من نظرات بسام التي تلاحقها من نافذة الحافلة ونظرات الطلاب الآخرين إليهما.

- ما الأمر؟

- أخبرتك أنني أريد رؤيتك البارحة مساءً.

تمنت لو تحدث بلطافة أكبر، كانت ستجد في نبرته اللوم المعهود بين الرفاق، ولكنه لم يكن صديقها، ما بينهما علاقة منفعة، برأيه فقد قدم لها ما تريده منه، ولكنها لم تأت إليه لتقول له ما يحتاج إليه.

- هل كنت تريدني أن آتي لغرفتك وأطلب منك أن نتحدث وحدنا في مكان

ما أمام عيني هوشيار؟!

قالت بحدة ليغمض عينيه بنفاد صبر ثم ينظر إليها ويقول:

- أخبريني؛ ما الذي عرفته البارحة؟ لم أوقفيني؟

- أولاً، كون إيلينا ماتت هو شيءٌ مختلفٌ تمامًا عن أن (فراس) قتلها، هل أنت مجنون؟!

صاحت بصوتٍ عالٍ قليلاً لم يسمعه غيره لخلو المكان، بدا الغضب على ملامحها وحركت يديها بعشوائيةٍ مظهره السخبط ليرد ببرود:

- ألم تسمعي أنها ماتت بغرفته؟!

- هذا مختلف عن كونه قتلها!

- سمعتُ شائعةً من شخصٍ لا أثق به أنه قتلها، ولكن هذا الشخص بالذات لا يملك أي سببٍ للكذب حول هذا الأمر، لذلك أريد التأكد من الأمر بنفسي، ألا تجدين موتها في غرفته شيئاً غريباً؟ ربما كانت ضحية إحدى نوبات غضبه!

كان يحاول تمالك أعصابه بصعوبةٍ بالغة، يشد على يده دون أن يظهر على وجهه الغضب، هو يتحدث حول الأمر وحسب، يجب ألا يحمله فوق حجمه، بدورها كررت كلمة القتل مراتٍ عدة، وجدتها كلمة مخيفة ومرعبة للغاية، مثيرة للفرع ويرتجف لها جسدها، ولكنها كانت غبيةً للغاية حين تسمعها بعد ما قاله هوشيار البارحة. لم يبذُ كارتال مرتاحاً ولا بأي شكل، لذا أرادت أن توصل الأمر لعقله، أن تريه الأشياء من وجهة نظرها.

- أولاً، أنتَ تصدق كلاماً قاله شخصٌ لا تثق به، ربما يكون كذاباً.

قبل أن تكمل قاطعها بقوله:

- ليس لديه سببٌ للكذب!

- البشر يملكون دوماً سبباً للكذب.

ضيق عينيه ناحيتها حين قالت ذلك لتتابع:

- ثانيًا، أوقفْتُكَ لأن هوشيار حدثني البارحة عن علاقة فراس بإيلينا، سألته من هي وحدثني عن علاقتهما، علاقتهما وحسب، وكأن وجودها كان مرتبطاً بفراس، وكأن اسمها يجب ألا يُذكر دون أن يُقترن باسمه، ولأنني عرفتُ هذه العلاقة فأنا متأكدةٌ أنه لم يقتلها.

أعصابه اشتدت أكثر، ها هو يسمع إجابةً عن سؤالٍ يبحث عنه، ها هو يعرف شيئاً عن حياة إيلينا هنا، شيئاً ما، تفصيلاً ربما لا يكون مهماً ولكنه يعنيه كثيرًا، أن يعرف كيف قضت هذه السنة بعيدًا عنه، لا يمكنه أن يصدق مطلقًا أن الفتاة المشرقة التي كان يعرفها انتهى بها الأمر منتحرة، ولكنه لا يستطيع الاقتناع بفكرة أنها قُتلت، شيءٌ ما بداخله يرفض الاقتناع بهذا.

- فراس كان صديقًا لإيلينا، منذ أن دخلت المكان تعرفا، وفي فترة قريبة أصبحا مقربين ولازما بعضهما طوال الوقت، كان... واقعا في حبها.

ترددت قليلاً قبل قول الكلمة الأخيرة ونظرت إليه لتجده يطالعها بعينين واسعتين، لم يتسن لها أن تسأل عن ردة فعله الغريبة تلك، لم تملك الفرصة لأن (بسام) ناداها بصوت عالٍ من نافذة الحافلة لتركب بها قبل أن تمضي. انسحبت سريعًا معتذرةً منه وبعد لحظات سمع صوت حافلتها تمضي، بقي متجمدًا بمكانه يحدق إلى نفس النقطة من الفراغ التي كان ينظر إليها منذ قالت تلك الكلمة، لم يتخيل أن (فراس) قد يملك هذه المشاعر تجاه أحد، تجاه إيلينا نفسها، الفتاة التي تهمة أكثر من أي شيء آخر.

شعر بالنيران في صدره تحرقه وتؤلمه وتؤذيه، لسببٍ ما بدأ يتذكر أشياء قديمة جدًا، حين اتهمت بتلك التهمة أراد أن يلقي اللوم على نفسه، ولكن زملاءهما في المدرسة الثانوية كانوا يعرفون الحقيقة، حين دخلت لهذا المكان ترجى عمه عشرات المرات حتى يدخله عوضًا عنها، حين ماتت شعر وكأن قلبه يُقتلع من مكانه، لم يعيش في حياته ألمًا كالم ماتها، ولا فقداً كفقدها، ولم يغرق في الحزن أيامًا وليالي طويلة إلا بعد رحيلها، حتى إن أزار ساروس نفسه وجد أن حالته أصبحت حرجة وأحاله مرغماً للطب النفسي.

عشرات أدوية الاكتئاب أخذها، مئات الحبوب ابتلعها حتى يستطيع عقله التماسك، كان يعرف أنها تعني له الكثير، ولكنه في تلك اللحظة وحسب أدرك أن وجودها بداخله عميقٌ للغاية للحد الذي لا يمكن اقتلاعه، لدرجة أنه قد مر على وفاتها ست سنوات وهو يشعر بكل هذه الغيرة لمجرد معرفته أن شابًا آخر أحبها قبل موتها!

- كارتال.

صوت عالٍ بجانب أذنه أجبره على الاستيقاظ من شروده، التفت لمصدر الصوت ليجد شاباً ينظر إليه باستغراب قبل أن يعقد ذراعيه ويقول:
- لقد ناديتك أكثر من خمس مرات.

كان طالباً جامعياً ينتظر حافلته لتغادر، رآه كارتال من قبل عندما طلب منهم حمل الصناديق الكبيرة لقسم الطعام في المستودع، مهمم كإجابة ليتهاهد الآخر ويقول:
- السيد آزار يريدك.

أنهاها وغادر نحو حافلته ليشعر كارتال بانزعاجه يزداد، كان هناك حملٌ على صدره وكل ما قالته تلك الفتاة الآن جعله يزداد ثقلاً. مسح على وجهه بيده بقوة محاولاً تمالك نفسه وأطلق زفيراً طويلاً قبل أن يتوجه نحو مكتب عمه وصوت حافلة طلاب الجامعات التي تحركت أخيراً كان في أذنه.
صعد إلى الطابق الأخير وكانت الفكرة تدور برأسه ليركل الباب ويدخل بوقاحة، ولكن لأنه كان يعرف من هو الشخص وراء الباب وما الذي قد يفعله به لو تعامل بهذه الطريقة معه، فقد تمالك نفسه.

طرق الباب بخفة وانتظر حتى أذن له بالدخول، وجده جالساً على إحدى الأرائك بينما ترك كرسي مكتبه الوثير فارغاً، أشار إليه ليجلس مقابلاً له، ففعل دون أن ينطق أي كلمة. نظر إليه متسائلاً عن سبب طلبه بينما لم يكن في مزاجٍ مناسبٍ لقول أي كلمة!

- كيف حالك؟

- بخير.

أجابه بلا تعابير، كرجلٍ آلي مبرمج على قول تلك الكلمة، ينتظر حتى يستطيع الخروج من هنا ولملمة شتات نفسه وحسب.

- لا تبدو أنك بخير؟

قال وهو يستند بيده إلى الأريكة الجلدية ويضع ذقنه على باطن كفه، الأمر الذي كان مستفزاً قليلاً للشاب الذي يتحدث معه، ولكنه اكتفى بتحريك رأسه نافيةً ما قاله عمه، على الأقل هو مستعدٌ لاحتمال الكثير من الأشياء الآن إلا سؤال «ماذا بك؟»

- هل عرفتَ شيئاً من هوشيار؟

حرك رأسه نفيًا مجددًا وقرر أن البدء بالاعتراض حول سياسة عمه في معالجة الأمور لن يجلب نتيجةً أبدًا، لذلك اكتفى بالصمت وحسب!

- أخبرني كارتال؛ ما سبب شجارك مع هاري البارحة؟

- لم نتشاجر.

رد بلا تعابير قبل أن يتنهد ويتابع:

- أثرتُ غضبه وحاول لكمي لأوقفه عند حده، كن ممتنًا أنني لم أكسر يده.

- كونك استطعتَ إمساك يده لا يعني أن بوسعك كسرهما، هاري ليس سهلًا أيضًا.

- لقد حصل الأمر وحسب!

تمتم وهو يهز كتفيه، ومجددًا لم يشعر برغبة لتبرير أن الساعات الطويلة التي يقضيها بالتدريب ستجعل له الغلبة حتمًا، ولكنه احتفظ بهذا التفاخر لنفسه.

- لأنه كان يتنمر على تلك الصغيرة منذ شهر.

- هل لديك فئران تنقل لك الكلام؟

هسهس وهو يضغط على قبضته بانزعاج ليبتسم آزار ويقول:

- هل ستكون منزعجًا إن كانت الإجابة نعم؟

- لا، هذا متوقعٌ منك، في النهاية أنتَ أدخلتني لهذا المكان لأكون كذلك مع هوشيار دون الأخذ في الحسبان أن عشرات الأشخاص سيسألون عن سبب دخولي لأنني بلغتُ الرابعة والعشرين بالفعل.

- أما زلتَ تنتحب لأجل السنة الدراسية التي فاتتك؟

- لا، أنا بخير.

أجابه بجدية وعيناه كانتا صادقتين للغاية، لقد اعتاد الأمر، بل قرر أن يستغله ليعرف الحقيقة التي خبأها عنه عمه، حتى لو كان الأمر يعني أن يضحى بسنةٍ من حياته في سبيل هذا.

- إن أردت أن أخرجك فيمكنني فعل هذا، أنتَ لم تفوتَ سوى أسبوع واحد، تستطيع أن تتداركه بسهولة، ستتخلص من هذا المكان المقرف.
- سأنهي المهمة التي أعطيت لي بأكملها.

قالها بصوتٍ خافت وقبضته اشتدت أكثر حتى برزت عروق يده أكثر مما هي عليه بالفعل، لم يعد يريد الخروج بعد كل التشتت الذي عاشه، يريد أن يبقى حتى يعرف الحقيقة بأكملها، حقيقة حياتها هنا، حقيقة موتها، بطريقةٍ ما لم يعد قادرًا على تصديق أي شخص!

ظل أزار يحدق إليه لفترةٍ من الوقت قبل أن ترتفع زاويتا شفتيه بابتسامةٍ لا تكاد تُرى، صغيرة وساخرة. أنزل بصره نحو قبضته المشدودة قبل أن يضيف:

- يمكنك الذهاب.

نهض كارتال سريعًا، حالما أصبح خارجًا أغلق الباب ومجددًا استند إليه لينحني مسندًا ذراعيه إلى ركبتيه محاولًا تمالك أنفاسه، كل تلك الأمور دفعة واحدة تقلب حياته، نظرة أزار كانت توحى أنه عرف كذبه، كانت تخبره بأنه لا يصدق رفضه لطلبه، كان يقول له إنه يعرف أنه يخطط لشيءٍ ما، وعلى الأغلب كان يعرف ما هو، بطريقةٍ ما كان أزار يرعبه بشدة، وقد كانت هذه الحقيقة متأصلةً بداخله ويكره الاعتراف بها أكثر من أي شيءٍ آخر!

أراد الذهاب لرؤية فراس، لا يعلم لماذا، ربما ليسأله، ربما ليتحدث معه، ولكن حقيقة أن (فراس) كان يحبها ضربت إدراكه مجددًا وجعلته مضطربًا، لذا لم يستطع أن يخوض في أي محادثةٍ الآن مطلقًا.

من ناحيةٍ أخرى، وبشكلٍ مثيرٍ للبؤس، كان فراس نائمًا على سريره غير واعٍ لما يحصل حوله، ولكون مجموعة المقيمين الجديدة تنبش بماضيه بينما يخرج صوت نشيجٍ خافت بين أنفاسه يعبر عن اقتراب فقدانه بقايا قدرته بالتحكم بها.

3

- هل سيزعجك أن أقول إنني قلق؟

قالها بسام بلا مقدمات وهو يجلس بجانبها على أحد المقاعد في المدرسة ينظر إلى مجموعة من الطلاب يلعبون كرة القدم في الساحة الكبيرة مستغلين فترة الاستراحة، لتنظر إليه باستغراب قبل أن تبتسم بخفة وترد:

- لا، حتى هوشيار كان قلقًا البارحة، أتمنى أنه لم يرَ كارتال يدخل حافلتنا اليوم.

- لم يكن سيتركه دون أن يقم نفسه بينكما ويسأل عن كل تفصيل في هذه المحادثة، أنا أعرف هوشيار؛ يحب أن يعرف كل شيء حتى لو أزعجه أو لم يكن يعنيه كثيرًا.

صمت للحظات قبل أن يعود القلق ليكسو تعابير وجهه ويتابع:

- لا أريد أن أتدخل أيضًا، ولكن كان من الواضح أنكما منفعلان جدًا، كنتِ غاضبة ولكن تعابير وجهه كانت قاسية، شعرتُ أنه قادرٌ على قتل أحدهم!

لم تستطع أن تمنع ضحكةً صغيرةً من الهرب من شفيتها، ظن أنها تسخر من تعبيره، ولم يكن بوسعها أن تخبره بأن سبب ضحكها لأن محادثتها مع كارتال بأكملها كانت تتمحور حول إقناعه بعدم ارتكاب جريمة قتلٍ لفراس!

- ما الذي تعرفه عن فراس؟

سألته بلا مقدمات لينظر إليها متجاهلاً أصوات الطلاب التي علت بعد أن

سجل أحدهم هدفًا، قطب حاجبيه مفكرًا ثم قال:

- ليس أكثر مما يعرفه الجميع، أنه لا يملك خدمة اجتماعية، لا يدرس، لا يتحدث مع أحد ولكنه عنيفٌ تجاه تصرفات الآخرين نحوه مهما بلغت بساطتها.

- هل تظن أنه من الممكن أن شخصًا مثله قد قتل أحدًا من قبل؟

- قتل؟!!

همس بها بسخرية مراعيًا المكان الذي يجلسان به قبل أن يهز رأسه ويرد:

- يمكن لفراس أن يتحول لشيطان في لحظات ولكنه لم يصل مطلقًا لمرحلة القتل، لقد شهدته عند دخولي المكان يتشاجر مع أحدهم وقد مكث الآخر لشهرين في المستشفى ريثما التأمت عظامه المتكسرة، ولكنني ما زلتُ لا أظنه قاتلًا!

- أنتَ محق.

أرادت أن تسأله عن إيلينا ولكنها قررت تأجيل الأمر لوقتٍ لاحق لأنها تعرف نكاهه الحاد، وقد لا يجد صعوبةً كبيرةً في ربط الأمور ببعضها. أسندت ذراعها إلى ركبته ونظرت إلى المباراة بعينين شاردين غير مركزة مع ما يحصل حولها، ليضع يده على كتفها ويضغط عليه بخفة لتلتفت له سريعًا، ابتسم مطمئنًا وقال:

- بمَ شررتِ؟

- أفكر في سبب وجود كارتال الذي يبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا ويملك عائلة تعتنى به بيننا.

- تساءلتُ عن الأمر في البداية، ولكنني لم أستطع أن أجد أي إجابة.

ضغط على كتفها مرةً ثانية لتتنظر إليه بعينيهما الحائرتين ليتابع:

- حتى لو كان الأمر غريبًا، ولكنه غير مهم ما دام لا يؤثر عليك، في النهاية سيكون مصيرنا مثل مولان، سنخرج من ذلك المكان وسننساها، يجب أن نفعل! حتى نمضي قدمًا في حياتنا! حتى ننسى أننا خسرنا الكثير وعشنا في دار رعاية، هذه المرحلة بكل مغامراتها ستصنعنا، ولكنني لا أريد أن أحملها معي.

- لماذا؟

- لأنني أملك أحيانًا مثل أي شخصٍ آخر، هناك ألف شخصٍ في الكمس والملايين في مدينة لوكيد، لا أريد أن أشعر لآخر حياتي أنني مستثنى عن الجميع، أريد أن أكون مشابهًا للجميع، أعيش مثلهم دون أن أشعر باختلافي.

كانت تنظر إليه باستغراب وكأنها لا تصدق أن هذا الكلام يصدر منه، أكثر شخصٍ كان يبدو متقبلًا لحياته ويعانقها أيًا كان ما تحمله له من بؤس أو حزن أو سعادة، أكثر شخصٍ كان يبدو أنه يعيش دون اكتشاف كان يريد أن يمحي هذه الأيام من حياته، من ذاكرته.

- لا يمكنك أن تتخلى مطلقًا عنها!

قالت أخيرًا ليبعد يده عن كتفها ويضعها في حجره بابتسامةٍ حزينة وهو يرد:

- أعلم، ولكنني سأحاول.

- لن تستطيع، ستبقى لآخر حياتك شخصًا قادرًا على تحمل المسؤولية لأنك أديتَ الخدمة الاجتماعية، شخصًا مثقفًا لأنك قضيت ساعاتٍ طويلة تقرأ الكتب، ستبقى دومًا تملك ذاكرةً قوية لأنك كنتَ تدور على الغرف وتتذكر ما يحتاج إليه كل قسم، وستبقى دومًا أقوى وأكثر وعيًا بعشرات المرات من أولئك في مثل عمرك لأنك قضيتَ أيامًا وليالي طويلة تعنتني بشابٍ مصابٍ بمرضٍ مزمن.

- أظن أنك محقة، هذا قدرتي!

قالها بسخرية وهو يمرر يده في خصلات شعره ويتطلع للأمام مجددًا ليتابع:

- أنتِ تجبريني على الاعتراف بشيءٍ لم أقله مطلقًا، ولكن بقدر رغبتني في نسيان حياتي هذه والانسلاخ منها أتمنى لو أملك القدرة على تقبلها، حينها أظن أنني سأكون قادرًا على المضي قدمًا في كثير من الأشياء، سأكون قادرًا على التماسك وأنا أعرف أن هذا القدر لي! حينها سأبذل جهدًا لأعيش بالطريقة الصحيحة.

ابتلع ريقه بتوتر خوفاً من أن الكلمات التالية ستضايقها ولكنه لم يستطع التوقف:

- لا يحق لي أن أتدخل، ولكن أظن أن الطريقة الصحيحة لعيش حياتك هي بالبقاء بعيداً عن كارتال، لا يبدو لي شخصاً سيئاً مهما حاولت أن أقنع نفسي أنه كذلك، إلا أن حقيقة كونه ابن أخ أزار وحقيقة أنه يبدو قادراً على وضع شخص ما في المستشفى بمثل عنف فراس تجعلني أظن أن البقاء بعيداً عنه يبدو أفضل لك.

- ماذا عن هاري؟

سألته باهتمام لأن هوشيار لم يخبرها يوماً سوى أنه ليس خياراً مناسباً ليكون صديقاً على الإطلاق، بدوره بسام كشر ملامحه بانزعاج وهو يعيد الاسم قبل أن يردف بانزعاج:

- هاري، خبيثٌ وفسادٌ تماماً، إن أردت رأيي، إن كان هناك شخص ما في ألكمس قادر على ارتكاب جريمة قتل فهاري هو الخيار الأمثل بالمكان بأكمله، كل المجموعة التي تحوم حوله مجرد فئران تلاحقه، بطريقة ما هو خطر ومؤذي، أظن أن الشيء الوحيد الذي يوقفه عند حده هو وجود فراس في الأنحاء.

تنهدت بنفاد صبر لأن (بسام) أيضاً كان من الأشخاص الذين يضعون (فراس) في خانة القوة مثل الجميع، كانت تثق به وتثق بهوشيار، ولأنهما قضيا في المكان وقتاً أطول بكثير منها، ولأنها تقبل برأيهما، فلم يكن بوسعها سوى أن تتقبل هذه الحقيقة التي لم ترَ منها شيئاً وتصدق أن (فراس) يمكن أن يكون الأخطر بقدر عدم رغبتها في تقبل ذلك.

- هاري أسوأ مما يمكنك أن تتخيلي، أنا أعنيها، فراس قوي وعنيف وقاسٍ، ولكنه ليس مؤذياً ما لم تعترضه طريقه، لا أعرفه بما يكفي ولكن أظن أن قلبه صافٍ بما يكفي حتى لا يضر شراً لأحد، لولا ذلك لا أظن أن هوشيار كان ليبقى معه كل تلك المدة!

كلماته أيقظتها من تضارب أفكارها مما قاله كارتال صباحاً، لو كانت الشائعة التي سمعها الأخير صحيحة وكان فراس قاتلاً لما بقي هوشيار معه

مطلقاً، لم يكن قائدها من النوع الذي يسمح على هذه الأخطاء. أوامات له ولكنه لم ينتبه لها وإنما تابع بتعابير مكفهرة:

- أنا ممتنٌ لوجود فراس، لأن نظراته وحدها كفيلة بجعل هاري يخرس عندما يتحدث بطريقته اللعينة مع الآخرين، فراس كان قائد المجموعة في البداية ثم انسحب، يبدو أن سلطته ما زالت موجودة بينهم، لذلك لم يستطع هاري مطلقاً أن يفرض سيطرته عليهم، على الرغم من ذلك، إنه الأسوأ!

- أنتَ تكرهه حقاً!

قالت بصوتٍ خافت لتظلم عيناه، نظرةٌ لم ترها على وجه بسام من قبل، شد على قبضة يده وتابع دون وعيٍ وكأنه نسي وجودها بجانبه:

- أكرهه؟ بالطبع أ فعل، شخصٌ مثله، يتنمر على الآخرين، يجعل الصغار يخدمونه لأنهم يخافون منه، يفرض سيطرته على الأضعف، شخصٌ ينظر بتلك النظرات القذرة نحو الفتيات، مجرد وغد يجب أن يبعده لتكون حياتنا مسالمة أكثر، لا أعلم كيف يضعون شخصاً فاسداً مثله مع أطفالٍ في عمر العاشرة وفتيات مراهقات، يجب أن يُخشى منه.

لم تجبه ليلتفت لها ويلاحظ أنها تحرق إليه بعينين متسعيتين، مما دفعه ليضحك بخفة محاولاً طمأننتها ويضيف:

- لا تفكري في هذه التفاصيل المخيفة، لأنك لن تعيشها، لن أسمح له بأذيتك، ولا حتى هوشيار، فراس نفسه سيوقفه عند حده إن فكر في الاقتراب منك، لذا لا تخافي، عيشي أيامك بسعادة ولا تفكري في هذه الأشياء البشعة.

أوامات له مع ابتسامةٍ صغيرةٍ مصطنعة، حقيقة أنه يفكر في أذيتها بالفعل وأنها تجاوزت (بسام) و(فراس) وهوشيار، وأن الشخص الذي يحميها بالفعل هو كارتال كانت ستزعجه بالتأكيد!

4

مجددًا، تم دفعه في الخدمة الاجتماعية ليكون مع هاري في مكان واحد، كان متأكدًا أن الجميع تقريبًا يعرف أنهما تشاجرا البارحة، وقد شعر أن الأمر متعمدٌ، حين أخبره لوي بذلك نظر إليه بحاجب مرفوع ثم توجه للقسم الطبي ليبدأ بتنسيق دفعة جديدة من الأدوات متجاهلاً هاري الذي تولى مهمة تنظيف بعض الأدوات القديمة، لم ينطقا بأي كلمة طوال ساعتين كاملتين، ولم يتفاعلا مع بعضهما على الإطلاق، حتى اضطر كارتال إلى الصعود على السلم لوضع بعض الأغراض بالأعلى ليجد هاري يحمل الصندوق ويعطيه إياه ليوفر عليه مهمة الصعود والنزول أكثر من مرة، أخذه منه وهو يهمس بكلمة شكرًا وتابع العمل بتركيز محاولاً تجاهل كل الأفكار برأسه عما حصل صباحًا من كلام إيلاف وآزار. تركيزه كان منصباً على العمل، والأدوات الطبية كانت كفيلة بسرقة انتباهه لأنها تستهويه للغاية.

فصلهما نصف ساعة قبل انتهائهما حتى قال هاري أخيرًا:

- بحثتُ بأمرك.

كلمته لفتت انتباه كارتال لينظر إليه بينما يتابع:

- آزار لا يملك إلا أخًا واحدًا، وهذا الأخ لا يملك سوى ابنة واحدة عندما توفي بدأ آزار يعتني بها، إيلينا ساروس هي ابنة أخيه الوحيدة، وأنت غير موجود في سجل حياته، لمَ كذبت؟
- لم أكذب.

أجابه بنفاد صبر لأنه لم يتوقع أن يجد هنا شخصًا ينبش في ماضيه على الإطلاق، رفع هاري حاجبيه باستفزاز وقال:

- ولكن الحقيقة تقول إنك فعلت! أنت لست ابن أخ آزار، لم نشرت هذه الحقيقة بين الجميع هنا؟ ولمَ يناديك آزار كل فترة لمكتبه؟ ما الذي تخططان له؟
- إن كان شقيقه لا يملك سوى ابنة واحدة فهذا لا يعني أنني لست ابن أخيه.

قالها بهدوء ثم أطلق تنهيدةً طويلةً لأن كلماته لم تكن منطقية، ولا يوجد لها سوى تفسير وحيد قاله هاري على الفور:

- هل أنت ابنٌ غير شرعي؟

عدل قبعته على رأسه لتظهر عيناه الكبيرتان أكثر ثم نظر إليه بابتسامةٍ ساخرة وقال:

- لقد قلتُ لك في المرة السابقة إن إيلينا ليست أختي، حتى لو كنتُ غير شرعي فسنحمل نفس الدم، إضافةً لذلك، هل تظن أن أزار حنونٌ بما يكفي ليعتني بي بعد وفاة شقيقه إن كنتُ ابنًا غير شرعي؟

كان يدور ويدور ولا يقول شيئاً مهماً يسكت فضول هاري، قرر أن يتحدث أخيراً حتى ينهي هذا النقاش وحتى يتوقف هاري عن إزعاجه بهذا الأمر أو البحث في ماضيه -على الرغم من أنه لا يعرف كيف استطاع فعل ذلك- واعترف أخيراً:

- أنا يتيمٌ تبناني كنان ساروس ومنحني اسمًا، وهو كارتال، كما منحني اسم عائلته. إيلينا ليست شقيقتي، ولكننا عشنا كل حياتنا معًا، هل هذا كافٍ لإشباع فضولك وتركي وشأني؟

- هذا لم يكن متوقعًا.

همس هاري باستغراب ليتنهد كارتال منهيًا آخر أعماله دون أن يقول أي كلمة، ليسأله هاري مجددًا:

- اعتنى بك أزار بعد وفاة كنان؟

- أجل، لقد فعل.

أجابه بملل ثم نظر إليه بطرف عينه وأضاف أمرًا:

- لا تسألني حول المزيد من التفاصيل لأنني لن أجيبك، يكفيك ما عرفته بالفعل، أنا غير مهتم بمشاركة ماضيٍّ مع شخصٍ مثلك.

- شخصٌ مثلي قد أجبرك على الاعتراف بحقيقة أنك متبنى، ألا ترى كم أنا مميز؟!

أراد أن يقول له: «أنت مجرد وغد»، ولكنه أخذ نفسًا طويلًا محاولًا ابتلاع الكلمات التي على حافة شفثيه وتابع عمله ليخرج من المكان بأكمله باحثًا عن عملٍ آخر ويصلي بداخله ألا يكون مع هاري أو ألا يتطلب كتابة جرد وتسليمه للفتاة، لأن مزاجه هذا اليوم كان سيئًا للغاية ولم يكن يريد رؤية أحد يعرفه.

5

تغيب كارتال عن فترة الغداء وذهب للنوم باكراً، دخل هوشيار للغرفة في التاسعة وأشعل الضوء ليزمجر بحدة طالباً منه إعادة إطفائه، نظر إليه باستغراب وأخذ كتاباً من الغرفة وغادر مطفئاً الضوء مجدداً ليدرس في الحديقة أو في قاعة الدراسة محترماً رغبة شريكه بالغرفة في النوم.

أغمض عينيه تزامناً مع إطفاء الضوء وشعر بعالمه يدور تقريباً ويعود به إلى نفس النقطة، إلى زمنٍ تمنى لو عاش به إلى الأبد، إلى الحالة التي كان يتذمر منها واليوم يدفع حياته بأكملها ليعيشها مجدداً.

وُلد في منزلٍ كبيرٍ للغاية، عائلته كانت غنية، والداه كانا طبيبين، هذا ما يذكره عنهما وقد تأكد من هذه الفكرة حين أخبره آزار بأنه ورث حب الطب منهما، مقابل منزلهما مباشرةً يعيش رجل أعمالٍ كبير يدعى كنان ساروس، وُلدت ابنته الصغيرة بعد كارتال بأربعة أشهرٍ تماماً، وهنا بدأ ارتباطهما، كجيران في البداية، أصدقاء طفولة وزملاء في المدرسة، ذهباً معاً وعاداً معاً ومارسا كل النشاطات التي يفعلها الأطفال برفقة بعضهما بعضاً، عندما توفي والده أولاً في سن السادسة وتوفيت والدته في التاسعة كل عالم كارتال المضيء أُطفئت مصابيحها فجأة وأصبح شخصاً كثيباً ابتعد كل أصدقائه عنه.

على الرغم من ذلك إيلينا لم تفعل، كانت قادرةً على تقبل حزنه ومساعدته طوال الوقت، حتى تصرفاته اللئيمة نحوها أحياناً بعد وفاة والده قد احتوتها. حين توفيت أمه بكت أكثر منه لأنها خافت أن يؤخذ إلى دار الأيتام وتبقى وحيدةً دون صديق طفولتها، هكذا فكرت الطفلة التي لم تبلغ من العمر سوى تسعة أعوام، ولم تكن تعرف معنى الوحدة بعد، ولكنها كانت خائفةً للغاية من فقدانه، كل ما عرفته أنها لن تستطيع رؤيته مجدداً، كان ذلك كفيلاً بإثارة فزعها.

استطاع والدها حل الأمر بعلاقاته عن طريق تكفل الطفل الصغير الذي فقد عائلته، جُمدت أموال الزوجين الطبيبين حتى يكبر ابنهما بينما أصبح الابن

تحت وصاية كنان ساروس، وحتى يتخلص كنان من الكثير من المشكلات ألزم الصغير على تغيير اسمه واسم عائلته وانتقل للعيش بشكلٍ كامل في منزل كنان غارقًا في الكآبة لأنه في المنزل المقابل قد خسر عائلته بأكملها.

استطاع أن يتذكر كل ذلك، التفاصيل الجميلة للسنوات التي عاشها في منزل كنان، كان سعيدًا هناك للغاية، السيد كنان كان أطف شخص يمكنه أن يعرف على الإطلاق، في ليلته الأولى دخل لغرفته ليجده يعانق وسادته ويبكي، ليضمه إليه ويخبره بأن الأمور ستمضي على ما يرام، ولأن الطفل الصغير لم يستطع أن يصدق ذلك فلم يستطع كنان سوى أن يحتضنه ويواصل الغناء له حتى خلد إلى النوم.

في اليوم التالي تردد في مشاركتهم مائدة الإفطار، ولكن كنان صعد لغرفته وحمله للأسفل وهو يلعبه طوال الدرج حتى قاعة الطعام ويخبره بأنه لن يأكل أي لقمةٍ دونه.

لم يكن قد تبناه بسبب إيلينا، لم يكن قد تبناه شفقةً عليه؛ تبناه لأنه أحبه حقًا، لأنه أراد أن يعامله كابنه، كان يناديه باسمه القديم، ولكن الطفل وجد نفسه يفخر باسم كارتال كثيرًا.

الأسماء كانت تعبيرًا عن الحب، هكذا أخبرته إيلينا ذات مرة وهي تطلق على إحدى القطط الصغيرة اسمًا، قالت إنك عندما تطلق اسمًا على شيءٍ ما فهذا يعني أنك تحبه وتريد أن تجعله أقرب لك، وأنه بشكلٍ أو بآخر ينتمي لك بعد أن تنحصر صفاته كلها تحت هذا الاسم الذي منحت له، كان الكلام كبيرًا عليها قرأته في أحد المواقع على الشبكة، وحين يفكر في الموضوع اليوم فعلى الأغلب هي لم تكن تفهم معظمه، ولكن تلك الكلمات جعلته يشعر أن اسم «كارتال» الذي حصل عليه يمثل هويته بشكلٍ كامل، لأنه أخذه بعد سلسلة الحوادث التي حصلت في حياته، وكل صفاته تشكلت بسببه.

لذلك كان يعتز بهذا الاسم، بالتأكيد سيفعل، لقد مُنح له بدافع الحب، من رجلٍ عده ابنه، من رجلٍ اعتنى به بكل حب دون شفقة أو غاياتٍ مخبأة، فقط لأنه الفتى الذي يسكن في المنزل المقابل والذي فقد عائلته.

يتذكر الصباح الذي تشاجر فيه مع أحد الأطفال في المدرسة وعاد باكيًا ليحتضنه كنان بكل قوته، حينها لم يخجل، تذكر أن هذا الرجل أنقذه وانتشله من حزنه ليتمسك بقميصه بقوة ويبكي على صدره معطيًا الموقف أكبر من حجمه، لم يقل كنان شيئًا، اكتفى بالتربيت على ظهره ووضعها في حضنه

ليدفن جسد الصغير بصدرة بينما واصل إخباره بأنه يحبه وأنه بجانبه، بالتفكير في الأمر الآن، كنان قد أدرك أن كارتال يبكي بسبب حياته بأكملها وليس بسبب هذا الموقف وحسب.

في تلك الليلة التي أُصيب فيها بالحمى سهر كنان بجانبه حتى الصباح، أعطاه الدواء ومسح جسده بقماشٍ باردٍ بكل لطف، حين ازدادت حالته سوءاً أخذهُ للمستشفى وبقي بجواره طوال الوقت، تلك الليلة التي كانت مليئةً بالتعب على الطفل الصغير كانت أيضاً ذكرى جميلة من الحب، كارتال ممتنٌ للمرض بسببها!

حين بلغ كارتال وإيلينا الثانية عشرة توفي كنان بشكلٍ مفاجئ، وبدأت الشائعات تدور حول كون زوجته سبباً في موته وأنها وضعت له السم في الطعام حتى تحصل على أمواله، لم تصدق إيلينا تورط أمها على الإطلاق، ولكن كارتال لم يبدِ أي رد فعل، فلم يكن يعرف عن هذه المرأة سوى أنه يسكن في منزلها، ولم تكن تعامله مثل كنان على الإطلاق، لم يكن يكرهها، ولكنها لم تقدم له شيئاً، ولا حتى ربع ما قدمه كنان له. كان يعد الأخير والده لكنها لم يعدها أمه قط.

بدأ التحقيق في الأمر، وشيئاً فشيئاً الحقائق كانت تقترب من كونها سممت زوجها فعلاً، إيلينا لم تصدق مطلقاً ولكن الحقد اشتعل في صدر كارتال لأنها كانت سبب فقدانه لعائلته مرةً أخرى.

في تلك الأثناء وبسبب احتجاج الأم لأجل التحقيق، أُجبر الطفلان على الانتقال لمنزل الوصي عليهما، كانت تلك المرة الأولى التي يلتقي فيها كارتال بأزار، على الرغم من كونه عضواً من عائلة ساروس لسنتين كاملتين ولكنه لم يلتقه قط ولا حتى في جنازة كنان. إيلينا عانقت عمها الذي انحنى لمستوى طولها بكل حب وضحكت باتساع لرؤيته، وقد مسح أزار بإبهامه على وجنتها مدغداً إياها لتضحك، ثم وقف ليمسك بيدها وينظر إلى الطفل الآخر ويسأل:

- ما اسمك؟

- كارتال.

- لست من العائلة، ولكن كنان يعدك كذلك، واحتراماً لموته سأبقىك في منزلي.

أوماً كارتال وجسده يرتعد للحظات لأن أزار كان النسخة المرعبة من كنان، كان يشبهه في الشكل تقريباً، يملك نفس لون العين الأزرق الذي تتميز

به العائلة بأكملها، ولكن عيني كنان المليئتين بالحنان لم تكونا تشبهان عيني أزار القاسيتين على الإطلاق. حدق إليه الأخير لفترة من الوقت قبل أن يطلب منهما ركوب السيارة ليأخذهما لمنزله، وكانت تلك المحادثة الأولى بينه وبين الرجل الذي يدعوه بعمه!

بعد ذلك، لم يرَ كارتال المنزل مطلقاً، انتهى التحقيق بإدانة الأم بقتل زوجها، وأصبح المنزل تحت رعاية أزار ليسلمه لابنة أخيه حين تكبر، كان يمر بذلك الشارع أحياناً ويحدق إلى المنزلين المتجاورين، في هذين المنزلين تيمم مرتين، كل تلك الأشياء وحقيقة خوفه من أزار ورغبته في الهرب منه وتفاديه صنعت الشخص الهادئ والصامت الذي هو عليه.

الحياة في منزل أزار كانت جيدة، مليئة بالتوتر والقلق من طرف الشاب ومحاطة بالحب من طرف الفتاة الشقراء الجميلة، على الرغم من أن كارتال كان يعامل كنان كوالده طوال الوقت، وأصبح ينادي أزار «عمي» كما تفعل إيلينا، ولكنه لم يتقبل مطلقاً حقيقة أن إيلينا أخته، وكما يحصل مع معظم الأشخاص الذين تجمعهم علاقة أصدقاء طفولة ويقعون في الحب بعد أن يكبروا، هذا ما حصل معه.

كان مغرمًا بإيلينا، هذه الحقيقة لازمتها طوال سنوات حياته في منزل أزار وأخفاها بحدز، بسببها كان يشتعل من الغيرة حين يرى شاباً يحدثها في المدرسة الثانوية، كان صغيراً في العمر، طفلاً يبدأ أول سنوات مراهقته، ولكن صورتها كانت تلازمه في كل مكان، وكان خائفاً من كونها قد تعطل عليه حياته، وقد لاحظ أنه استطاع التخلص من التفكير من هذه الصورة حين ينهك نفسه جسدياً، فاستأذن أزار ليسجل في نادٍ رياضي.

يومها دخل مكتبه ووقف أمامه بتردد، يريد أن يقول شيئاً ما ولكنه غير قادرٍ على صياغته، شيءٌ سخيّف كأنه يريد أن يقضي بعض ساعات الفراغ خارج المنزل، ولكن لم يكن بوسعه أن يتحدث بكل تلك البساطة لأن أزار يثير فزعه حتى دون أن يفعل شيئاً.

- أريد...

ابتلع كلماته قبل أن يقولها، نهض أزار من مكانه ليقف مقابلاً له، ينظر إليه من علو نظراً لفرق الطول بينهما، وضع يده على كتفه لترتجف أطراف أصابع الفتى الصغير وسأله:

- ماذا تريد؟

- كنتُ أريد أن أطلب منك...

تردد مجددًا ليبتسم آزار ويقول:

- تحدث.

أخبره بطلبه واكتفى الآخر بابتسامةٍ جانبيةٍ ونظرةٍ حادةٍ اخترقت روحه، ثم انسحب مبتعدًا وهو يقول له:
- افعل ذلك، أمنحك الإذن.

حين غادر انهار في غرفته مباشرةً، هل كان يعرف أنه يفعل ذلك لأنه يحب ابنة أخيه؟ بالتأكيد لا، كان حذرًا للغاية ألا يعرف آزار الأمر مطلقًا!

كل ذلك الخوف الذي يبثه آزار في نفسه لم يكن يعنيه على الإطلاق ما دام يعيش مع إيلينا تحت سقفٍ واحد، يتشاركان الطعام ويذهبان معًا في سيارةٍ واحدةٍ إلى المدرسة، كانا معروفين بالتوأم ساروس الغني، وعلى الرغم من أنهما لم يكونا توأمًا ولا أشقاء حتى، وعلى الرغم من أن الحالة المادية المرتفعة لعائلة ساروس لم تكن مثل كبار السياسيين أو مهندسي الذكاء الصناعي الذين يعدّون الأغنى، ولكنهما عُرفا بالتوأم الغني. آزار كان رجل أعمال ومدير ميثم، كنان كان رجل أعمال مهمًا للغاية، كارتال كان يملك إرثًا مجتمدًا منذ وفاة والديه، لذا كان هناك القليل من الصدق في تلك الجملة أيضًا. كان يرى آزار في أوقات وجبات الطعام الثلاث وفي بعض الأوقات الأخرى، وكان يستأذنه في حال أراد شيئًا ما ولو كان الأمر مربكًا بالنسبة إليه، ولكنه كان يعيش بسلام، لو تناسى موت والديه وكنان فقد كانت حياته مثالية للغاية، ولكن كل شيء تخرب حين بلغا السادسة عشرة من العمر وعلمت إيلينا أن والدتها مصابةٌ بمرضٍ خطيرٍ التقطته من جرثومةٍ في السجن، ورفض آزار رفضًا قاطعًا أن يدفع لقاء علاجها.

يومها صرخت إيلينا في وجه عمها، أخبرته بأنه شخصٌ سيئٌ وغير مراعى وأنه يكرهها، أخبرته بأنها لم تحترمه قط، اكتفى كارتال بالمراقبة خوفًا من أنه بعد أربع سنوات من عيشه في هذا المنزل سيرى جانبًا غاضبًا من آزار، ولكن كل ما فعله الأخير كان ابتسامة باردة صغيرة وعيناه الباردتان كانتا تبدوان كقطعةٍ من الموت. نظر إلى إيلينا مباشرةً ونقر بإصبعه على سطح مكتبه وقال جملة واحدة:

- افعلي ما تريدين ولا تتحدثي معي في الأمر مجددًا حتى لا أُحطم عظام جسدكِ وأبقيكِ في المستشفى بجانبها.

اتسعت عينا الفتاة بخوف وصدمة من كلمات عمها الذي تحبه ليتابع بهدوء:

- لا تخافي، سأدفع تكاليف علاجكِ، ولكني لن أدفع شيئًا لقاتلة أخي.

غادرت إيلينا مكتب عمها وجسدها يرتجف من الخوف والصدمة، همَّ كارتال باللاحاق بها ليووقفه بقوله:

- كارتال.

التفت له سريعًا لأنه لم يكن يناديه باسمه بشكلٍ مباشرٍ قط. نظر إليه وتابع:

- إن قدمتَ لها المساعدة بأي شيء، أي شيء (شدد على الكلمة بشكلٍ

جعل كارتال يبتلع ريقه وتابع) سألغي وصايتي عليكِ وأضعكِ بدار

الكمس للرعاية، وسأحرص بشكلٍ شخصي على جعل حياتكِ جحيماً

هناك، سأستولي على أموال والديكِ المجمدة وستخرج من هناك لتجد

أن العالم يبصق عليكِ لأنك مجرد مشرد يتيم لعين، سأدمر حياتك.

- لن أساعدها.

خرجت من بين شفتيه دون وعي، كان مرتعبًا بشدة، جسده ينتفض،

تلك الأعراض التي يعانيتها مرضى الفوبيا حين يجبرون على مواجهة ما يثير

خوفهم، كانت نفس الأعراض التي يعانيتها كارتال، كان مريضًا بالخوف من

آزار، في تلك اللحظة تأكد من هذا!

اقترب آزار منه، ربت على رأسه كأنه كلبه الأليف وأضاف بابتسامة:

- لتفعل إيلينا ما تريد، لن أوقفها مطلقًا، ولكن لن أسمح أن يخرج من

منزلي ما يساعد تلك المرأة للبقاء على قيد الحياة.

عند تلك الكلمات وعلى الرغم من كونه في السادسة عشرة من عمره، فقد

راوده شعورٌ غريب، ومضة اشتعلت في ظلام عقله وانطفأت على الفور، فكرةٌ

خُلقت وماتت سريعًا لأنه لم يملك أي دليل عليها، سؤالٌ طرحه على نفسه

لأول مرة، كيف يمكن لأم إيلينا التي اتبعت أنظمةً غذائيةً صحيةً طوال حياتها

الفارهة أن تكون الشخص الوحيد الذي يتأثر بجرثومةٍ وسط سجن النساء

الذي يُعد من أكثر الأماكن نظافةً في لوكيدي وتعتني به روبوتات حديثة؟ وتلك

الفكرة التي غابت عن عقله سريعًا كانت منطقية للغاية مع نظرات الحقد التي

يراها في عيني آزار، أن له يدًا في دخول تلك المرأة للمستشفى، وأن تهديده

إيلينا كان بسبب غضبه لأنها تحاول الوقوف ضده أكثر من كونها تحاول أن تنقذ قاتلة أخيه.

الآن بعد مرور ثماني سنوات، تلك الفكرة كانت حقيقية للغاية بالنسبة إليه. لأن إيلينا حين تورطت في أمر بيع المواد اللاقانونية كانت مجرد طفلة، وكان من المستحيل أن تختفي هذه التصرفات عن عيني آزار اللتين تلتقطان كل شيء، ولكنه تركها تفعل ذلك، لأنها وقفت ضده وهي ابنة أخيه الغالية، فقد أراد أن يرببها بإدخالها إصلاحية الأحداث لسنتين، بذلك ستتعلم وتتلقى درساً أنها لا يمكنها القيام بما تريده في هذا العالم، بهذا يفرض سلطته الأكبر عليها بما أنه مدير المكان، هذا ما فكر فيه آزار، والآن بالتفكير الأعمق في الأمر يبدو له منطقياً أكثر لأن الوقت الذي أمسكت فيه إيلينا كان مثالياً للغاية حتى يُحكّم عليها بسنتين وحسب، لا أكثر ولا أقل، لذلك كان يشعر أن له يداً في إخبار السلطات المسؤولة عنها.

حقده على آزار وخوفه منه ينموان في قلبه كلما فكر في الأمور على هذه الشاكلة، إيلينا مكثت في ألكمس قبل أن تفارق الحياة.

يتذكر تلك الليلة كأنها حصلت البارحة، عالقة في ذاكرته كقطعة من الجحيم، كان عائداً في وقت متأخر إلى المنزل بعد دوام طويل في الجامعة وقضائه وقتاً طويلاً آخر في النادي الرياضي، وجد آزار ينتظره في الصالة الرئيسية للمنزل، يمسك فنجان قهوة كبيراً يشرب منه وينظر من النافذة نحو الأمطار المتساقطة، ألقى عليه تحية المساء وهم بالصعود إلى غرفته كما يفعل بالعادة، كان يظن أنه لن يجلس معه حتى وقت العشاء ولن يحظيا بأي محادثة مثل كل يوم، ولكنه ناداه باسمه وطلب منه التقدم نحوه، فعل ذلك دون أن ينطق بأي كلمة، بقي عمه يعطيه ظهره لفترة طويلة قبل أن يضع الفنجان على حافة النافذة ويلتفت نحوه وهو يقول:

- لدي أخبار لك.

- ما الأمر؟

سأله باستغراب وهو يظن أن الأمر متعلق بجامعة أو النادي الرياضي أو أي نشاط آخر يمارسه، كان يعرف أن الكثير من الأشخاص يملكون علاقات مع عمه، لذا كثيراً ما كان يسمع منه أشياء تخصه، على غير العادة كان عمه يحمل نظرة حزينّة على وجهه، وكان يشد على قبضة يده بقوة، كان غاضباً، بطريقة ما أدرك كارتال ذلك لكنه لم يتجرأ على سؤاله عما يغضبه.

- إيلينا قد ماتت.

نطق بها أخيرًا ليضيق كارتال عينيه بغير فهم، حالما شعر أن عقله حلل
الجملة ضحك بسخرية ورد:

- أعد قول ذلك من فضلك.

- إيلينا قد ماتت، رحلت، لم يعد لها وجودٌ في هذا العالم.

- هذه نكتة سيئةٌ عمي، إن كنتُ قد فعلتُ شيئاً أزعجك فأخبرني من فضلك.

قالها بجدية وكأن موت إيلينا كان شيئاً خارج نطاق التصديق، شيئاً لا
يمكنه أن يفكر فيه حتى.

- إيلينا قد ماتت صباح هذا اليوم، انتحرت.

رماها له وتوجه خارجاً، كان وجهه خالياً من التعابير، لم يكن يبكي على
ابنة أخيه الوحيدة، الفتاة التي كانت تحبه بكل ما لديها من شعور ووضعها في
ذلك المكان، لم يكن هناك حزنٌ على وجهه، عيناه الباردتان كانتا مختلفتين
عن العادة قليلاً، ولكن لم تكونا غارقتين في الحزن.

«ماتت؟ انتحرت؟ هراء، لا يمكن!» ظل يكرر بلا تصديق حتى ابتلع ريقه
أخيراً ونظر إلى المكان الذي كان يقف به عمه، أفلت حقيبتته من يده ووضعها
على وجهه يمسح عليه بقوة وهو يكرر «ماتت، ماتت، رحلت!»

انهار بعدها على الأرض والطفل الصغير الذي احتمل كل شيء انفجر
بالبكاء والصراخ، لأول مرة ينهار وحده بهذه الطريقة المرعبة ولا يجد شخصاً
يمسك به ويخبره بأن يتماسك ويواجه الموقف بقوة أكبر، راقبه آزار من أعلى
الدرج ثم دخل لمكتبه معطياً إياه بعض المساحة، ومن البداية حين قال آزار
تلك الكلمات وسار معطياً إياه ظهره كان من المتوقع أنه لم يكن يرغب في
سماع شكواه من حياته القاسية أو حتى مسح دموعه واحدةً من دموعه.

بكى بصوتٍ عالٍ، كان الطفل الصغير الذي فقد أمه وأبيه، وكان نفس
الطفل الذي فقد والده الآخر، بكى وكأن حياته تعتمد على هذا، وعندما يتذكر
كل تلك اللحظات الآن فإن كل تلك الدموع التي ذرفها وردة الفعل التي أبدتها
كانت السبب الرئيسي في جعله يستوعب الصدمة، لو أنه انهار وحسب دون
أن ينزل دموعاً واحدة، فكل مشاعره ستتجمد عند تلك اللحظة، ولكنه منح
نفسه حرية البكاء، منحها ذلك الحق وأخذته بقوة، الغصة التي تشكلت عند
حلقة كانت أكبر بكثير من أن يقدر على ابتلاعها، صوت شهقاته كان يعبر عن
ضيق تنفسه من ذلك، أنه غير قادرٍ على المتابعة حتى بأخذ أنفاسه، صوت

النشيج المؤلم الذي يخرج من حلقه كان يخبر كل من حوله وكل من يسمعه بأنه يتألم للغاية، أن صدره لا يحتمل هذا الفقد، ولكن لم يكن هناك أحدٌ يسمعه، وكارتال ساروس فَقَدَ أَعْلَى ما يملكه في تلك الليلة!

- كارتال، كارتال...

صوتٌ عالٍ ظل يناديه حتى استيقظ من نومه بعينين متسعيتين بفزع، وجد هوشيار أمامه يحرك جسده بقوة حتى يوقظه، وجهه كان رطبًا، مما دفعه ليرفع يده بتردد ويضعها على وجنته، ونعم، كان يبكي وهو نائم لمجرد تذكره الأمر، وهوشيار دخل الغرفة حين حان موعد النوم ليرى جسده المرتجف وبكاءه في أثناء نومه ولم يستطع أن يمنع نفسه من إيقاظه، حين فتح عينيه لم يتخيل هوشيار أن هذه العينين الواسعتين المليئتين بالبرود واللامبالاة من الممكن أن تحملا بداخلهما كل هذا الحزن.

أعطاه كأس ماء ليعتدل في جلسته ويمسح وجهه بأكمام كنزته السوداء، مسح وجهه بقوة حتى شعر أنه جرحه ثم أخذ كأس الماء منه وهو يقول بصوتٍ خافت: - شكرًا.

لم يجبه هوشيار، اكتفى بالنظر إليه لفترةٍ من الوقت في حين نهض كارتال من مكانه وهو يقول:

- آسفٌ لإزعاجك، سأمشي قليلًا في الخارج.

- حان وقت النوم منذ ربع ساعة، ستكون الحديقة غارقةً في الظلام.

- لا بأس. لن أبتعد عن المبنى.

هم بالخروج ليستوقفه هوشيار بقوله:

- إن كان هناك شيءٌ تريد قوله سأستمع لك.

- لا، شكرًا لك مجددًا.

أخبره بصدق، كان شاكراً للغاية أنه أيقظه من النوم ولم يترك أحلامه تأخذه لأبعد من ذلك، للشجارات التي خاضها مع آزار والوجه المرعب الذي قابله به الآخر ليخرسه تمامًا، كان شاكراً لأنه لم يضحك عليه أو يشمت به ولأنه أخبره بأنه سيستمع له بكل صدق، كان شاكراً للغاية وكان مستاءً للغاية أيضًا مما دفعه ليخرج من باب المبنى ويجلس على الأرض يحدق إلى الظلام دون أن يقول أي كلمة وأفكاره ظلت تتلاعب به حتى الصباح!

6

المنبوذ

انقضى شهرٌ على بدء العام الدراسي، الشتاء على الأبواب وأعلنت ألكمس أن الأسبوع القادم سيكون بالجرد الشتوي، وازداد العمال في المستودع أكثر من قبل.

كانت الأيام تمر بهدوء مع القليل من المشكلات، ولكن الأمور كانت على ما يرام، الأشياء الصغيرة التي كانت تحصل لم يكن من الممكن أن تعكر الصفو الذي عاش به الجميع دون أحداث مثيرة للخوف أو المشكلات.

الجميع تمنى أن تنقضي الأمور هكذا، ولكن كان ذلك مستحيلًا، الحادثة الجديدة التي حصلت في ذلك اليوم زعزعت كل السلام الذي تمنى المقيمون أن يعيشوا فيه، أو على الأقل تلك المجموعة التي كانت غارقة في المشكلات طوال الأيام الماضية.

في عصر ذلك اليوم كان الجميع كالعادة في قاعة الطعام، هوشيار وإيلاف جلسا إلى طاولة الإخوة التوأم، وبعد دقائق دخل بسام برفقة منير الذي كان يعرج قليلاً بعد عملية بتر الإصبع التي أُجريت له.

كانوا يتحدثون بأريحية ويضحكون بصوت عالٍ على النكات التي يلقيها منير، وكان ذلك الأخير يخرج الفكاهات من بين شفثيه بلطافته المعتادة، الجو المرح الذي كان يضيفه على الجميع كان كفيلاً بجعله مقرباً لهم، ناهيك بأنه كان زميل دراسة مقرباً شارك (بسام) و(إيلاف) كل أوقات الاستراحات في المدرسة.

وسط كل تلك الأجواء السعيدة كان هاري ومجموعته على طاولة بعيدة، وكارتال في مكان ما يتناول طعامه بهدوء، وكل ذلك الهدوء الذي كان يحيط بالمكان تدمر فجأة حين انهار أحد المقيمين أرضاً بعد أن أوقع صحنه ليتكسر إلى أجزاء كثيرة ويحل الضجيج ليسكت كل الأصوات.

أنظار المجموعة تحولت إليه، وخلال ثانية استطاع عقل هوشيار أن يحلل ما رآه وأن يعرف أن الشخص المنهار أرضاً كان (فراس)!

الزجاج والطعام المسكوب على الأرض كان حوله، ولكنه على الرغم من ذلك كان يتلوى بألم وهو يضغط بيده على صدره، يعض على شفتيه محاولاً كبت آهاته ثم يصدر منه أنينٌ عالٍ وهو يبصق الدماء لتلوث وجهه وكنزته البيضاء.

انتفض هوشيار من مكانه متجهًا إليه، تبعه بسام ثم إيلاف، الجميع وقفوا عاجزين دون قدرة على معرفة أي شيء يحصل أمامهم أو الشيء المناسب لفعله.

- فراس!

كان يكرر نداءه بغير وعي، كل المقيمين في المكان غرقوا في الصمت والصدمة من الموقف الغريب.

وسط الجميع كان هناك الشاب الأكبر من بعد فراس، الشاب الذي درس خمس سنواتٍ من الطب قبل أن يُجبر على التوقف ويدخل إلى هنا، الشاب الذي قضى الكثير من الوقت في المستشفيات يراقب الأطباء لرؤية طبيعة عملهم، كان على الأقل الأكثر معرفةً بما يدور حوله، الأكثر تماسكًا بالموقف، الشخص الأكثر قدرة على إعطاء رد فعلٍ منطقي تجاه ما يحدث.

أبعد الجموع التي احتشدت حتى وصل إلى المنتصف وانحنى على الأرض بجانب فراس، كان هوشيار يمسك به ليدفعه بقوة وهو يقول:

- لا يمكنك أن تمسكه هكذا، أنتَ تسبب اختناقه بالدماء التي يبصقها.

حالما سمع تلك الكلمة علم أنه أقل إدراكًا ليعرف ما الذي عليه فعله، فابتعد عنه مذعورًا، وضع كارتال يده خلف ظهر فراس وسوّاه باعتدال ثم نظر إلى لؤي وقال بصوتٍ عالٍ:

- ما الذي تنتظره؟ اجلب أطباء القسم الطبي.

ركض لؤي وبسام حتى القسم الطبي، والحركات التي بدأ كارتال يقوم بها كانت تدل أنه يعرف ما الذي يقوم به، مما دفع هوشيار لينسحب تمامًا ويراقب ما يحصل بعينين متسعيتين من الصدمة والخوف، بينما الجميع لم يصدق أن

نوبة الانهيار التي حصلت هذه قد حدثت مع الشخص الذي يعامله الجميع كشيطان، بدا أنهم عرفوا فجأة أنه إنسان يتعب ويمرض وينهار أرضاً أيضاً. كان كارتال وحيداً مع مريض لأول مرة في حياته، أطراف أصابعه كانت ترتجف، لم يكن لديه أي أدوات ولم يكن حوله أي روبوت أو جهاز قياس، ولم يكن بجانبه طبيب خبير يرشده لما يفعل، اضطر إلى أن يقيس معدل ضربات القلب باستخدام أصابعه، ويحاول أن يقدر الأشياء الأخرى بنفسه، أخيراً عاد لؤي وبسام سريعاً وهما يحملان ناقلة وخلفهما مجموعة من أطباء وطبيبات وممرضين من القسم الطبي.

حين انتبه كارتال للناقلة توقف عما كان يفعله، حمله من قدميه ونظر ليجد هوشيار على الجانب الآخر يحمل قائده من أكتافه ومن الوسط قفزت أمل سريعاً لتساعد على جعل ظهره مستوياً، وضعوه على الناقلة التي يحملها لؤي وبسام، وقامت إحدى الطبيبات بغرس إبرة في يده وهي تسمع تقرير كارتال عن الوضع وإضافة دواء على الفور بينما تحرك لؤي وبسام لنقله للقسم الطبي مجدداً، وساد الصمت وسط قاعة الطعام بشكلٍ مرعبٍ لم يحصل من قبل...

جلس كارتال على الأرض وأخذ نفساً طويلاً ثم نظر إلى يديه المرتجفتين الملوثتين ببعض الدماء، نظرات الجميع كانت إليه، المقيمون من عمر عشر سنوات حتى عشرين كانوا يحدقون إليه بصدمة، بالإضافة لمجموعة هاري التي ظلت بعيدة والصدمة تغطي ملامحها ومجموعة هوشيار الخائفة.

تقدم منير من كارتال وأعطاه كأس ماء، ثم فعل الأمر نفسه مع هوشيار، لم تكن قدما هوشيار قادرتين على حمله لتقوداه للقسم الطبي، بالتأكيد كان قلقاً للغاية وكان من المفترض أن يذهب على الرغم من علمه أنه لن يفعل شيئاً مفيداً، لكن قدميه لم تقدر على حمله على الإطلاق.

بعد لحظات عاد لؤي وبسام وقال الأخير على الفور:

- الدخول للقسم الطبي ممنوع حتى ينتهوا من الأمر خشية أن يكون فيروساً قابلاً للعدوى.

- حقاً؟ هل فكروا في هذا الآن؟ حالته الصحية كانت سيئة منذ مدة طويلة ولكنهم لم يفعلوا شيئاً.

صاح هوشيار بغضب وتشنُّجٌ قدميه جعله يترنح ليستند إلى إحدى الطاولات وتمسك به إيلاف على الفور، ليضيف كارتال:

- لقد انهار من فترةٍ قصيرة ولكنهم طلبوا منه العودة إلى غرفته دون أن يفعلوا شيئاً!

- قاموا ببعض التحاليل ولم يفعلوا شيئاً آخر لأن (فراس) لم يسأل عن الموضوع كثيراً.

قال بسام ليضرب هوشيار على رأسه بقوة وتحولت الأنظار كلها إليه، كان البؤس يغطي ملامحه، وبعض الدموع تصارع على جفنيه، ولكنه لم يسمح لها بالنزول وقال بسرعة:

- لم يهتم لصحته يوماً، كان يجب أن أسأل عن الأمر أكثر، ولكنني انشغلتُ بالجامعة اللعينة ونسيتُ الأمور الأكثر أهمية.

- توقف عن النحيب، سنعرف كل شيء على الأكثر في المساء.

قال كارتال بجدية ثم توجه للطاولة مجدداً ليأخذ صحنه ويعود لتناول الطعام، ما زال يرتجف، ما زال مرتعداً، ولكنه كان متماسكاً أكثر من الجميع، أكثر من هاري نفسه.

- كيف فعلتَ كل هذا؟

صوت منير ذو البحة الواضحة قاطعه عن إكمال طعامه، لينظر إليه ويتابع الشاب:

- أعني... تلك الإسعافات الأولية وهذه الأمور الطبية، والهدوء في مواجهة الأمر.

- أليس هذا ما يفعله الأطباء عندما يواجهون أمراضاً أخطر من هذا بكثير؟

- هذا ما يفعله الأطباء، ليس الحمقى في قمصان بيضاء وقبعاتٍ شمسية!

الصوت الساخر لهاري جعل الأنظار تلتفتت إليه، كانت أول جملةٍ يقولها وتعابير وجهه كانت طبيعية للغاية وكأن شيئاً لم يحصل، لم يستطع كارتال أن يتجاهل شعور الاحتقار بداخله، لأن أول شيء قاله كان بدافع السخرية. حدق إليه وكان من الواضح أنه منزعجٌ من تدخله غير المرغوب فيه وسط الفوضى التي حصلت، ليبادل هاري نظرات التحدي مما دفعه ليتنهد ويقول:

- هل تجد أن الوقت مناسبٌ لسخريتك؟

- لم لا؟

تحدث باستفزاز لينهض كارتال متوجّها نحوه، وقف أمامه مباشرةً وهذه المرة لم يكن هذا الشجار أمام العاملين في المستودع وحسب، وإنما أمام كل المقيمين في الكمس، نظر إلى عينيه بحاجبين معقودين وأجاب:

- لم لا؟ لأن هناك شخصًا ما كان على وشك الموت على تلك البقعة بالذات، وأنت تقف على بعد ثلاثين مترًا منها وتسخر؟!

- لم أعرف أنك درامي كارتال.

- سأخبرك أمرًا واحدًا؛ ابق بعيدًا عن طريقي حتى لا أحطم أسنانك الجميلة تلك.

صفر بسام بسخرية من التهديد الذي سمعه على الرغم من أن ذلك لم يكن مناسبًا للجو العام الذي يحيط بالمكان، بينما ابتسم هاري ورد:

- هل يزعجك أنني أذكرك بحقيقة أنك مجرد سج...

كاد أن ينطق بالحقيقة التي لم يعرفها سوى أقل من أربعين شخصًا من أصل ألف متجمعين بتلك القاعة، لكن كارتال أخرسه على الفور وهو يمسكه من ياقة كنزته، شد عليها بقوة مسببًا اختناقه، ولكن هاري لم يتوقف عن النظر إليه بتحدّ.

- توقف عن النطق بالهراء طوال الوقت.

- لن أتحدث، إنه سري أيضًا!

قالها بابتسامة جانبية وجدها كارتال بغیضةً للغاية، ليفلته ويتوجه خارجًا، فتح باب قاعة الطعام وأنظار الجميع كانت خلفه، وقبل أن يخرج ويغلقه قال أخيرًا:

- أنا طبيبٌ أيضًا، كانت تفصلني سنتان عن التخرج في كلية الطب، وقوطعتُ حتى آتي إلى هنا، لذلك أنا أملك هدوء الأطباء، هل هذا كافٍ لإبقاء فمك مغلقًا؟

رفع هاري حاجبيه باستغراب ونظرات الصدمة علت الوجوه، ولا سيما هوشيار ومجموعته، وإيلاف بشكلٍ خاص تطلعت له غير مصدقة أن هذا الشاب كان طالبًا جامعيًا يدرس بحلم إنقاذ حياة الآخرين!

2

لم يستطع النوم على الإطلاق تلك الليلة، بل بقي جالساً في غرفته لوقت متأخر، كارتال كان غافياً بينما كل المشاعر كانت تسبب استيقاظ الآخر، الألم، والسخط، والغضب...

في النهاية كان كارتال ذا ردة الفعل الأكثر منطقية، قام بما يجب القيام به، ترك الأمر للمختصين، وتوقف عن إهدار قوة أعصابه، أما الآخر فكان يعاني القلق المزمن الذي سيسبب له الأرق حتماً في مواقف كهذه.

نظر إلى شريك غرفته الذي نام بشكلٍ طبيعيٍ للغاية، معرفته أنه طالب للطب كانت صدمة، أدرك أنهما تشاركا الغرفة ولم يعرف عنه شيئاً، لم يتحدثوا إلا قليلاً فيما مضى، أدرك أنه جاهلٌ تماماً لحقيقة الشخص بجانبه سوى كونه ابن أخ آزار، وعلى الرغم من أنه لم يحبه من البداية، فإنه لم يكرهه ووجد نفسه فجأة يشعر بالشفقة على مشروع طبيب دخل إلى هنا لسبب ما، وبخاصة أن قصة ابتزاز فتاة كانت تافهةً للغاية وغير مقنعةٍ على الإطلاق.

تنهد رامياً ظهره المرهق بكل التفاصيل على سريره وحدق إلى السقف المظلم بعينين جامدتين وتمتم بلا وعي: «هذا المكان سجن لعين».

فقط أراد الخروج من هنا، طوال الوقت تمنى هذا، ولكن الآن هو قلقٌ من حقيقة أن (فراس) عالقٌ في هذا المكان، ولم يستطع أن يمنع نفسه من الشعور بالانزعاج لأن هذا المكان لا يتعامل مع السجناء بشكلٍ عاديٍّ يسمح لهم بالخروج بعد انقضاء مدة حكمهم، بل يعطيهم برنامجاً إلزامياً لالتزام القوانين، ونظام النقاط لا يسمح لأحد بالخروج ما لم يطبّق هذا البرنامج بحذافيره.

لم تكن مشكلته مع هذا المكان أنه يمنحه توصيف أنه يتيم ليس لديه من يعتني به، كان يملك مشكلةً أكبر مع حقيقة هذا المكان، نفس الحقيقة التي جعلته في أحد الأيام القديمة الماضية يدخل مكتب آزار ويسأله عنها، وقد كان ذلك أكبر خطأ ارتكبه في حياته.

استطاع النوم في وقتٍ متأخر، واستيقظ في الصباح حين شعر بكارتيال يفتح الخزانة ليبدل ملابسه ليخرج للرياضة قبل استيقاظ أحد، العزيمة التي يملكها ذلك الشاب والتي تجعله قادرًا على فعل ذلك كل صباح دون كلل كانت مثيرةً للإعجاب بالفعل.

- أعتذر، هل أيقظتك؟

نهض من مكانه ليضغط على رأسه بألم مما دفع الآخر ليتابع:

- ما زال هناك ساعة ونصف حتى وقت جامعتك، يمكنك العودة للنوم.

وتوقف عن الضغط على رأسك لأن هذا سيجعل الألم أسوأ وحسب.

- سأذهب للقسم الطبي.

قالها وهو يقف أخيرًا، أخذ بعض الملابس من خزانته ثم توجه للخارج ليعرف كارتال أنه سيستحم أولاً، كان هذا الوقت مثاليًا قبل أن يبدأ المقيمون في المجمع السادس بالتزاحم حول المكان لصناعة قهوة الصباح أو الاستحمام قبل الذهاب للمدرسة.

استحم بمياهٍ باردة انسابت على جسده بسلاسة ولم تأخذ معها شيئًا من أفكاره كما توقع أنها قد تفعل، بدّل ملابسه ونزل للقسم الطبي سريعًا، هذه المرة لن يسمح للأمر بالمرور بسهولة، سيجبر الأطباء هناك على القيام بكل الفحوصات لفراس، هذا من حق كل شخص في آلكمس؛ أن يحظى بالرعاية الصحية الأعلى سواء طلبها أم لم يفعل.

دخل القسم ليجده في أشد أوقاته هدوءًا، كان هناك طبيبٌ واحدٌ يعمل بالمناوبة وممرضتان وممرض، الأخير كان يجلس على كرسي أمام حاسوبٍ كبير يعرض البيانات الطبية لكل المقيمين، توجه هوشيار نحوه وسأل:

- أين سرير الشاب الذي جلب إلى هنا البارحة؟

- تعني (فراس)؟

عرفه الممرض على الفور ليومئ له ويرد:

- أجل، لم يسمحوا لي بالقدوم البارحة، كما أريد أن أعرف الحالة الصحية له.

- أيها الطبيب، إنه هنا للسؤال عن فراس.

رفع الطبيب نظره من الجهاز اللوحي الموضوع بيده وحك رقبتة بتعب وهو يجيب:

- بالتأكيد لم تعلم، فقد كنت نائمًا حين حصلت الجلبة الثانية.

- ماذا حصل؟

سأله والقلق يتصاعد في صدره ليجيب:

- لقد ساءت حالته في الليل وانهار تمامًا، قمنا بنقله إلى مستشفى لوکید

المركزي وإحدى الطبيبات معه هناك، لا أحد يعرف ما مرضه، لذا قمنا

بتعقيم كامل للمكان. كانت ليلةً طويلة!

أنهاها وهو يتثائب وكل التعب الذي كان يشعر به في مفاصله لم يكن قابلاً للمقارنة بشعور هوشيار العميق بالصدمة مما سمعه، فراس انهار! وتم نقله للمستشفى!

لقد أراد أن ينقل بالفعل حتى يقوم بفحوصاتٍ أكثر ويرى ما المشكلة معه بالضبط، ولكن أراد أن يحصل ذلك بشكلٍ بسيطٍ وهادئٍ، ليس بانهيائه مرةً أخرى في منتصف الليل.

- أريد الذهاب لرؤيته!

- لا يمكن؛ أنتَ لستَ قائده.

- هو قائدي، الأمر سيان.

هز الطبيب رأسه نفيًا ورد:

- لا يمكنني أن أساعدك؛ إنها القوانين!

نظرات الانزعاج غطت وجهه ليتابع الطبيب:

- حالته ربما لم تكن بهذا السوء من البداية، ولكنه أهمل نفسه كثيرًا، هو نفسه لم يرغب في التعافي.

أنهى الطبيب جملة ثم عاد لجهازه اللوحي معلنًا انتهاء الحديث، شعر هوشيار بالسخط والغضب ولكنه لم يستطع أن يلومه، غادر المكتب الطبي وحالما أصبح في القاعة الرئيسية في الطابق الأرضي شعر بجسده لا

يستجيب له، استند بظهره إلى الجدار وضم قبضة يده بقوة محاولاً تمالك نفسه، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع...

وجد كارتال في وجهه، الشخص الوحيد الذي كان مستيقظاً في هذا الوقت، نظر إليه كارتال باستغراب قبل أن يقترب منه بسرعة وهو يقول:

- ما الأمر؟ هل أنت بخير؟

- نقلوه إلى المستشفى!

كانت الجملة الوحيدة التي قالها هوشيار قبل أن يجلس على الأرض ويتابع:

- لم يسمحوا لي بالذهاب لرؤيته.

- اهدأ، سيحل الأمر.

قالها كارتال بهدوء ولكن هوشيار كان خائفاً بحق ليصيح كارتال باسمه بصوت عالٍ، انتفض هوشيار عند ذلك ليتابع كارتال:

- هل أنت طفلٌ لتنهار عند أي موقف؟ انهض بحق الجحيم، سأخبر عمي ليسمح لك بالذهاب إلى المستشفى.

حدق إليه بنظراتٍ طويلة قبل أن يتمالك نفسه وينهض مستنداً إلى الجدار بينما يقف كارتال مقابلاً له بتلك العينين الهادئتين خاصته. كارتال كان قوياً، ولم يكن من النوع الذي يقدر ضعف الآخرين كثيراً، بل كان ينزعج حين يرى شخصاً ينهار من أي موقف، تنهد أخيراً وقال:

- هل تريد أن أوصلك إلى الغرفة؟

- لا، أنا بخير.

قالها هوشيار بهدوء ثم نظر إليه وتابع:

- شكراً لك كارتال.

- لا بأس.

أجابه ثم تركه في مكانه ومشى مبتعداً عنه، نظر إليه هوشيار باستغراب، لم يشعر أن كارتال الذي رآه في آخر يومين مختلفٌ كثيراً عن كارتال الذي يعرفه؟ أو الذي ظن أنه يعرفه، كارتال الذي وضع تحليلاتٍ عن شخصيته في أول لقاءٍ بينهما، أنه متكبر أو مجرد وغد وحسب... كل تلك الأشياء لم تكن صحيحة حقاً! لأنه يشعر أنه يرى النسخة الحقيقية من كارتال الآن!

3

حين أصبح كارتال بعيدًا بما يكفي حتى لا يراه هوشيار أطلق تنهيدةً طويلةً تعبّر عن استيائه، واصل ممارسة الرياضة في الحديقة لساعةٍ أخرى قبل أن تمتلئ بالطلاب، لمح (إيلاف) من بعيد تقف بجانب الشاب الأسمر والآخر الذي يعرج، لم يعرف الكثير عن منير سوى أنه كان في المستشفى لأسابيع طويلة قبل أن يعود بهذه الهيئة والجميع قد رحب به، كان لطيفًا ومرحًا ومحبوبًا، هذا كل شيء.

أراد أن يذهب لها ويسألها إن كانت قد عرفت شيئًا آخر عن إيلينا، لأن موقف انهيار هوشيار ذكّره بنفسه بطريقةٍ ما، ولكنه قرر أن يؤجل الأمر حتى يراها في الخدمة الاجتماعية، لأن (بسام) سيكون ملتصقًا بها طوال الوقت الآن، بحلول هذا الوقت كان من المفترض أن عمه قد وصل لآلكمس، كان يمكنه أن يتأكد بالذهاب للمدخل ورؤية إن كانت سيارته هناك، ولكنه قرر أن يختصر الوقت ويصعد إلى مكتبه فورًا، أراد أن يأخذ منه الإذن ثم ينزل ليخبر هوشيار قبل ذهابه للجامعة.

أخذ المصعد نحو الطابق الأخير، توقف أمام مكتب عمه ورفع يده ليشعر بتردده من القيام بهذا، في كل مرة أراد أن يسأل عمه عن شيء ما كان يملك هذا التردد في قلبه، وفي معظم المرات انتهى الأمر على ما يرام، ولكنه لا يستطيع أن يمنع هذا الخوف بداخله، منذ خرج من منزل كنان ودخل منزل أزار كان هذا الشعور بداخله!

طرق الباب أخيرًا وسمع الصوت على الجانب الآخر يأذن له بالدخول، حين وضع يده على مقبض الباب راوده شعورٌ غريب؛ أن عمه بالتأكيد رآه من كاميرا مراقبة موجودة في مكان ما، ولكنه كان يستمتع بقلقه وتردده، كان مدركًا حتمًا أن كارتال يعاني فوييا لا منطقية من التعامل معه.

خطا إلى داخل المكتب والعرق يتصبب على جبينه من ركضه طوال فترة الصباح، لينظر إليه آزار من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه بانزعاج ويسأل:

- لم لا ترتدي الملابس الموحدة؟

- الكنزة ضيقة وغير مناسبة للرياضة، الجميع يعرف هذا لذا لا يستغربون أنني لا أفعل ذلك!

- ماذا تريد؟ هل عرفتَ شيئاً من هوشيار؟!

- في الحقيقة، بدأتُ أعرف بعض الأشياء وأحاول ربط الأمور ببعضها. (أجابه بصدق ثم تابع بتوتر) أظن أن هوشيار يعرف بعض الأمور أكثر فقط من كون هذا المكان مجرد سجن.

- افترض أنك لم تعرفها بعد، لو حصل ذلك لما وجدتُك واقفاً أمامي بكل هذا السلام!

- عقد حاجبيه باستغراب من كلام عمه قبل أن ينظر إليه باضطراب ويسأل: ماذا تقصد؟

- وراء كل عملٍ مميز جانبٌ مظلمٌ مخفي، هذا ليس غريباً.

- أنتَ تقصد أن هذا المكان يملك جوانبه المظلمة وأن هوشيار يعرفها؟!

- لا تتحامق كارتال، هذا كان سبب جلبي لك من البداية وأنتَ تعلم هذا، ماذا تريد الآن؟

تجمد كارتال مكانه للحظات حين سمع ذلك، لم يكن الأمر متوقعاً بالنسبة إليه، وحقيقة الأمر، آزار كان يستضعفه للغاية، يعلم أنه ذكي كفايةً ليكتشف ما يعرفه هوشيار، ولكنه يخاف منه بالقدر الكافي الذي يجعله صامتاً عن الحقيقة حتى لو عرفها.

لم يرد منه أن ينتبه لتشتته ذاك، فتابع:

- في الحقيقة، فراس دخل المستشفى ليلة البارحة بعد منتصف الليل، وهوشيار أراد أن يطلب الإذن لزيارته في المستشفى.

- إذًا؟

- أنا أطلب الإذن بدلاً منه.

قالها بتوتر ليبتسم آزار ويرد:

- هذا مرفوض كارتال.

- إنه قائده، وهو يعزه، يجب أن تسمح له!

- لا، لا يجب عليّ فعل أي شيء، هل كنتَ تظن أنني سأوافق إن أتيت إليّ؟

ابتسم كارتال بسخرية وحرك رأسه نفيًا وهو يرد:

- بالطبع لا، أنا لستُ مختلفًا عنه، عشتُ في منزلكَ بضع سنوات وهو

عاش في ميمتكَ بضع سنواتٍ أيضًا، أنا لستُ ابن أخيكَ في النهاية!

- هل ستكمل الجملة وتذكرني أن ابنة أخي كانت صغيرةً جميلة ماتت

لأنني لم أساعد أمها القاتلة وتجاوزت القانون لتدخل الكمس وتنتحر؟!

قال آزار وهو يحرك كرسيه لليمين واليسار بملل ثم نظر إليه وتابع:

- لقد وفرتُ عليكَ قول هذا لذا لا تفعل، وأخبر هوشيار بأن طلبه مرفوض

حتى لو توصل لذلك.

- لماذا تفعل هذا؟ لن تخسر شيئًا إذا منحتَ شابًا الإذن لرؤية صديقه أو

قائده، وبالنسبة إلى هوشيار أنت تعلم أن (فراس) كوالده، لم تفعل ذلك؟

- لا تعارض قراراتي كارتال؟!

تمتم بها وعيناه الزرقاوان تناظران عيني كارتال مباشرةً ليبتلع ريقه

وينسحب خطوةً للوراء وهو يقول:

- سأخبر هوشيار بذلك!

- أجل، من فضلك.

لأن كل تلك القسوة التي يحملها آزار في قلبه كانت أكبر من أن يستوعبها

كارتال، فقد أخذ نفسًا عميقًا وانسحب، لأن كل ذلك الجبروت والهيمنة المتأصلة

في شخصية عمه لم تكن شيئًا يمكن لكارتال -الذي يعاني عقدة طفوليةً معه

أصلًا- أن يتعامل معها على الإطلاق، فقد كان من الأفضل له أن يخرج وحسب.

نزل للأسفل ليجد حافلات المدارس تتحرك وحافلات الجامعات تمتلئ، بدأ

يبحث بعينيه عن هوشيار ولكنه لم يجده، اصطدم بصره بأمل ليتوجه نحوها

لأنها بالتأكيد تعرف مكانه، أو على الأقل توأمها يعرف، وقف أمامها لتنسحب

صديقاتها المحيطات بها.

- صباح الخير.

قالها لتلتفت له باستغراب وردت:

- صباح الخير.

- أين هوشيار؟ في أي حافلة؟

- إنه في الحافلة الأخيرة، هل هناك شيء؟ كان يبدو كئيبًا وشاردًا من الصباح، لم يتحدث معنا مطلقًا!

- سأحدث معه.

قالها وتوجه إلى حيث أشارت له لتتنظر بأثره باستغراب، ظنت أنه ذاهبٌ لمواساته، ولكنه للأسف كان ذاهبًا ليسبب مشكلات له أكثر. توقف أمام الحافلة يبحث بعينه عن هوشيار ليسمع صوته يناديه من وراء، مشى معه إلى مكان منعزل عن البقية وحالما أصبحا وحدهما ارتسمت علامات الأسف على وجهه على الفور وهو يقول:

- أنا آسفٌ حقًا، فعلتُ ما بوسعي، لم يوافق قط.

- آزار، هل أذهب له؟

قالها ومشى خطوة ليمسك كارتال بذراعه سريعًا، لاحظ تعابيره المرتسمة على وجهه ليتنهد ويقول:

- أنا أعرفه، لن يوافق مطلقًا.

- سأحاول.

شد على ذراعه أكثر ورد:

- فقط توقف، لقد قال إنه لن يسمح لك ولو توسلتَ لذلك، توقف عن ذلك!
- اللعين.

همس هوشيار بين صرير أسنانه ليتنهد كارتال ويقول:

- فكر في فراس الآن، ادعُ أن يكون بخير وحاول ألا تفتعل المشكلات.

قالها كارتال وهممًا بالمغادرة ليستوقفه هوشيار بقوله:

- شكرًا لك، على مساعدتي الآن، وعلى ما فعلته البارحة.

أومأ كارتال دون أن يستدير وتابع سيره عائدًا لغرفته.

4

في فترة الخدمة الاجتماعية انتهى من عمله وذهب صوب إيلاف، مدت يدها لتأخذ الجهاز اللوحي منه لكنه كان يضع يديه في جيبي سرواله ليقول بملل:

- لم أكلف بأي جردٍ اليوم، أتيتُ لأتحدث معك.

- ما الأمر؟

- أريد أن أعرف المزيد عن إيلينا، أريد أن أعرف عن أصدقائها، مشكلاتها، علاقاتها، أريد أن أعرف كيف ماتت.

- وماذا لو لم يخبرني هوشيار بذلك؟

- حاولي أن تعرفي، الأمر مهمٌ جدًا بالنسبة إلي، أحتاج إلى أن أعرفه.

- لقد أخبرتُك من كانت إيلينا بالنسبة إلى فراس، ألا تظن أنه يحق لي أن

أعرف من هي إيلينا بالنسبة إليك؟

- سأخبرك لاحقًا.

قالها وغادر لتأخذ نفسًا طويلًا وتنهض لانتهاه وقت خدمتها، وقفت في القاعة الرئيسية تنتظر هوشيار حتى رآته يمشي برفقة السيد غوندوز، كان الأخير يخبره بأنه سيفعل ما بوسعه وقد بدا على وجه هوشيار وكأنه سيبكي.

- هل كل شيء بخير؟

قالت وهي تقترب من هوشيار ليومئ ويرد:

- طلبتُ من السيد غوندوز أن يتفقد أمور فراس في المستشفى.

- فراس في المستشفى؟!!

قالت بصدمة ليومئ ويرد:

- نُقل بعد منتصف الليلة الماضية، ولم يُسمح لي بزيارته.

- أتمنى أن يكون بخير.

قالت بأسف ثم ابتسمت وأضاف:

- الجو سيكون صافياً الليلة، هل تريد أن نصعد لمشاهدة النجوم؟
- لنذهب.

تبعته للسطح الذي جمعهما كثيراً وجلست بجانبه ليطلق تنهيدةً ويسأل:

- كيف تظنين حالة فراس؟

- لا أعلم، هل حصل معه هذا من قبل؟

- لا، فراس رمز القوة في هذا المكان، لم أره منهاراً مطلقاً.

- حتى حين ماتت إيلينا؟

خرجت الكلمات من فمها دون وعي، بطريقةٍ لم يكن مخططاً لها مطلقاً، منذ الثانية التي جاءها كارتال اليوم، وربما منذ تحدثت معه المرة الماضية كانت تحاول أن تبحث عن طريقةٍ تعيد فتح هذه المحادثة معه، نظر إليها نظرةً طويلةً وكأنه يسألها إن كانت ما تزال تذكر الأمر وكأنه يحاول الهرب منه، وكأنه يفكر إن كان عليه أن يجيبها أم لا.

ربما في أي وقتٍ آخر لم يكن ليجيبها، ولكنه طوال هذا اليوم كان عقله عالقاً عند اللحظة التي وقع بها فراس على الأرض وسط قاعة الطعام أمام كل المقيمين، ونعم، ربما شخصٌ مثل فراس كان يجب أن ينهار بهذه الطريقة، وسط الجميع، بموقفٍ كبيرٍ ودرامي يجعل الحلوق تجف والصمت يعم الأماكن كلها، ليس في غرفته دون أن يشعر به أحد، فراس كان دوماً لافتاً للأنظار، وحتى انهياره كان يجب أن يكون هكذا حتى يبدو الأمر أنه (انهيار فراس)!

باغتنه بالسؤال في وقتٍ كان في أشد الحاجة إلى التكم، وقتٍ أراد بشدة أن يذكر به قوة فراس حتى يقنع نفسه أنه أيًا كان ما يفعله فسيتجاوز الأمر.

- لا، لم ينهر حين ماتت إيلينا.

- لم؟ ألم تكن صديقته المقربة؟ ألم تكن شخصاً عزيزاً عليه؟ (ترددت

قليلاً قبل أن تتابع) قلت إنه كان مغرمًا بها؟

- كان عليه أن يبدو قوياً حتى يتعايش مع الأمر، كان عليه أن يكون قوياً حتى لا يظهر على وجهه أي إحساس بالذنب.

- الذنب؟

همست باستغراب ولمعت في رأسها كلمات كارتال وهو يكرر «فراس قتلها». حرك هوشيار رأسه إيجاباً ورد:

- أجل، لأنه حُمِّلَ ذنب موتها، لأنه أتهم بكونه السبب.

- انتظر، ألم تمت بشكلٍ طبيعي؟

هز رأسه نفيًا وقد شعر أنه بات مكشوفًا جدًّا في هذه اللحظة، أنه يستطيع أن يجيبها أيًّا كان ما تسأله عنه. مجددًا قالت بسرعة:

- ولكنك قلت...

- قلت إنها ماتت، ولكني لم أقل كيف! لم يكن السلام حليفًا لها عند موتها، كان موتها مؤلمًا، مفاجئًا، وقد كان على أحدهم أن يحمل الذنب، وقد كان فراس، لأنها ماتت في غرفته.

- هل ألقى الذنب عليه لأنها وُجِدَت ميتة في غرفته؟

- ألقى الذنب على فراس لأنه كان مذنبًا حقًا وجميعهم كانوا متأكدين من هذا، ألقى الذنب عليه لأن هناك طفلًا صغيرًا لعينًا يبلغ من العمر اثني عشر عامًا ذهب إلى آزار ساروس وأخبره بأن (فراس) هو المذنب الوحيد! - طفلٌ صغير.

كررت الكلمة بلا وعي ونظرت إليه لتجد تعابير الندم على وجهه، وحينها فهمت كل شيء، سر العلاقة السيئة بين هوشيار وفراس على الرغم من أنهما يحبان بعضهما كثيرًا، سر بعض الكلمات التي سمعت (فراس) يلقيها لهوشيار حول الثقة بين فترةٍ وأخرى، سر بقاء فراس في هذا المكان حتى هذه السن، ونظرات الذنب التي تحتل عيني هوشيار حين يخبرهم أحد بأنه سيخرج قريبًا، وكأن خروجه خطيئة في حين أن آخرين بقوا، خطيئة ارتكبها هو...

- نعم، هذا أنا، كنتُ أول شخصٍ يثق به فراس في العالم، وكنتُ أول شخصٍ يخون هذه الثقة، يحملها كما هي ويطعنه بها في ظهرها، لأنني قلتُ كل تلك الأشياء وأنا مجرد طفل صغير، فإن الحياة الطبيعية التي كان من الممكن أن يعيشها فراس قد تدمرت، أرادوا شخصًا يلقون عليه الذنب، أرادوا شخصًا مذنبًا، أرادوا شخصًا يحمل الخطأ واللوم، وقد قدمتُ لهم (فراس) أضحية على طبقٍ من ذهب...

- ما الذي حصل عند موتها؟

- لن أخبرك ما الذي حصل عند موتها، ولكن سأخبرك ما حصل بعد ذلك، بسببي أصبح فراس منبوذًا، بسببي ابتعد عنه الجميع وخافوا منه، بسبب ما قلته صار فراس الشخص السيئ في نظر أي أحد، والشخص الذي يجب أن يهربوا منه لأنه مؤذٍ وخطير، بسببي أصبح خطيرًا فعلاً. وحقيقة الأمر، هذا الشخص الخطير انهار البارحة على الرغم من كل الجبروت الذي نتهمه به.

أضاف الجملة الأخيرة بشروود ثم أغمض عينيه وقال:

- أتعلمين؟ لا أعلم لم أترثر حول هذا الأمر، إيلينا ماتت وحسب، لم أذكر ذلك؟! - ربما لأن موتها هو أهم حدث حصل في حياة فراس وأنتَ ترغب في التحدث عنه وحسب.

- بالنسبة إليّ فراس أكبر من هذا بكثير، لو كان ملامًا ومذنبًا في تلك الحادثة فقد ظل قائدي ومسؤولًا عني، وها نحن نحظى بهذا النوع من العلاقات هنا حيث إنه قادرٌ على خصم نقاطي لو لم أستمع له، أملك كثيرًا من المشاعر نحوه، الذنب أحدها، ولكني لا أريده أن يكون كل شيء، أريد أن أتوقف عن الشعور بالذنب تجاهه حتى أستطيع أن أقول إنني أخاف عليه لأنه يعني لي الكثير، ولستُ خائفًا لأنني أشعر بالذنب. - أنتَ خائفٌ عليه لأنك تحبه، أستطيع أن أجزم بهذا.

ابتسم بخفة، وربما كانت أول مرة يبتسم بها منذ رأته هذا اليوم، أخيرًا نهض من مكانه وقال:

- سأعود لغرفتي، أريد أن أنام مبكرًا، فقد يعود فراس غدًا وسأسهر بجانبه، تصبحين على خير.

- تصبح على خير.

قالتها ليتوجه للدرج وينزل، استطاعت أن تراه يمشي نحو المبنى الرئيسي بخطواتٍ بطيئة دون أن يرفع نظره عن الأرض، وللمرة الثانية تركها في هذا المكان وحدها برفقة النجوم التي يحبها وآلاف الأفكار.

5

في اليوم التالي، وجدت نفسها تجلس مقابل كارتال في الطاولة الوحيدة التي لم تكن ممتلئة، أو حجزها بعض أطفال العاشرة والحادية عشرة لأصدقائهم، نظر إليها وقال مباشرة:

- كان العمل كثيرًا في المستودع ولم أستطع رؤيتك.

حركت رأسها للأمام بتفهم ليتابع:

- هل عرفت شيئًا؟

- لا، لم يكن هوشيار في مزاجٍ للتحدث.

أجابته بثبات كي لا تبدو كاذبةً مطلقًا وانتهت المحادثة تمامًا عند هذا الحد.

لم يكن هناك أي فائدة تُرجى من إخباره بما عرفت، لقد قال لها من قبل إنه يتهم (فراس) بقتلها، وإن أخبرته بكلام هوشيار فسيصدق ذلك وحسب وقد يتهور قبل أن يعرفا الحقيقة كاملة.

لو عرف أن هوشيار كان نفسه سببًا في تحمل فراس الذنب فسيصدق الأمر أكثر، كان هناك شيءٌ ناقص، شيءٌ لا يعرفه أحد.

عاد لغرفته فورًا، ووجد هوشيار في الغرفة جالسًا على سريره وعاقداً يديه بين قدميه، يحني ظهره للأمام وكأن أثقال العالم فوق ظهره، بالنسبة إليه هوشيار كان شابًا واعيًا، وربما رجلًا أكبر من عمره، واحتمل ما يكفي ليشعر أن أحزان سنين على كتفيه...

- ماذا قال لك السيد غوندوز؟

كان قد أخبره في اليوم الفائت أنه طلب المعونة من السيد غوندوز كشكر على محاولته التحدث مع آزار لأجله، رفع نظره إليه وعيناه غارقتان بالتشاؤم ورد:

- قال إن حالته سيئة للغاية، رثاه لا تعمل بشكلٍ سوي وقد بدأ يأخذ أدوية قوية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

- ما سبب ذلك؟

- لم يخبروه بنتيجة التحاليل.

- من المفترض أنها صدرت بهذا الوقت، أصعب تحليل تصدر نتيجته في ثلاثين دقيقة.

كان يعلم ذلك تمامًا، بعد انتهاء الحرب كان بوسع مشروع سيلا للهندسة الطبية بناء المنظومة الطبية للتحاليل وصنع أجهزة أسرع بعشرين مرة من كل تلك التي تدمرت قبل الحرب.

مدينة لوكد كانت معروفة بكادر طبي جيد، وكانوا يقومون بكل الفحوصات حين يأتي إليهم أي مريض، من المفترض أن تلك التحاليل قد صدرت وبدؤوا بخطة العلاج أيضًا.

- هل من الممكن أنه أراد تخبئة الأمر عليك؟

قالها بعد تفكير قصير ليحرك رأسه نفيًا ويرد:

- لا أظن السيد غوندوز من هذا النوع، على أي حال، كانت الأمور عامرة اليوم في العمل، زارنا عمك...

أنهاها بابتسامة مستهزئة ليقول كارتال بصدمة:

- لماذا؟

- ليحذر السيد غوندوز من التعامل معي بجلب أي معلومة خارجية، ويخبرني بأن هذه آخر فرصة لي.

- آخر فرصة لك بماذا؟

- آخر فرصة لي بتغاضيه عن أسئتي حول أمور لا علاقة لي بها.

- وإلا...؟

قالها كارتال بحاجب مرفوع وبيعض السخرية ليبتسم هوشيار ويرد:

- ربما يجعلني مقيمًا دائمًا هنا مثل فراس.

- ولكنك لم ترتكب أي جريمة.

- التفكير جريمة بالنسبة إليه.

نيران الحقد التي كانت تشتعل في عينيه لم يكن كارتال قد رآها من قبل في حياته كلها إلا حين قال آزار لإيلينا إنه سيحطم جسدها لو سألته المساعدة مرة أخرى، حينها رأى في عينها نفس الحقد.

- يجب ألا تفكر، لأن الذين يفكرون يلاحظون، والذين يلاحظون يطرحون الأسئلة، وكثرة طرح الأسئلة ستوصلك يومًا إلى إجابة، هذه الإجابة التي وصلت من سنتين إليها حين كنت في السادسة عشرة من عمري واندفعت لمكتب عمك وأنا أشتمه وأحاول ضربه كانت سرًا يجب ألا يُكشَف.

تعبير الصدمة كانت تغطي وجه كارتال، لم يتوقع أن يسمع هذه الأشياء من هوشيار نفسه، أراد أن يعرف منذ مدة طويلة لم يحسب عمه حسابًا لهوشيار حتى أرسله إلى هنا خصيصي من أجله، أراد أن يعرف سبب حقه عليه، وما هو هوشيار يجيب عن كل الأسئلة دون أن يسألها حتى.

- ماذا حدث؟

قالها بتشتت ليرفع هوشيار زاويتي شفتيه بابتسامة لا تكاد تُرى زادت تعبير الحقد المرعبة على وجهه وأجاب:

- كان أقوى مني، وضع جسدي على طاولته الزجاجية تلك ووضع سكينًا على عنقي وأخبرني بأنه مستعدٌ لقتلي لو فكرتُ في هذا الأمر مجددًا أو أخبرتُ به أحدًا، ووضعني تحت مراقبته على حد قوله.

مجددًا تجمد كارتال بمكانه، شد على قبضة يده بتوتر، لم يستطع أن يفهم إلى أي حد يمكن للأمر أن تنهار بنظره أكثر مما هي عليه بالفعل.

بتردد خرجت الكلمات من بين شفتيه وسأل:

- ما الذي فعلته حتى هددك بالقتل؟

- لا شيء قط، رأيتُ أشياء يتوجب عليّ عدم رؤيتها، علمتُ بأمورٍ يتوجب عليّ عدم معرفتها.

- ماذا رأيتُ؟

- رأيتُهم هم، رأيتُ حقيقتهم، الأمور التي تكون دومًا مخبأة، السطر المفقود من الرواية الذي يبقي الأحداث مبهمة، القطعة الناقصة من أي تركيبة عجزنا عن إنهاؤها، أو الجملة التي لم تُقل من أي لغز لم نستطع حله وكانت هي مفتاح الحل. رأيتُ كل الأشياء المهمة التي خبؤها عنا، حاولوا إقناعنا بالأعذار الواهية والأمور التافهة واقتنعنا، ولكن حين رأيتُ الحقيقة، لم تعد تلك الحجج السخيفة تملأ رأسي. رأيتُ القلب الأسود للعالم الوهمي الجميل الذي جعلونا نعيش فيه.

- أي حقيقة؟

قال كارتال وأعصابه وصلت للحافة، ولكن هوشيار ابتسم ابتسامةً سوداء لم يرها كارتال من قبل وأضاف:

- أليس سببًا كافيًا لجعلهم يرغبون في قتلي على الفور؟!!

6

لم يعرف كارتال من هم، لم يعرف ما الذي اكتشفه، وما تلك الحقيقة القادرة على تدمير ثبات هوشيار أو حتى جعل أزار نفسه يفقد أعصابه ويهاجم شخصًا في ميتمه، بل ويهدده بالقتل لو فتح فمه، عرف شيئًا واحدًا؛ هذا المكان قد يكون أكبر بكثير مما يبدو عليه حقًا، أسبوعٌ كامل بكل تلك الحيرة، ولم يخبره هوشيار بالمزيد، وبدوره لم يسأله لأنه كان غارقًا بالقلق على فراس.

بعد مرور أسبوع حصل شيء لم يتوقعه أحد، حين كانت حافلة طلاب الجامعة تمر على الجامعات واحدة تلو الأخرى لأخذ الطلاب لم يكن هوشيار واقفًا بجانب باب جامعته حيث يقف بالعادة، وحين نزل لؤي ليبحث عنه لم يجده بأي مكان، وخلال دقائق أخبرهم مشرف الحافلة بأنهم سيذهبون لأن هوشيار لم يأت.

بدوره خرج من المحاضرة الأخيرة حاملاً بيده تلسكوبًا إلى غرفة الأدوات، أعاد كل شيء لمكانه وأنهى مهمته ثم توجه ليخرج من الباب الثاني لجامعته حيث لن تراه حافلة ألكمس أبدًا، ليوقف سيارة أجرة ويطلب منها إيصاله إلى مستشفى لوكيد، كان يملك نقودًا لأدائه مهمة العمل في مقهى الجامعة طوال الأسبوع الماضي، ونعم، حين أراد أزار أن يمنع غوندوز من محادثته ويعمل على تكسير أجنحته فقد بذل جهدًا ليريه أنه يتعلم الطيران بطريقة جديدة في كل مرة.

على الفور دخل المستشفى وطلب رؤية الشاب الذي جيء به من الميتم، قادته الممرضة إلى غرفة فراس، وما إن فتح الباب حتى رآه جالسًا في سريريه يحدق إلى السماء من النافذة، طعامه أمامه ومحلولٌ موصولٌ بيده، تمامًا مثلما رآه في القسم الطبي سابقًا، ولكنه بدا مرهقًا أكثر.

جسده نحل كثيرًا، وجهه شاحب والهالات السوداء كانت تحيط بعينه، ابتلع ريقه بتوتر مما يراه قبل أن ينطق:
- فراس.

التفت نحوه بعينين متسعيتين ليركض إليه ويقول بسرعة:

- بحق الله، أكاد أموت خوفًا عليك.

- كان من المفترض أن أخرج بالغد، كيف أتيت؟

- خرجتُ من الجامعة إلى هنا.

- وآزار؟

- ليذهب للجحيم.

قالها ساخرًا ثم رسم على شفثيه ابتسامة صغيرة وقال:

- حدثني عنك، هل تشعر بتحسن؟

- سأخرج في الغد.

أجاب باختصار واستطاع هوشيار أن يلمح بعض الحزن في صوته، ولكنه لم يفهم السبب.

هز هوشيار رأسه وجلس على طرف السرير وقال:

- كارتال هو الشخص الذي قدم لك الإسعافات الأولية ذلك اليوم.

- أعلم، شعرتُ بذلك.

- حقًا؟!

- كان الأمر صعبًا، التنفس بحد ذاته بدا مهمةً مستحيلة، ولكنه قام

بالأمور بشكلٍ جيد، حتى إنني استطعتُ فتح عيني ولمح وجهه، وأنا

ممتنٌّ له، أخبره بهذا.

أومأ هوشيار بتفهّم ليبتسم فراس ويضيف:

- ولكن لأكون صريحًا، لم أتوقع قط أن هذا الفتى الرياضي يعرف

بالإسعافات الأولية بهذه الاحترافية. ولكن بعد التفكير في الأمر، أظن أن

النوادي يجب أن تعلم الرياضيين هذه الأشياء من أجل حالات الطوارئ.

- أنتَ محق، ولكن كارتال لا يعرف كل هذا لأنه رياضي، لقد أخبرنا بأنه كان طالبًا في كلية الطب، وهذه كانت صدمةً للجميع، لا سيما هاري.
- حين نطق الاسم الأخير التفت فراس له باهتمام وسأل:
- هل فعل هاري شيئًا بالأسبوع الماضي؟
- لا، مثل ماذا؟
- لا أعلم، كان دومًا يحب افتعال المشكلات ولكنه كان يتوقف عندما أطلب منه هذا.
- حرك هوشيار رأسه مؤكدًا ليتنهد فراس ويعود لينظر من النافذة بشرود، وقرر الآخر أن يستغل لحظاته هنا ليخفف عن فراس هذا اليوم الممل وحده قبل أن يرسل له أزار شخصًا ما ليقله لآلكمس مجددًا.

خرج فراس من ألكمس بضجة لم يكن يعني أن يفتعلها، وعاد بسلامٍ كبير دون أن يلفت إليه الكثير من الأنظار. توقفت الحافلة التي أقلته من المستشفى بجانب البوابة ونزل منها بينما يتلاعب الهواء بشعره الطويل، انتبه له البعض ولكنه تجاهلهم وصعد إلى غرفته، كانت أول فترة المساء، الجميع ينهي واجباته في هذا الوقت ويتوجه لقاعة الطعام، وبعد ذلك يكون حرًا بفعل ما يريد، لم يكن قادرًا على فعل المثل، ما زال متعبًا، الأفكار تحتل رأسه، لأول مرة منذ ست سنوات يشعر أنه مهزوم! وفراس لم يكن شخصًا يستسيغ شعور الهزيمة.

ارتقى على سريره وكل الأمور السيئة تحيط بزوايا عقله، أفكارٌ أراد أن يتخلص منها ولكنه لم يستطع، الأسبوع الماضي غير حياته حرفيًا.

لم يحصل طوال الستة والعشرين عامًا التي عاشها على كل هذه الفحوصات، رأى عشرات الأطباء يحيطون به ويناقشون حالته، كان كافيًا أنه في غرفته الآن قادرٌ على التنفس وحده دون أن يكون في ذلك المكان موصولًا بالأجهزة التي تقيد حريته وهو الذي عاش مقيد الحرية طوال حياته.

وضع يده على صدره يتحسسها بأطراف أصابعه، تمنى لو استطاع أن يصل إلى رثيته، أن يمسح عليهما عله يخفف وجعهما، أن يطلب منهما أن ترحماه وتقفا بصفه هذه المرة، ألا تخذلاه كما فعل والداه، وعالمه، وأصدقائه...

سمع باب غرفته يُطرق ليعيد يده إلى جانبه ويعتدل في جلسته في السرير بينما يأذن بالدخول، وجد هوشيار يدخل أولاً بابتسامة صغيرة ومعه أشخاص لم يتوقعهم؛ بسام، وإيلاف الفتاة الذي طلب منها هوشيار أن تتجنب (فراس) وتبتعد عنه، وكارتال الذي تدمرت نفسية هوشيار حين علم بقدمه.

- حمدًا لله على السلامة.

بدأت إيلاف كلامها وهي تضع باقة أزهار بجانب سريرته ثم أضافت:

- السيدة آن ماري أذنت لي بقطفها من الحديقة، ومنير نسقتها.

عيناه الناعستان تنقلتا بين الأربعة ثم نظر إلى باقة الأزهار طويلًا، أول هدية يحصل عليها منذ مدة طويلة، منذ ست سنوات؟ ثمان؟ منذ أحد عشر عامًا حين دخل إلى هنا؟ من قبل ذلك حتى؟! مرر يده في خصلات شعره معيدًا إياه للوراء ونظر إلى الأربعة مجددًا.

حاول أن يبدو بمظهر فراس القوي الذي عرفه الجميع، أراد أن يدخل ولكنه تذكر أن هذه الفرصة لم تعد متاحة له كثيرًا، كان يشعر بملمس الولاة في جيبه، وكان يشعر بأعصابه على الحافة ورغبة عميقة في تكسير كل ما حوله كانت تراوده ولكنه تمالكها بداخله.

- هل أنت بخير؟ ماذا قالوا لك في المستشفى؟

سأله كارتال ليطلق تنهيدةً طويلة ويرد:

- أنا بخير.

رفع كارتال حاجبيه وسأل مجددًا:

- من الواضح أنك لم تتحسن تمامًا، لم أعودك إلى هنا؟

حاول أن يتذكر متى تحدث مع كارتال من قبل، ربما مرة أو مرتان في فترة الطعام، وحين أرشده إلى غرفته وأخبره بأنه سيكون شريك هوشيار، يومها قال له بالحرف الواحد «هوشيار شخصٌ عنيد ومزعج وحساس بعض الشيء، أرجو أن تراعي هذه الأشياء بما أنك تكبره سنًا، فأنتما ستنتشاران الغرفة فترةً قد تكون طويلة»، وحين طلب منه أن يعيش حياته بطريقة ما ولا يسأله أي شيء.

حتى هو حكم على كارتال في لقائهما الأول أنه أبرد شاب رآه في حياته كلها، وحتى هو ظن أن كارتال سيكون مثيرًا للمشكلات وأنه لن يتوافق مع هوشيار مطلقًا، ولكن كارتال يقف الآن في غرفته ويطمئن عليه بتلك التعابير الهادئة وكأنه أكثر شيء طبيعي في العالم.

- سأعود للمستشفى بعد بضعة أيام.

قالها فراس أخيرًا وقد قرر أن يتمالك نفسه ويتوقف عن هذه التعابير الجامدة التي لا تساعدهم على فهم أي مما يحصل. رفع هوشيار حاجبيه باستنكار وقال بسرعة:

- ما الذي تقوله؟

- كما قلتما، أنا لم أتحسن بشكلٍ كامل، ويجب أن أكمل علاجي.

- لماذا عدتَ إذًا؟

قال بسام لينظر فراس إليه، حك رأسه بإحراج وتابع:

- أعني، في تلك المرة لم يسمحوا لمنير بالعودة حتى انتهى من كل علاجه.

شعر فراس بالتوتر، حاول البحث عن كلماتٍ يقولها، ولكن الأربعة أمامه كانوا ينتظرون جوابًا، ولو لم يقل الحقيقة لم يكن سيجد أي حجة يهرب بها، أراد أن يهرب من هذه الحقيقة، إن نطقها الآن فلن يكون قادرًا على الهرب منها، أراد أن يبقيها بداخله، وحينها لن يعرف بها أحد، ولن يستطيع أحدٌ أن يشاركه إياها، حينها سيكون قادرًا على الكذب على نفسه وإخبارها بأن الحقيقة ليست بالحقيقة! وأن كل ما يجب عليه تقبله هو كذبة يجب ألا يصدقها!

سيدور حول الأمر، لن يكذب، ولكنه لن يقول ما يريد أن يهرب منه.

- ربما أقضي بعض الوقت هناك، أرسلوني لأجهز نفسي، وأحضر بعض الثياب.

- لماذا؟

تحدث هوشيار بشزر وعلى الفور وضع بسام يده على كتفه يطلب منه الهدوء ولكنه تابع بنفس الغضب:

- لماذا؟ ما الشيء السيئ الذي سيبقيك وقتًا طويلًا في المستشفى؟!

- اذهبوا لتناول طعامكم الآن. سنتحدث حين تنتهون.

- لا، أنا أريد أن أعرف.

قالها هوشيار بعناد ليزفر فراس بتعب ويرد:

- لا تتصرف كطفل، لا أشعر برغبة في التحدث الآن، أريد أن أنام.
- كلامك غير منطقي.

قال كارتال وهو يرجع ليستند بظهره إلى الحائط. عقد ذراعيه أمام صدره ونظر إلى فراس مباشرة ليعبث الأخير بخصلات شعره الطويل بلا مبالاة مما دفعه ليتابع:

- أنا متعب، وأنا مريض وبني شيء سيئ سيجلسني في المستشفى لأيام، ولكنني أريد أن أنام ولا أشعر برغبة في التحدث وسأترككم قلقين علي.
ظلت نظرات فراس جامدة ولا تحمل أي شعور، ليتابع كارتال:
- كلامك غير منطقي، وأنت الشخص الذي يتصرف كطفل.

تنهد فراس مجددًا لأن كارتال واجهه بالحقيقة، لم يكن منطقيًا فعلاً، ولكنه ما زال غير واعي تمامًا لما حوله. نهض من مكانه أخيرًا واقترب من هوشيار ليضع يده على كتفه ويقول:

- أنا آسف، أعدك أن أخبرك بالأمر قبل مغادرتي، والآن اتركني لأرتاح وشكرًا على الأزهار.

أنهى كلامه موجهًا نظره لإيلاف التي حركت رأسها بتفهم وعاد ليستلقي على سريره ليتوجه كارتال خارجًا دون قول شيء آخر، تبعته إيلاف ثم بسام الذي سحب يد هوشيار وأرغمه على الخروج، عاد وحيدًا مجددًا، يتحسس صدره بنظرة شاردة في السقف، وبطريقة ما بدأت أحداث من الماضي تعود لذهنه، أحداثٌ جاهد لنسيانها ولم يستطع، أمورٌ حاول وضعها في خانة التجاهل، ولكنها ظلت جزءًا أساسيًا منه، كل تلك الأشياء التي كوَّنت (فراس) قد ملأت جمجمته وسببت له الصداع.

صورة والده تجسدت أمامه، الجسد المترنح الذي يدخل للمنزل كل ليلة حاملًا زجاجة كحول، الرجل الفاشل في كل ما حاول فعله بحياته، يحطم المغسلة ذات يوم، ويركل الروبوت الصغير الذي ينظف الأرض في يوم آخر، يشتم غسالة الملابس، يلعن العالم وينقض بتعابير خالية من العقلانية على زوجته وابنه الوحيد.

يذكر كيف يحمل آنية الفخار ليرميها على الأرض، وكيف انحنت أمه لتجمع القطع المتكسرة وهي تبكي بصوت مكتوم، يذكر تمامًا كيف ضربها بقدمه بكل قوته على ظهرها لتصرخ بألم بسبب عظامها التي كادت تنكسر، والأطراف الحادة للفخار التي جرحت جلدها لتندفق دماؤها على الأرض تحت أنظار ابنها.

يذكر كل ذلك بوضوح وكأنه يراه كشريط فيديو مصوّر، كل صرخة صغيرة تطلقها أمه كانت تفوق احتمال أبيه، يناديها بأقبح الألفاظ والأسماء، يخبرها بأنها سبب بؤسه بهذا العالم، وتتحمل كل ذلك لأنها تحبه، حبٌ مريض، بائس، لا عقلاني!

بلغ خمسة عشر عامًا ولم يعد يحتمل هذه الحالة، وجد نفسه دون وعي يدفع والده من أعلى درج المنزل، ثم يرمي عليه طاولة الطعام غير مكترثٍ بألمه، يلعنه والده ويحاول النهوض لضربه ليجد نفسه يرمي جسده فوقه ويغرس إحدى السكاكين التي كانت موضوعة على طاولة الطعام بقدمه.

لم يكن تصرفًا سويًا، حين جاء الأمن لم يصدق الضابط المسؤول أن كل هذا العنف افتعله شخصٌ واحد، الجيران والأقارب وأصدقاء العائلة كلهم شهدوا أن (فراس) شخصٌ هادئٌ للغاية وتكاد تظنه غير موجود لشدة صمته واندماجه بمن حوله، ولكن المنزل المحطّم لم يكن من فعل طفل صغير هادئ.

عند تلك الحادثة ويجلوسه على أريكة المنزل تحيط به بعض عناصر الشرطة ويراقب الضابط الذي ينظر إليه وإلى مكان وقوع الحادثة، فقد عرف من هو حقًا، عرف أن بداخله شخصين لا شخص واحد، أحدهما هادئٌ للغاية، يحتمل الكثير وبيتلع أكثر مما يستطيع تجاوزه، والآخر عنيفٌ كثيرًا، يفقد قدرته على الاحتمال وينفجر كقنبلةٍ تدمر كل شيء، كانت تلك المرة الأولى التي يشهد بها العالم ولادة فراس العنيف، وكما يُقال، لا بد للولادة من مخاض، ولا بد للمخاض من ألم.

لم يرَ أمه يومها، لم تتحدث معه بعد ذلك، لم تحاول أن تحضر جلسات المحكمة التي اضطر إلى مواجهتها وحده على الرغم من كونه مجرد طفل، لم تدافع عنه على الرغم من أنه فعل ذلك دفاعًا عنها، لم تقل إن الأب يستحق ما

أصابه، ولم يعرف أي شيء سوى حين قال له شخص ما بالمحكمة «ما فعلته لم يكن تصرف شخص سوى، لا يوجد طفل يملك كل قواه العقلية يستطيع أن يفعل هذا بأبيه ويسبب له إعاقة دائمة».

لم يرَ والدته لتخبره ما نوع الإعاقة، ربما تقطعت أعصابه وابنه يغرس السكين في قدمه ولم يعد قادرًا على تحريكها، ربما ضرب ظهره حين دفعه من أعلى الدرج وتأثر النخاع الشوكي مسببًا له الشلل، ربما دخل شيء ما من حطام طاولة الطعام في عينه فأفقدته بصره، لم يعرف، ولم يسأل.

تمت معاملته كمجرم، ولأنه تحت السن القانونية كان يجب أن يدخل إصلاحية الأحداث، ولأنها مدينة لوکید، المدينة التي تصنع الجيل الجديد، فلم يكن هناك وجود لمكان كهذا، وجد نفسه فجأة في دار رعاية، يضع قلابه سواد، ويحمل شيئًا ما يُسمى تعريف دخول، هناك نظام نقاط يجب أن يتبعه حتى تتحسن نقاطه ويُسمح له بالخروج بعده شخصًا مفيدًا للمجتمع، وجد أن أمه فضّلت حبها المريض عليه، وأن هذا الحب جعله هنا لأنها لم تشهد معه، حقد على أمه كما كان يحقد على أبيه، حقد على خوفها من والده، على تفكيرها أن ابنها مجرم ويستحق، حقد على هوسها برجلٍ مجنون كان يجب أن تتخلى عنه ولو كانت تحمل طفله، وحقد على الحب...

ظل وحيدًا، وحينها الشخص العنيف الذي كان بداخل فراس قد استولى على الشخص الهادئ واللطيف واحتل مكانه، بينما دفن الآخر عميقًا بداخله. عُرف من أول يوم له بفراس صاحب المشكلات، فعل الكثير من الأمور المجنونة وبدأ الآخرون يتبعون عنه، جمع حوله مجموعة تتبع أوامره بعضهم كان يخرج للدراسة، جعلهم يتبعونه، تغير بشكل جذري وأصبح سيئًا كثيرًا، سيئًا أكثر مما يمكن لفراس الجيد أن يحتمله.

حين بلغ الثامنة عشرة من عمره جعلوه قائدًا على طفل صغير في العاشرة، في البداية جُن من الأمر ورغب في ارتكاب جريمة قتل بالطفل الذي سيقتحم حياته، ولكنه لم يفعل، والطفل الجديد الذي دخل قلبه بطريقة لا أحد يعرفها بدأ يحفر بداخله حتى استطاع أن يخرج (فراس) الجيد من الهاوية التي دفن نفسه بها، حينها فقط عاد لرشده، فهم ما يحصل حوله، ابتعد عن المجموعة السيئة وأصبح شخصًا هادئًا مجددًا، الأمر الذي أثار استغراب الجميع وأشعل

غضب هاري وجنونه، ولكنه ظل معروفًا بفراس العنيف، وظل الجانب الآخر منه يستولي عليه بين فترة وأخرى حين يفقد السيطرة على أعصابه... حين جاءت إيلينا كانت قادرةً على انتشار فراس الهادئ وإعادته للحياة، وحين رحلت بتلك الطريقة السيئة ظل في تشتته غير المحدود بين الشخصيتين اللتين يحتوي عليهما جسده.

الآن هو يستلقي في سريره، يتذكر كل هذه التفاصيل، ينظر إلى نقطة ما من الفراغ في سقف غرفته، يحاول أن ينتزع هذه الأشياء من عقله، ضيق نفسه يقاطعه، ألمٌ خافتٌ في صدره يجعله يضغط عليه أكثر، عيناه ضائعتان في نقطة ما من الماضي، الآن وهو يحاول أن يفهم كل شيء، أن يستوعب ما يحصل، وهو يحاول أن يتقبل الحقيقة ويتعايش معها، وهو يحاول أن يدرك أن العالم الذي عاش به قد هزمه تمامًا وأن عليه تقبل هذه الهزيمة، ويحاول إخبار نفسه بأنه ولو بذل كل وسعه في محاربة الحياة فإن الحياة تنتصر دومًا، في هذه اللحظات الطويلة بالذات وكل تلك المحاولات التي تقع في مستنقع الفشل أو تهوي به عميقًا في حفرة من اليأس كان يستلقي غير شاعرٍ بالهواء البارد الذي يتدفق من النافذة، والفراسان؛ الهادئ والениف كانا يبيكان معًا...

8

الأسبوع مر بشكلٍ جنوني على الجميع، انشغلوا بالإعدادات لفصل الشتاء، الأشخاص بالمستودع وقع عليهم ضغطٌ كبير، بالمقابل تم نقل معظم العاملين في الحديقة لمساعدتهم والبقاء معهم طوال فترة البرد، أعد الجميع قائمةً بالملابس الشتوية التي يمتلكونها أو يحتاجون إليها، وقد تطلب الأمر وقتًا لتنظيم كل ذلك، وخلال كل ذلك الوقت كان عقل هوشيار وإيلاف عند فراس، كارتال كان فضوليًا نوعًا ما، وبسام كان يسأل عنه كثيرًا أيضًا.

ظل فراس في غرفته معظم الوقت، كان يخرج في الصباح بعد أن يذهب الطلاب لمدارسهم وجامعاتهم، يجلس في مكانٍ منعزلٍ من الحديقة وينظر إلى المساحة الخضراء الواسعة ويشرد في التفكير، كارتال رآه مرتين أو ثلاثًا، وبطريقةٍ ما لم يملك الشجاعة الكافية ليتقدم نحوه ويسأله عما يخفيه. حين دخل قاعة الغداء في اليوم الأول التفتت الأنظار إليه وانتشرت الهمهمات كثيرًا، لا سيما بين الصغار الذين لا يستطيعون ضبط مشاعرهم، أخذ صحنه ومشى لآخر طاولة بعيدًا عن الجميع لينهض هوشيار من مكانه حاملاً طعامه ويذهب للجلوس معه.

هاري قد أصبح أكثر جرأة في التصرف بما يريده حين غادر فراس، وقد خفت هذه الجرأة تدريجيًا عند عودته، لم يحادثه فراس مطلقًا ولكنه كان يعرف أنه لن يسكت له لو فعل شيئًا يثير غضبه.

ظل يسدل شعره الطويل ليغطي وجهه وعينه اليسرى كعادته السيئة، الهالات تجمعت أسفل عينيه وقد فسر ذلك أن الكوابيس تراوده، ولكن الأمر كان متعلقًا بالأرق، لم يفصح لأحدٍ عما في قلبه، وطلب كارتال من هوشيار أن يتوقف عن سؤاله.

حتى أتى ذلك اليوم، نهض من مكانه بعد أن أنهى طعامه، توجه للخارج ونقر على كتف هوشيار وهو يقول:

- تعال أنت ومجموعتك إلى قاعة الدراسة في التاسعة.

نظر إليه هوشيار باستغراب لكنه قال جملته ومشى، قبل أن يغادر من القاعة تمامًا لمح هوشيار يشير بيده إلى منير مما أثار استغرابه أكثر، هل اتفق مع منير أن يفرغ له قاعة الدراسة في هذا الوقت؟!

بعد أن عاد منير من المستشفى بتلك العلة الجسدية التي ستلازمه طوال حياته، كان من الصعب أن يكمل عمله في الخدمة الاجتماعية السابقة بأن يدور على الغرف ويطلب الأغراض الناقصة؛ تم تعيينه في قاعة الدراسة حيث يبقى جالسًا طوال الوقت ولا يحتاج إلى فعل شيء سوى تنظيف الطاولات بين فترةٍ وأخرى وإخبار المقيمين بأن يلتزموا بالهدوء. أخبرهم ذات مرة بأنه يستطيع أن يفرغها متى يشاء بأن يقول إنه ينظف الآن أو إنها مغلقة في هذا الوقت، ويبدو أن (فراس) اتفق معه على هذا مما أثار استغراب هوشيار أكثر.

عاد إلى غرفته بعد انتهاء فترة الغداء، الساعات التي فصلته عن التاسعة قضاها يسير ذهابًا وإيابًا في الغرفة بينما يمدد كارتال قدميه على سريره ويحدق إلى شريك غرفته المصاب بداء توترٍ مزمن، أصابه بالصداع مما دفعه ليضغط بيده على جبهته بسخط وكاد يلعنه بصوتٍ عالٍ، ولكنه وقف فجأة ونظر إليه وهو يقول:

- هل من الممكن أن فترة سجنه انتهت؟

رفع كارتال حاجبًا واحدًا بينما تابع هوشيار بسرعة:

- لقد قال إنه سيأخذ ملابسه وكان مضطربًا بعض الشيء.

- لم سيكون مضطربًا إن كان سيخرج من هذا المكان المقيت الذي قضى به أحد عشر عامًا؟!

- ربما لأنه قضى أحد عشر عامًا.

تمتم هوشيار بلا وعي ليتنهد كارتال، لم يكن يريد أن يكون قاسيًا ولكن شعلة الأمل في صدر هوشيار اشتعلت فجأة وكان يريد أن يطفئها مباشرة قبل أن يُسكب عليها زيت الخيبة وتحرقه، مما دفعه ليأخذ نفسًا طويلًا ويقول:

- كن عاقلاً، حسنًا؟ الأمور لا تبشر بكل هذا الخير الذي تفكر به، لقد قال بوضوح إنه سيذهب لعلاج طويل في المستشفى وقد كانت كآبته دليلاً على هذا، لو كان سيغادر حقاً لم يكن سيتعامل مع الأمر بهذه الطريقة. ولكن...؟

همّ أن يتكلم وعيناه تلمعان بحزن كطفلٍ صغير ليقاطعه الأكبر بحزم وهو ينظر إلى الأرقام المرتسمة على الحائط بجانب الطاولة ويقول:

- إنها الثامنة وخمسة وأربعون دقيقة، اذهب لجلب إيلاف.

- إيلاف؟ ما علاقتها؟

- لا أعلم، أشعر أنها يجب أن تكون موجودةً وحسب، لقد كانت حين حصل الموقفان السابقان.

توجه هوشيار للخارج ناحية غرفة إيلاف في نفس المجمع، في حين نهض كارتال من مكانه لينظر إلى المرأة لدقائقٍ مفكراً في كل ما حصل، تنهد مجدداً وهو يفكر أن عليه أن يكون قوياً الآن، لأنه الأكبر سناً بينهم من بعد فراس، ولأنه الأعقل، والأكثر رزانة، ولأنه يشعر أن (فراس) سيقول شيئاً أكبر مما يمكنهم احتماله.

أخرج القلادة من جيبه وفتحها لينظر إلى الصورة بداخلها، إيلينا التي تضحك وتغرس أصابعها في خصلات شعره الكثيفة، لقد قرر أنه سيدعم (فراس) الآن، لأنه الآن يملك شعوراً أن (فراس) يهوي في وادٍ عميق، ولكنه يشعر بانزعاجٍ صغير لأن هذا الشاب الذي سيدعمه هو الشاب الذي أحب نفس الفتاة التي يعشقها، هو الشاب الذي تدور حوله الشائعات أنه قاتلها، هو الشاب الذي ماتت تلك الفتاة في غرفته، والشخص الوحيد الذي أشعل ب صدره مشاعر الغيرة بعد وقتٍ طويل.

أعاد القلادة لجيبه وخرج من الغرفة ليجد (إيلاف) في أحد قمصانها البيضاء مع تنورة حمراء لطيفة، مشى للأمام ليمشي الآخران بجانبه ونزلاً حتى الطابق الأرضي، أخذ هوشيار نفساً طويلاً قبل أن يفتح باب قاعة الدراسة، في الداخل كان منير جالساً على كرسيه بجانب حيث يجلس

المسؤول عن القاعة بالعادة، بسام كان يجلس على الطاولة بجانب الكرسي وقد نظرت إليهما إيلاف بابتسامة صغيرة على الفور.

في القاعة على إحدى الطاولات الكبيرة كان فراس يجلس محنياً رأسه للأسفل سانداً جبهته إلى كف يده وشعره يتدلى على الجانبين مخفياً وجهه، في مسافة أبعد كان هاري جالساً على أحد الكراسي واضعاً قدميه فوق الطاولة ويهزهما بسرعة تعبر عن انزعاجه من الموقف، وعلى الفور أخذت إيلاف كرسيًا على طاولة أخرى، بينما ظل كارتال وهوشيار واقفين يستند كل واحد منهما إلى طاولة قريبة من حيث يجلس فراس.

الجميع كان هنا والجو كان محفوفًا بالتوتر بطريقة ما. أخذ كارتال نفسًا عميقًا وطويلاً في اللحظة التي رفع فراس رأسه ورأى أن جميع الأشخاص الذين ناداهم هنا، نقل نظره بينهم جميعًا ولاحظ قدم هاري التي كانت موجهة نحوه تقريبًا ولكنه تجاهل تصرفه الوقح وغير المسؤول، وجد نفسه ينظر إليهم طويلاً قبل أن يتنهد ويقول:

- أردتُ إخباركم بشيءٍ ما وأنا آسفٌ لأنني جمعتكم هنا جميعًا.

صمت للحظات ولم يجبه أحد ليتابع:

- أنا سأغادر هذا المكان تمامًا، وغداً هو يومي الأخير.

عند إنهائه تلك الكلمة ظل الصمت محيطًا بالمكان، ولكن تعابير وجوه الجميع تغيرت تمامًا، هوشيار ابتسم باتساع، بينما حدق إليه هاري بعينين متسعيتين مصدومتين، نظرات الآخرين كانت مستغربة من الخبر المفاجيء، نظر إلى هوشيار لتصددم عيناه بتلك الابتسامة الواسعة على ثغره، ابتسامة أرادها أن تدوم، تمنى لو أنه خلق جوًا جميلًا ليضحك عليه هوشيار فعلاً، ولكن هذه المرة لم يكن الأمر كذلك، كان صعبًا للغاية!

- ما يعرفه هوشيار ولا يعرفه البقية أنني أمرٌ بنوبات ضيق التنفس منذ فترة طويلة، وما لا يعرفه أحد أن النوبة التي أصابتنني في قاعة الطعام ذلك اليوم كانت الثالثة وقد عانيتُ بسببها مرتين فيما سبق، ولكنني كنتُ وحيداً في غرفتي فلم تُثر هذه الضجة.

- وأنتَ تجاهلتَ هذا بكل بساطة؟! -

همس كارتال بسخط لينظر إليه فراس ويهز كتفيه بلا مبالاة قائلاً:

- لم يكن الأمر مهمًا كثيرًا بالنسبة إليّ، ولكن بعد ما حصل آخر مرة وذهابي للمستشفى وخضوعي لكل تلك الفحوصات فقد عُرف السبب.
- ما هو؟

قال بسام بنظراتٍ مهتمة وشعر منير وإيلاف بالتوتر يعم المكان. تنهد فراس مخفضًا رأسه قليلاً حتى لا ينظر إلى أحد، وقد كان الشيء الذي سيقوله تاليًا هو الشيء الذي حرّمه من النوم لأسبوع كامل بينما يفكر في كذبة يقولها عوضًا عنه أو بطريقة لا يبدو بها الأمر مؤلمًا، ولكن داهمته الحقيقة، واجهته، حصرته في الزاوية وتركته دون أي خيارٍ آخر سوى أن يتقبلها ويبتلعها لأنها خياره الوحيد. أغمض عينيه وضغط عليهما، إنها الحقيقة التي رفض أن ينطق بها لأسبوعٍ كامل لأنه لم يردّها أن تخرج من بين شفّتيه، خيّل له أنها لو بقيت بداخله سيكون الأمر سهلًا ليقنع نفسه أنها كذبة، والآن هو يقولها أخيرًا، وصوته خرج جافًا، مع بحةٍ صغيرة، مشبّعًا بالألم!

- أنا مصابٌ بسرطان الرئة من الدرجة الرابعة، سأذهب لمركز علاج لأبدأ بتلقي جرعات الأدوية، نسبة الشفاء عشرون بالمئة، وقد لا أعود إلى هنا مجددًا أبدًا.

سقطت ابتسامة هوشيار وحل محلها وجهٌ شاحب هرب لونه، شهقت إيلاف وتجمعت الدموع بعينيها بينما اعتدل هاري بجلسته أخيرًا ناظرًا نحوه بعينين متسعيتين، لعن كارتال تحت أنفاسه لأن تلك الحقيقة كانت أسوأ مما فكر فيه، وجد نفسه فجأة في موقفٍ لا يعرف كيف يتصرف معه، منير تمسك بكف بسام كطفلٍ صغيرٍ خائف وظل هوشيار ينظر إلى فراس لفترةٍ طويلة حتى تشجع فراس ورفع عينيه لينظر إليه، بشفاهٍ مرتجفةٍ نطق:

- سرطان رئة؟! -
- أجل هوشيار، أنا لم أخرج للحرية.
- همس بها ليضع هوشيار يده على وجهه ويتمتم بلا وعي:
- ولكن هذا... أنت... أنت فراس، فراس القوي، كيف حصل هذا؟
- إنها خلايا جسدي، انقلبت ضدي واستطاعت هزيمتي.

أجاب بابتسامةٍ صغيرة خبأ خلفها مشاعر كثيرةٌ وضخمة، ليتنهد كارتال وينطق أخيرًا:

- هل أثبتت كل الصور والتحليل هذا؟

- أجل، غدًا هو يومي الأخير، وأنتم الأشخاص الذين عرفتمكم طوال فترة مكوثي هنا، زملاء أو أعداء، الذين اطمأنوا علي، الذين ساعدوني بشكلٍ أو بآخر، الذين صنعوا تضاريس مختلفة في خريطة أيامي الرتيبة، الذين ابتسموا لي دون مقابل، الذين ألقوا عليّ التحية حتى حين لم أفعل، الذين عاندوني وفعلوا أمورًا بهدف إثارة أعصابي وجنوني، جمعتمكم بشكلٍ محدد للغاية لأنكم أصدقائي وأعدائي، ولأنني مهما فكرت في الأمر فقد كان من غير العادل أن أغادر دون أن أخبركم.

أنهاها وهو ينظر إلى هوشيار أخيرًا، اقترب منه ووضع يده على كتفه ثم شد عليه بقوة وقال:

- أنت الشخص الذي دخل إلى حياتي بلا رغبةٍ مني وجعلني أشعر بنفورٍ عميقٍ من وجوده، وأنت الشخص الذي غيرني بشكلٍ جذري، بفضلك أنا على قيد الحياة إلى اليوم، لذا من فضلك لا تبك.

لم يكن يبكي، ولكن كلماته لم تسعفه لقول أي شيء، ظل فراس على هذه الحالة لدقائق، الفتاة تبكي بصوتٍ مكتوم، هاري لم يكن قادرًا على التفكير في حقيقة أن (فراس) الذي كان سببًا لرحبه طوال حياته قد هُزم بهذه الطريقة القاسية.

- أنا آسف.

قالها فراس أخيرًا قبل أن يبتسم ويتابع:

- غدًا هو اليوم الأخير، تعالٍ لقضائه معي.

ابتعد عنه أخيرًا ثم التفت لkartal، حدق إلى عينيه لوقتٍ طويل، نظرة مختلفة للغاية عن النظرات المعتادة منهما، لم تكن باردة، لم تكن لا مبالية، لم تكن قاسية أو كارهة، كانت نظرة رجلٍ لرجل، kartal لم يتحدث مع فراس إلا في مراتٍ نادرة، ولكن مرضه كان حقيقةً صعقته تمامًا، وفراس بدوره قد حمل بداخله بعض الاحترام لkartal والثقة به على الرغم من كونه ابن

أخ آزار، ولكن كانت هناك هالة تحيط به تجبرك على الثقة به. أنهى سلسلة النظرات تلك مغمضاً عينيه وهو يقول:

- شكراً لمساعدتك لي في المرة الماضية يا طبيب المستقبل، واعتن بهوشيار في غيابي.

مشى متقدماً نحو الأمام قبل أن يتوقف في مكانه فجأة وكأنه تذكر شيئاً ما، وفجأة التفت نحو هاري الذي لم تساعده الصدمة على الوقوف وقال:

- إن كان قد بقي فيك شيء من ضمير فأيقظه، تصرف بشهامة على الأقل، توقف عن التحرش بالفتيات بذلك الشكل، والتنمر على الأطفال الصغار، وجعل بعض المقيمين صلةً بينك وبين العالم الخارجي رغماً عنهم فقط حتى يتقوا شرك، عش بسلام هاري، واخرج من هنا بسلام أيضاً.

لم يجبه هاري وإنما بقي ينظر إليه بفاهٍ مفتوح، لم يكن فراس العنيف من تكلم، كانت نبرة هادئة، نبرة تحمل الكثير من النصح، أطلق صوت ضحكةٍ صغير لم يكن مناسباً الموقف وابتسم في نهايتها وهو يقول:

- هذا كل ما أريد قوله، بالنسبة إلى الجميع شكراً لكم حقاً، منير وإيلاف وبسام، أنا سعيدٌ لأنني حظيتُ بفرصة التعرف إليكم.

أنهى تلك الكلمات التي بدت للجميع ككلمات وداع ثم ابتسم مجدداً وغادر القاعة وهو يمرر يده في خصلات شعره الطويل مبعداً إياه عن وجهه، وغرق المكان بعدها في صمتٍ ووجومٍ تام.

9

كان هوشيار يفكر كثيرًا ما الذي سيفعله فراس حين يغادر المكان ويتركه، وكان يسأل نفسه إن كان سيشعر بالوحدة لأنه لا يحدث أحدًا إلا مرؤوسه الصغير، وكان يخاف أن يعود فراس لكونه شخصًا عنيفًا وقاسيًا ومفتعلًا للمشكلات طوال الوقت، ويعد نفسه أن يفعل ما بوسعه كي يزوره ولا يشعره بغيابه.

حصل ما لم يتوقعه أي شخص، وتلك الحقيقة صدمته؛ أنه سيظل هنا لسنتين كاملتين دون فراس، لا يمكنه أن يتخيل أن (فراس) سيغادر قبله، لا يمكنه أن يتخيل ألكمس دونه، ربما في الأوضاع العادية كانت فرحته ستطغى على هذا الحزن، ولكن هذه المرة كان الحزن مضاعفًا عشرات المرات لأنه يعلم أن (فراس) لم يخرج لحريته، وإنما لعذابٍ طويلٍ في مركز معالجة السرطان.

وجد نفسه جالسًا بغرفته مع كارتال، وحالما دخل بسام نظر إليه وقال:
- أريد سؤالك عن أمرٍ ما.

نظر شاكرًا إلى إيلاف التي نادته من أجله لتقف بجانب سريريه في حين نقل بسام نظره بين هوشيار وكارتال وأضاف بسرعة:

- لا تسألني عن شيء، ما الذي تفعله في غرفتك؟ يجب أن تكون مع فراس طوال الوقت.

- لستُ قادرًا على مواجهته حتى أستوعب الوضع.

تنهد كارتال ولعن غباءه وتكفل بسام بقول ما كان يفكر فيه:

- استيعاب الوضع شيءٌ يمكنك أن تقوم به لاحقًا، في الغد لن يكون فراس هنا، حينها يمكنك أن تفكر كما تريد.

- فقط أريد أن أسأل سؤالاً واحدًا؛ ما علاج السرطان؟

- هوشيار، توقف عن كل هذا الكلام، أنت تعلم أنه لا يوجد علاج سوى بالجرعات الكيميائية، وهذه طريقة لمحاربة السرطان وليس بالشرط أن تكون علاجًا مضمونًا.

قالها كارتال أخيرًا وهو ينظر إليه بجدية ليحرك هوشيار رأسه نفيًا ويقول:

- لا، العالم يملك روبوتات يتطور عقلها أسرع بمرتين من عقل البشر، ألا يملك علاجًا للسرطان؟

- كان يملك...

قالها بسام قبل أن يتنهد ويتابع:

- لقد اخترع بعض العلماء علاجًا للسرطان قبل أن تبدأ الحرب العالمية الرابعة بشهر واحد، كان العلاج ناجحًا فصنعوا سبعين ألف كبسولة وعُبئت بطائرة لتوزع على دول العالم، أقلعت الطائرة بعد بداية الحرب وسقطت في عرض المحيط بسبب الصواريخ المتطائرة في كل مكان، كل من كان له يد في هذا العمل قد لاقى نحبه على الفور وغرقت معهم كل الأبحاث التي كانت سببًا لوصولهم لهذا الدواء، وبعد أن انتهت الحرب وبدأت الثورات التقنية لم يوجد عابرةٌ جدد لصنع الدواء مجددًا، وعاد العالم للطريقة القديمة قبل مئات السنين.

- ألا يملكون الأبحاث بالفعل؟

حالما قال كلمته ابتسم بسام بسخرية ورد:

- هل تعرف لماذا لا يوجد كتبٌ في عالمنا اليوم؟ ولم لا يعرف الجيل مطلقًا ما معنى الكتب الورقية على الأقل؟

- ما علاقة هذا بذاك؟!

- هذا ما فعلته الحرب، الحرب العالمية الرابعة لم تكن حربًا نسفت دولًا كاملةً عن بكرة أبيها وحسب، وإنما كانت حربًا لإعادة تشكيل هيكلية العالم بأكمله، الأقوى لا يريد من الأضعف أن يكون تحت سلطته وحسب، بل يريد أن يحويه من الوجود، يمحي أفكاره وحضارته

وجوده واختراعاته واكتشافاته ونهضته العلمية والتقنية والصناعية، لذلك بعد دمار كل هذه المدن، كل الكتب الورقية قد أُحرقَت ولم يبقَ إلا أشياء قليلة مخبأة في بعض أماكن هذا العالم، كلها نُسفت وتدمرت وذهبت، ومعها كل المعارف البشرية، وعشرات الآلاف من الأبحاث الإلكترونية قد دُمرت أيضًا، لقد مرت مئة وخمسون سنة على نهاية الحرب، الكتب المخبأة ظلت مخبأة خوفًا من إحراقها، ومن يملكها ما زال يحاول ابتلاع خوفه من اكتشاف أحدهم له وأن يثير الأمر فزع دولٍ أخرى وتحاول حرقها مجددًا، لأنهم يريدون جيلًا يفكر داخل صندوق العالم الافتراضي حيث كل شيء مراقب بخوارزميات معقدة تجعل أفكارك محدودة نوعًا ما، لا يحتملون فكرة أن الكتب تزيد المعرفة دون أن يعرفوا! وأن زيادة المعرفة تجعلك تفكر خارج الصندوق. لنفس السبب تدمرت كل الأبحاث أيضًا، لقد استطعنا أن نعيد إعمار العالم حتى سميناه (العالم الجديد)، وصُنعت مشاريع كبيرة بقوى بشرية هائلة، ونحن نملك الآن تطورًا هائلًا في فترة قياسية، ونملك حياةً مثالية للغاية، ونعم نحن نملك روبوتات يتطور عقلها أسرع من تطور العقل البشري، ولا نملك علاجًا للسرطان!

أخفض كارتال رأسه يفكر في كلمات بسام بينما تجمد هوشيار بمكانه ليتابع الآخر:

- توقف عن ذلك! التفكير، محاولة تقبل الواقع، ألا تظن أن هذه الأشياء يجب أن تكون في وقتٍ آخر؟
- أنا...

قاطعته كارتال:

- لا يهم ما تشعر به أنت! الساعة السابعة بالفعل، اذهب الآن.
أوماً ونهض من مكانه بخطواتٍ مترددة، وبعد فترةٍ قصيرةٍ من الشroud فتح الباب أخيرًا وغادر الغرفة ليظل الثلاثة معًا.
- علينا أيضًا أن نعيش ببعض السلام قبل أن يغادر فراس.

قالها بسام بهمس ليرفع كارتال حاجبيه باستغراب، وسألت إيلاف التي
كاد ينسى وجودها لشدة صمتها:

- لماذا؟

- لأن هوشيار سيغرق في كآبته، ولأن هاري سيصبح وغداً حقاً عندما لا
يجد من يردعه.

- الخوف الذي يكنه من فراس كان رادعاً له.

تمتم كارتال ثم نظر إلى إيلاف نظرة ذات معنى لتبتلع الصغيرة ريقها
بخوف، لاحظ بسام ذلك ليقوم مطمئناً:

- لا بأس، صحيح أن هاري الأكبر سنًا والأقدم ويمك حوله عصابته
الصغيرة، لكننا لسنا أطفالاً أيضاً، إلا أن هناك مشكلات أخرى ستحصل،
هذا ما أشعر به.

صمت للحظات ثم نظر إلى كارتال وتابع:

- فراس كان يدخن بجنون، وعلى الأرجح هذا هو سبب السرطان الذي
أصيب به، على الرغم من هوس هذا المكان بالنظام، فإن السجائر كانت
تصله بكل سهولة!

- كنتُ أسأل نفسي السؤال نفسه!

همس كارتال بسخرية ليرد بسام:

- هاري لا يخرج، ولكنه يسيطر على بعض الأشخاص الذين يخرجون
من هنا لمدارسهم لأنهم يخافون منه، هم مسؤولون عن تأمين هذه
الأشياء كلها.

- ماذا عن فصل الصيف؟

- ليس من الصعب تكديس كميات كبيرة من أي شيء هنا ما دام كل
شخص يملك غرفته، وليس هناك مسؤولون يفتشون عن هذه الأمور.

تنهد كارتال وهو يحك ذقنه مفكراً ثم نظر إلى بسام وتابع:

- في الحقيقة لقد أدهشني هذا، لم لا يوجد مشرفون؟ أنا وأنت في عمرٍ واعي
بما يكفي لنستطيع أن نتدبر كل شيء بأنفسنا، ولكن، هناك مقيمون

بعمر العاشرة هنا، لا يوجد أحد يلاحقهم لينتبه لنظافة غرفتهم أو تأديتهم لعملهم بشكل جيد أو صحتهم ومرضهم أو نظامهم الغذائي، أطفالاً يؤدون الخدمة الاجتماعية غير مدركين لقيمة تحمل المسؤولية أو إتقان العمل أو أي شيء من كل الأمور الأخرى، وأهم من كل ذلك، هؤلاء مجرد أطفال لم يحظوا بعد بالتربية الكافية وما زال لديهم الكثير لتعلمه، ولكن لا يوجد أي شخص يوجههم، ما المغزى من هذا؟!

أوماً بسام بلا وعي لأن الأكبر سنًا قضى فترة قصيرة للغاية هنا، ولكنه سأل نفس الأسئلة التي كانت بذهنه بالضبط، مما دفع كارتال ليتابع:

- فقط بعض الأنظمة ليتبعوها بلا وعي، شريحة ذكية تخصم من نقاطهم إن أسأوا واتباع الأنظمة ونسُميها (عين القانون) بكل تبجح، وأشخاص أكبر سنًا يواصلون إخبارهم بأنهم لن يعيشوا حياة شريفة إن لم تكن لديهم نقاط كافية، هل يعرفون ما معنى عيش حياة شريفة أصلاً؟! أو ما قيمة الحصول على شقة مناسبة وفرصة عمل جيدة؟! نظام النقاط هذا، النظام الذي يقوم عليه المكان بأكمله، إنه يخرِّج آلات، لا بشرًا!

قال كارتال الجملة الأخيرة دون أن يفكر بها، وكأنها خرجت من اللاوعي والإدراك الذي في ذهنه، والآن استطاع أن يفهم، أو على الأقل يتضح له القليل من الأشياء، هو يدرك الآن أن هناك شيئًا ما مخبأً بين جدران هذا المكان، حقيقة يجب ألا يكتشفها أحد، حقيقة اكتشفها هوشيار من قبل.

نظر إلى بسام الذي أدهشه بذكائه في المرات القليلة التي قابله بها، ووجد الشاب الأسمر ينظر إليه بجدية دون أن يرمش حتى، حينها أدرك أن الخيط الذي أمسكه لم يكن ضائعًا، لقد كان بسام يمسك طرفًا منه مثل هوشيار تمامًا، ولكن طبيعته الصامتة جعلت الأمور مخبأة بعض الشيء، وجعلت أفكاره حول هذه الأمور بعيدة عن الأعين. بينما ظلت إيلاف تنقل نظرها بينهما، وبعض الأفكار تدور في ذهنها غير قادرة على الغوص في هذا العمق الذي سارت به المحادثة.

10

ثلاث ساعاتٍ مرتت بسرعة، معظمها قضياها بالصمت، فراس لم يتحرك من مكانه المفضل على حافة نافذة غرفته ينظر إلى الخارج نحو المنظر الذي كان يراه كل يوم حتى أصابه الضجر، كان يراه الآن للمرة الأخيرة، شعره الطويل مجموعُ برباطٍ خلف ظهره، يسند يده إلى ركبته المثنية وأصابعه خالية من السجائر التي كان يدمنها.

لم يعد هناك الكثير من الوقت، كانت الساعة العاشرة، ولو أن هوشيار سهر معه حتى الصباح حين موعد مغادرته فلم يتبقَ لديه أكثر من تسع ساعات، لقد عاشا لفتراتٍ طويلةٍ معًا، كصديقين، كأخين، كأبٍ وابنه، والآن يفرقهما مرضٌ خبيثٌ حُرق علاجه وسط حربٍ انتهت من عشرات السنين.

- هل لديك فكرةٌ كم جرعةً ستأخذ؟

قالها هوشيار بتردد ليبتسم فراس بسخرية دون أن ينظر له ويجيب:

- لا أعلم، أظن أنني قد أموت بعد الجرعة الأولى!

شعر بانقباض قلبه ولكنه ضحك محاولاً تليين الأجواء ورد:

- لمَ تقول هذا؟! ستكون بخير، ستتغلب على المرض، أنتَ فراس القوي.

لم يجبه ليتنهد ويتابع:

- قد تكون آثار الجرعات سيئة ولكن لا تتوقف عن أخذها، حتى لو تعبت،

حتى لو تساقط كل شعرك!

أنهى كلماته التي حاول جهده أن تكون مشجعة، ولكنها كانت تبدو أكثر

قسوة شيئاً فشيئاً!

- أتعلم، لنفعل ذلك!

نظر إليه هوشيار باستغراب في حين نهض من مكانه ليفتح درج الطاولة الصغيرة ويعبث فيه لفترة قبل أن يخرج منه آلة حلاقة، وضع يده على كتف هوشيار ومدّها له وهو يقول:

- أظنني سأبدو وسيماً إن أصبحتُ مثل كارتال، افعل ذلك من أجلي.
- ولكن...

- لا بأس، سيحصل ذلك على أي حال.

قالها بابتسامة صغيرة ولم يكن بوسع الآخر سوى أن يتعجب من ابتسامته، لم يجد أي تفسير لهذا، أخيراً استجمع شجاعته وأوماً:
- سأفعل.

جلس فراس على الكرسي ووقف هوشيار خلفه، ضغط زر الآلة ليسمع صوتاً خافتاً صادراً منها ثم أغلقها وهو يسأل:

- هل تريد حقاً أن تفعل هذا؟

- أجل.

- ما الذي يعنيه لكَ شعركَ الطويل؟

هز كتفيه بلا مبالاة ولم يجب ليتابع هوشيار:

- رمز لقوتك؟ لتمردك؟

- شعرتُ برغبةٍ في إطالته وحسب.

قالها وهو يخلل يده للمرة الأخيرة في الخصلات الطويلة مرجعاً إياها للوراء كما اعتاد أن يفعل، لقد شعر برغبةٍ في إطالته حين تذكر ذات يوم أن إيلينا قالت له إنها تجد الشاب ذا الشعر الطويل جذاباً، وقد دفعه عقله دفعاً للاستجابة لرغبة الفتاة التي كان مغرماً بها!

سمع الصوت الخافت للآلة، وشعر بلسعتها الخفيفة على جلد رأسه، ثوانٍ قليلة مرت قبل أن يشعر أن ما تساقط على الأرض كان خصلةً كاملة من شعره الطويل، استمر ذلك لدقائق وهوشيار لم ينطق بأي كلمة، وشعوره بتلك اللسعات جعله يشعر بالأمر يصبح حقيقياً أكثر وأكثر كل لحظة.

- لم تبكي؟

قالها وقد شعر بشهقات الفتى خلفه على الرغم من محاولته إخفاءها ودموعه تتساقط على مؤخرة رقبته، أغمض هوشيار عينيه ضاغطاً عليها لتتساقط دموعه أكثر من ذي قبل، ما يفعله الآن يجعله يستوعب الصدمة التي تلقاها البارحة وبكى لأول مرة.

لم يرد فراس أن يستدير ليراه، كانت الغرفة شبه مظلمة إلا من ضوء صغير وبعض الإضاءة القادمة من النافذة، ولكن العتمة لم تكن السبب! وإنما شعوره بكل ما يحصل دون أن يستطيع أن ينظر.

- لم تبكي؟

سأل مجددًا وهو يرفع يده ليمسك يد هوشيار التي على كتفه ليطفئ الأخير الآلة بعد أن أصبح فراس الشاب ذا الشعر الناعم الطويل أصلع تمامًا، ورد بحرقه:

- ماذا تريدني أن أقول وأنت تخبرني بأن صديقي الوحيد سيموت؟ ماذا تريدني أن أقول وأنا أتوقع أن أي لحظة سأنظر إليك فيها أنها الأخيرة؟ ماذا عساي أفعل بهذا الشعور القاتل بداخلي؟

- صديقك الوحيد؟

ابتسم بلا وعي وهو يكررها متجاهلاً كل ما قاله، ابتسم متذكراً أن هوشيار كرر آلاف المرات أن لديه تحفظاً حول استخدام كلمة صديق وأنه لا ينادي بها أي شخص مطلقاً على الرغم من أنه يعامل مجموعته الصغيرة على أنهم أصدقاؤه، ابتسم بحب كبير لأنه أخبره بأنه وضعه في هذه المكانة التي لم يضع بها أحداً من قبل.

وضع هوشيار آلة الحلاقة على الطاولة، ثم وضع يده الأخرى على كتف فراس وضغط عليه دون أن يملك قدرة على مواجهته بكل تلك الدموع التي يذرفها ليتابع:

- هل كنت تنتظرنني أن أخبرك بذلك؟ أنني أعدك صديقي وعائلتي

الوحيدة؟!!

همس بها بصوتٍ خافتٍ للغاية سمعه فراس بوضوح، بكى كثيرًا، أكثر مما تخيل أنه قد يفعل، ولكن التفكير أنه سيغادر ويتركه يجعله مختنقًا، التفكير أنه قد يموت يجعله خائفًا للغاية.

- لقد عددتك عائلتي أيضًا.

قالها وهو ينهض ليقف بوجهه هوشيار، ابتسم بخفة كرد على دموع الآخر وتابع:

- لقد كنتَ العائلة الوحيدة لي بعد أن تخلت عني عائلتي الحقيقية.

- لا أريدك أن تموت!

قالها بذعر ليبتسم فراس ويرد:

- أعلم هوشيار، لا أريد الموت أيضًا.

كلماته تلك دفعت دموعه لتتساقط أيضًا، فراس الشاب الذي عاش السنوات التي مضت كلها يتمنى لو يجد طريقة سريعة ومضمونة نحو الموت قد قال تلك الكلمات وبكى أخيرًا، بينما عائلته الوحيدة التي وجدها في الحياة شاركته كل هذا البكاء.

رحل فراس، بعد صموده لفترةٍ طويلة، بعد قضائه أحد عشر عامًا حبيسًا بين هذه الجدران، رحل أخيرًا، ولكنه لم يخرج لينال حرّيته، وإنما ليتعالج من السرطان!

وصلت سيارة من المركز الرسمي لمعالجة مرضى السرطان لتنقله إلى هناك حيث سيقضي أيامه القادمة في حربٍ طويلةٍ مع المرض قبل أن يقضي أحدهما على الآخر، كان واقفًا في الحديقة ومقابله تمامًا هوشيار وبسام ومنير، إيلاف وقفت بعيدًا قليلًا تراقب الموقف، وأبعد منها كان كارتال يستند إلى المبنى الخشبي يحدق إليهم مفكرًا أن الشخص الذي اتهمه أنه قاتل حبيبته راحلٌ نحو معركة الطويلة قبل أن يتسنى له أن يسأله عن ذلك!

مسؤول المركز كان يستند إلى سيارته بانتظاره ليركب، الجميع كان مصدومًا من شعره، قبل أن يبادر بسام بقوله:

- بالتوفيق فراس، سنفتقد وجودك.

لم يبد فراس ردة فعل سوى أن حرك رأسه للأمام والخلف، كان بسام صادقًا، علاقته مع فراس كانت سطحيةً للغاية، ولكنه يشعر أنه سيفتقده بحق! عانقه بخفة وكذلك فعل منير الذي مشى نحوه بخطواته العرجاء ليقترب فراس منه ويمسح على ظهره وهو يقول:

- كن قويًا وتغلب على مرضك أيضًا.

- سأفعل.

ابتلع ريقه ثم أضاف بصوتٍ خافت:

- شكرًا على مساعدتي في المرات السابقة.

لم يعرف أحدٌ ما هي المرات السابقة، وما العلاقة التي كانت تربط منير بفراس أو متى قدم له يد العون، طوال فترة مرض منير لم يسأل عنه فراس مطلقاً، ولكن من الواضح أن المظاهر كانت خادعةً حقاً وأنه يهتم لأمره!

ابتعد عن منير وهو يبعثر شعره كطفل، والتفت لإيلاف الواقعة خلف مجموعة الشبان ولاحظ نظراتها المتوترة والمتعاطفة بينما يبدو على وجهها التعب والنعاس وشعرها غير مرتب لاستيقاظها سريعاً من النوم، انفجر ضاحكاً على شكلها لتعبس أكثر بينما قال:

- اعتني بنفسك يا صغيرة! تعلمي ما تستطيعين من هذا المكان، واصنعي لنفسك حياة جيدة.

أومأت له ليضحك عليها مجدداً، واتجه نحو هوشيار معانقاً إياه، شعر أنها المرة الأخيرة، هذا دفعه ليشد على ذلك العناق ويضع رأسه على كتف فراس محاولاً حفظ هذا الشعور قبل أن يفترقه، ليبتسم الأكبر ويقول:

- لقد دخلت إلى هنا منذ ثماني سنوات وقلبت حياتي رأساً على عقب، شكرًا لأنك فعلت.

- أرجوك، كن بخير.

قالها هوشيار بصعوبة، بكى كثيراً في الليلة الماضية ولكنه يريد أن يبدو قوياً الآن، هز فراس رأسه ثم تحرك مبتعداً نحو السيارة، وضع حقيبته الصغيرة في المقعد الخلفي وقبل أن يركب بها توقف للحظات، بدا على وجهه التفكير ثم التفت لهوشيار الواقف قريباً منه وضمه مجدداً بقوة أكبر، همس في أذنه بكلماتٍ ثلاث جعلته يتجمد في مكانه ثم ابتعد عنه وأدار ظهره يسير بخطواتٍ بدت للآخر بطيئةً للغاية ليركب بتلك السيارة، تحركت العجلات الأربع على الأرضية الحجرية، ومشت السيارة مبتعدة، واختفى شبح فراس من ألكمس إلى الأبد!

الجميع شعر أن (فراس) قال شيئاً ما، شيئاً جعل هوشيار متجمداً بمكانه ويحدق بعينين متسعيتين إلى السيارة التي اختفى أثرها، ثلاث كلماتٍ فقط! ثلاث كلماتٍ فقط كانت ستغير الكثير في الأيام القادمة حتماً!

7

حيث تختبئ الشياطين

مر أسبوعان على مغادرة فراس، أسبوعان أصبح المكان جحيماً لا يُطاق، هاري ومجموعته فقدوا السيطرة بسبب غياب فراس.

كان على الجميع أن يجتمعوا مجدداً، تكفل منير بجعل قاعة الدراسة فارغة، اجتمع كل من يبلغ من العمر أكثر من ستة عشر عاماً (وهو عمر أصغر شخص في مجموعة هاري) وقد قرروا أن يضعوا حداً للأمر ليعيشوا بسلام، لم يستطع كارتال وبسام أن يمنعا أنفسهما من تبادل النظرات التي فهمها كل واحد منهما، هذه المحادثة يجب ألا تجري بين المقيمين الأكبر سنّاً، من عليه أن يفكر بالحلول أي أحد مسؤولٍ عن أمور راحة المقيمين، لا المقيمين أنفسهم!

- نواجههم بالقوة حتى يتوقفوا عن أفعالهم الغبية.

قالت سيرال، الفتاة التي كانت في نادٍ لفنون الدفاع عن النفس منذ طفولتها قبل وفاة جدها المسؤول عنها ووصولها إلى هنا، حوّل الجميع نظرهم إليها ولم يمنع كارتال نفسه من الابتسام لأنه سمع هذه الكلمات القوية من فتاة، لتقول أمل بتردد:

- انتظري، هل أنتِ جادة؟

رد كارتال بلا مبالاة:

- إنها محقة، جربي أن تكسري فك أحدهم حين يقترب منكِ وصدقيني لن يفعل ذلك مجدداً.

- حقاً؟ هل جربت؟

سخر جاستن الذي كان يشارك أمل في خوفها ليبتسم كارتال بغموض ويجب:

- على الأقل فعلتها لشخص حاول مضايقة شخص عزيز علي.

رفعت إيلاف حاجبها باستغراب وحرك كارتال كتفيه بلا مبالاة لتلتقي عيناه بالفتاة الأصغر سنّاً في القاعة، ومن نظراتها قد كان من السهل أن يدرك أنها عرفت مقصده ليبتسم بخفة.

- لا أعلم، هذا الحل يبدو غير منطقي.

قال هوشيار وهو يمرر يده في شعره المجعد لترد سيرال:

- إذا نتركهم يفعلون ما يريدون ونضحك لهم؟! أم نناديهم لهذه الغرفة ونجتمع معهم ونصل لحلّ سلمي؟

- لم لا؟

قال لؤي لتضحك سيرال بسخرية بينما تابع متجاهلاً إياها:

- لا بد من وجود شيء يريدونه، حين نمنحهم إياه فسيكفون عن مضايقتنا.

- من حقنا أن نعيش في هذا المكان بسلام، وأنت لا تحتاج إلى دفع ثمن لتحصل على حقك.

قالها شابٌ بدا لإيلاف في أواخر التاسعة عشرة، ووافقهم معظمهم على رأيه.

- لم تاروا بهذا الجنون في الأسبوع الماضي؟

سألت فتاةً في السادسة عشرة وصلت للمكان من فترةٍ قصيرةٍ ممرّةً نظرها بينهم ليسود الصمت المكان قبل أن يجيب هوشيار:

- لأن فراس -الشاب الذي انهار في قاعة الطعام منذ فترةٍ وجيزة- قد غادر المكان، لذا لم يعد هناك طريقة للسيطرة عليهم.

- هل كان يسيطر عليهم؟

ابتلع هوشيار ريقه وأوماً وهو يرد:

- أنت لم تريه سوى في فترة مرضه، بالنسبة إليهم فراس هو الوحش المرعب الذي تنهش أسنانه عنق هاري إن أساء التصرف مع أي أحد، حين غادر، أصبحوا أحرارًا بفعل ما يريدون.

- هل صحيح أن (فراس) سُخِّص بالسرطان؟

سألت سيرال بنبرةٍ أقل حدة ليحرك هوشيار رأسه برتابة، وتكلف منير بالرد:

- هذا صحيح، يجب ألا نعلق أي شيء على عودته، علينا فعل شيء ما.

- لدي اقتراح.

قال بسام وهو يرفع يده ليلتفت الجميع له مما دفعه ليتابع:

- كما استطاع هاري أن يشكل عصابةً حوله وكثرتهم وقوتهم أثارت خوف الجميع، فيمكننا أن نشكل مجموعةً أيضًا، عصابة هاري لا تجتمع مطلقًا، وإنما تضايق الآخرين في فترة الخدمة الاجتماعية، بعضهم في المكتبة والمطبخ والحديقة، والقسم والأكبر متضمنًا هاري يعملون في المستودع حيث يوجد كارتال وإيلاف ولؤي وأمل وجاستن وميريه ومعظمنا! لذا، حين يقوم أحدٌ ما بإيذاء الأطفال الأصغر أو التنمر عليهم فيمكننا أن نردعهم.

- ماذا حين يجتمعون؟

قال جاستن بتردد ليرد كارتال بهدوئه المعتاد:

- لقد راقبتهم لفترةٍ طويلة، لا يجتمعون معًا إلا في فترة الغداء وفي ليلة الخميس، ونحن قادرون على الاجتماع بهذه الفترات أيضًا.

ساد الصمت بعد كلمته والجميع غرق في التفكير، شعر بالملل من موقفهم السلبي والخائف ولكنه حاول أن يتقبل أنه حين كان بعمرهم كان يتردد هكذا أيضًا بسبب الخوف، مما دفعه ليقول:

- أعجبتني فكرة بسام! أنا موافقٌ عليها.

رفع يده معلنًا موافقته لترد سيرال على الفور:

- وأنا أيضًا.

ابتسم بإعجاب للمرة الثانية، واليد الثالثة التي رُفعت كانت للؤي ثم هوشيار وبسام ومنير وتبعهم البقية واحدًا تلو الآخر، في النهاية اتفقوا جميعًا على العمل في وجه مجموعة هاري قبل أن تدمر قلوب من في المكان! - اتفقنا إذًا! لنترك اجتماعنا القادم حتى يمر أسبوعٌ من الآن لنرى ماذا سيحصل.

قالها كارتال ليحرك الجميع رؤوسهم إيجابًا، ثم بدؤوا بالخروج من قاعة الدراسة واحدًا تلو الآخر. توقفت سيرال بجانب الطاولة التي كان كارتال مستندًا إليها ونظرت إليه بتفحص قبل أن تقول:

- للمرة الثانية تعجبني مواقفك القوية، شكرًا لوجود شخصٍ قويٍ بيننا.

نظر نحوها باستغراب وقد كان على وشك إخبارها بأنه بالقدر نفسه أُعجب بموقفها القوي ولكنه وجد نفسه يسأل:

- ما هي المرة الأولى؟
- حين انهار فراس، تعلمتُ الإسعافات الأولية في النادي الرياضي ولكنني وجدتُ نفسي مشتتةً أمام ذلك الموقف.
- ما حصل مع فراس لم يكن شيئاً يمكن علاجه بالإسعافات الأولية، حتى أنا كنتُ متردداً حول ما يمكنني فعله، من الجيد وجود أطباء مختصين قريبين.
- ولكنك بادرت! كان ذلك كافياً!
- عملتُ متدرّباً في قسم الطوارئ في أحد المستشفيات خلال دراستي، لذا فقد رأيتُ الكثير من الحالات، وصدقيني لقد ارتجفت يداي في أول مرة حاولتُ إعطاء المساعدة لأحد.
- قالها وهو يرفع كفه وينظر إليها لتبتسم الفتاة له وترد:
- هذه الكلمات أسمعها من شخصٍ اعترف للتو أنه كسر فك أحدهم لأجل شخصٍ ما!
- كنتُ مستعداً لتحطيم جسده بأكمله لو اقترب من الفتاة التي أحبها.
- قالها بوجهٍ خالٍ من التعابير، محادثتهما من البداية لفتت أنظار بقية المجموعة من البداية، ولكن الكلمة الأخيرة التي قالها جعلت الجميع يطالعونهما باستغراب وعلى رأسهم هوشيار، لم يكن يبدو من هذا النوع.
- أنا سيرال بالمناسبة.
- ابتسمت باتساع معرفةً عن نفسها لينظر إليها باستغراب قبل أن يحرك رأسه ويجيب:
- كارتال.
- إذا نلتقي قريباً.
- لوّحت بيدها وغادرت لينظر هوشيار نحو كارتال باستغراب قبل أن يتحرك الجميع عائدين لغرفهم. خلع كارتال سترته وارتدى جالساً على سريره بتعابير وجهٍ متعبّة، بينما بدل هوشيار ملابسه وجلس على السرير المقابل مسنداً ظهره إلى وسادته وسأل:
- هل أنتُ معجبٌ بها؟
- رفع كارتال نظره إليه باستغراب ليتابع:
- لقد كنتُ تنظر إليها طوال الوقت.

- لا، لقد عرفتُ اسمها للتو وأعجبني فقط كيف اتخذت موقفًا قويًا أمام الجميع على الرغم من كونها فتاة صغيرة!
- تلك الفتاة قوية حقًا!

قال هوشيار بابتسامةٍ صغيرة لأن (فراس) لفت نظره إليها منذ دخلت المكان بقوله إنها تحمل نظراتٍ واثقة أكثر من غيرها، ثم نظر إلى كارتال وتابع:
- إذًا، هذا هو لقاءكما الأول؟

- لا، هل تظن أنني الشخص الوحيد الذي يخرج صباحًا ليتدرب؟! الرياضيون لا يحبون التوقف أبدًا، تلك الفتاة صنعت كيسًا من الرمل لترمي عليه ضرباتها بما أنها لم تعد في نادي الدفاع عن النفس طوال الوقت، أظنها تتمنى لو تجعل هاري كيس الرمل خاصتها.

- إذًا، أنتَ معجبٌ بها حقًا؟

- تعجبني الفتيات القويات.

قالها بتعبير وجه جامد قبل أن ينظر إليه ويضيف بسخرية:

- ولكن ليس بطريقةٍ رومانسية!

- هذا لا ينفي أنك معجبٌ بها.

قالها هوشيار بحماس ليتنهد كارتال ويهمس:

- كل المراهقين هكذا.

- لا بأس، أنتَ محاطٌ بالمراهقين والأطفال طوال الوقت، لذا لا أظن أن هذا

التصرف ليس طفوليًا للغاية بالنسبة إليك!

- ربما.

قالها كارتال ضاحكًا وهو يستلقي ليسأل هوشيار:

- هل كنتَ مرتبطًا قبل أن يدفعك عمك للدخول إلى هنا؟

نظر نحوه باستغراب من التعبير الذي قاله ثم ما لبث أن تنهد مفكرًا بالسؤال ورمى الغطاء على جسده وهو يجيب:

- كنتُ كذلك.

حالما أعطاه ظهره وغرق المكان في السكون همس بصوتٍ خافتٍ مخاطبًا

نفسه «على الأقل تخيلتُ أنني كذلك»!

2

في الأسبوع التالي تغيرت بعض الأمور بشكلٍ جذري، قام شابٌ في المستودع من عصابة هاري بضرب طفلٍ في الرابعة عشرة ليرميه كارتال أرضًا ويضربه بقوة دون إيذائه، وحاول شابٌ آخر أن يعرقل سير طفلة لتقع في الطين ليجد سيرال وراءه ترميه أرضًا بقوتها لتلوث ملابسه بأكملها، حين حاول أن يهاجمها ابتسمت بسخرية وردت عليه أنها تتوق ليحاول ذلك! أخبر هوشيار السيد غوندوز ليعزل الشاب في المطبخ عن البقية بحيث لا يستطيع مضايقة أحد، كان هوشيار وكارتال وسيرال الأكثر جرأة ليبقوا أعينهم عليهم. الأمور لم تكن حتمًا تسير بالطريقة التي يريدها هاري، كان شابًا محبًا للسيطرة وافتعال المشكلات. في الحقيقة كان فراس هو المسيطر الحقيقي على المكان حتى في أثناء صمته وهدوئه وأفعاله المعدودة، ولكن أحدًا لم يع أنه كان كذلك، هاري كان يجاهد ليأخذ هذه السيطرة.

حين أخبره فراس بمرضه صدمه الأمر وأرعبه أن (فراس) هُزم بطريقةٍ لم يتوقعها أي شخصٍ مطلقًا، ولكنه بداخله كان سعيدًا لأن الحاجز الذي كان عائقًا بوجهه قد هُدم بطريقةٍ سلسة، كان يدرك أنه لن يغادر المكان قريبًا، وكان يريد أن يسيطر على المكان الذي يمكث به.

ولكنه وجد مجموعةً كاملةً تقف بوجهه تمنعه من الحصول على ما كان يرغب فيه، لذلك قرر أنه يريد أن يحسم الأمر، يقرر من أعداؤه ويوقفهم عند حدهم. دون أي مقدمات دخلت عصابته قاعة الطعام متأخرةً بعشر دقائق وبدؤوا بقلب الصحون والطاولات على الأرض، انتفض الأطفال بذعر وبدؤوا بالهرب والتجمع في مكانٍ بعيدٍ عنهم خوفًا أن يقعوا ضحية هذه الجلبة.

نهضت سيرال من مكانها ومشت نحو هاري لتمسك بياقة كنزته بغضب وتشده نحوها لتهمس بين صرير أنفاسها:

- ماذا تفعل بحق الجحيم؟

ابتسم هاري يحدق إليها لاعقًا شفته السفلية باستمتاع مما يحصل، بينما شتمها كارتال بينه وبين نفسه ليتحرك نحوها سريعًا خوفًا عليها، كان يشهد أنها قوية، ولكنه تصادم مع هاري من قبل، ولم يكن الأمر سهلًا.

- رائحة عطر الياسمين، جميلة!

قالها وهو يقترب ليستنشق خصلات شعرها البني الفاتح لتدفعه بقوة مسببةً تجعدًا في كنزته وصاحت:

- اجعلهم يوقفون هذا الهراء.

- سيرال الجميلة، سأبدأ بتدمير غرفكم واحدةً تلو الأخرى إن حاولتم إيقافنا! تعلمين، نحن نستطيع أن نفعل ما نريد وجعل المكان ملك...

لم يتسنَ له أن يكمل جملته لأن قبضة كارتال اصطدمت في وجهه، حالما حصل ذلك ساد الصمت بين الجميع، طوال وقت بقائهم في هذا المكان لم يتوقع أحدٌ أن هناك شخصًا يمكن أن يقف بوجه هاري غير فراس، والآن كارتال يقف أمامه يحضر قبضته الأخرى ليضرب بها وجهه من الجانب الآخر قبل أن يتسنى له أن يستعيد توازنه حتى، سنده شخصٌ ما من مجموعته وسال الدم من أنفه وفمه، بينما سمع فتاةً من ورائه تصرخ بكلمة «كيف تجرؤ؟» وما إن أكملتها حتى وقعت أرضًا بسبب إحدى ضربات سيرال لها.

- سيرال، اهدئي أيتها المجنونة!

صاح جاستن لتتنظر إليه بغضب بينما تنثر شعرها بعيدًا عن كتفها بتكبر. التفتت مجددًا لهاري الذي كان أحد أصدقائه يمسح الدم المتدفق من أنفه لتضيف:

- لنا في هذا المكان مثل ما لك، لذا توقف عن محاولة تنصيب نفسك رئيسًا لعينا علينا كي لا أحطم رأسك!

كانت كلمات أكبر من فتاةٍ نحيلة في التاسعة عشرة، وكانت تنتقم لأن هاري عاكسها قبل لحظات، وحسنًا، كانت صغيرةً وأضعف مما تقول ولكنها للمرة الثانية مثيرةٌ للإعجاب للغاية بالنسبة إلى كارتال الذي ابتسم وأضاف:

- هكذا نحن متعادلون، أفسدت لنا غداءنا وأفسدنا لك وجهك! وعارٌ عليك
أن تستخدم قوة مجموعتك على أطفال صغار.
أنهى كلمته ثم نظر إلى البقية وقال:

- والآن لننظف هذه الفوضى حتى نستطيع تناول إفطارنا في الغد.
أوماً له الجميع وبدؤوا بالتنظيف في حين تشجع الأطفال الخائفون في
الجوار ليساعدوهم بالعمل، وقبل أن يتسنى لكارتيال أن يشمر عن ساعديه
وجد رافييل بجانب باب قاعة الطعام يتجاهل كل الضجة بالداخل ويشير إليه
بقوله:

- السيد أزار يريد رؤيتك.

كان يحاول ابتلاع خوفه، الغصة التي تتشكل في حلقه عندما يسمع هذه
الجملة، حدق إلى رافييل محاولاً إيجاد كلمة لينطقها دون أن يظهر ارتجاف
صوته أمام البقية واكتفى بتحريك رأسه بشكلٍ رتيب.

- المعذرة، سأعود حين أنتهي.

قالها وتوجه خارجاً ليلمح بجانب الباب هاري ومجموعته. إحدى الفتيات
كانت تمسح وجهه بمنشفةٍ رطبة وتوقف الجميع عن الكلام حالما رأوه، لم
يستطع الأخير أن يمنع نفسه من الابتسام لمجرد شعوره أنه انتقم أخيراً من
هذا الشخص.

3

صعد نحو مكتب أزار، وطرق الباب بنفس الارتباك، ودخل بنفس الخطوات المترددة والخائفة، عيناه تنظران نحو الأرض لتهرب من عيني أزار اللتين تطالعانه وكأنه فريسة على وشك الانقضاض عليها، بينما يجلس على الكرسي الجلدي الوثير واضعاً قدمًا فوق الأخرى وأصابعه تنقر على زجاج المكتب بصوتٍ رتيبٍ استفز أعصاب الشاب.

- أرى أنك توافقتَ مع المكان للحد الذي جعلك تقود ثورة!

قالها أزار واستطاع الآخر أن يشعر بابتسامته الجانبية الساخرة، تمالك أعصابه وشد على قبضة يده بقوة محاولاً أن يستجمع شجاعته ونظر إليه أخيراً، كان يرتدي بزةً سوداءً غالية مع قميص أبيض، كارتال كان مشابهاً له، تلك الملابس الغالية كانت نتيجة عيشه مع عائلة ساروس لسنواتٍ طويلة.

- أنا لم أقد ثورة، ولكن لم أجد أن الإدارة كفاءً لتوقف جانحاً مثل هاري عند حده، ففكرتُ في فعل ذلك.

كالعادة، قال الجملة ولعن نفسه حين أنهاها، كان يخاف من أزار ولكنه بنفس الوقت يتوافق معه على الرغم من أنه يعلم أن أزار لا يقبل الوقاحة أبداً، وقد يقوم برد يجعله يندم كثيراً على وقاحته ويثير فزعه أكثر. اتسعت ابتسامته الآخر للإهانة التي تلقاها، ولم يستطع كارتال أن يمنع نفسه من المتابعة على الرغم من أن جانبه المنطقي وجانبه الخائف تجمعاً على الجانب العاطفي ليسكتاه، لكنهما لم ينجحا هذه المرة.

- لقد كنتَ تراقب كل شيء، أنت تعلم أدق التفاصيل حتى، وقد أخبرتني بنفسك بأن هناك جرذاناً يخبرونك بما يحصل مقابل بعض النقاط، لم تركتهم يفعلون ذلك؟ هل كنتَ تستمتع بترك الأمور تنهار بعد مغادرة

فراس؟ هل تريدكم أن يروا (فراس) هو الشخص الذي حافظ على توازن هذا المكان، مكانك أنت؟!

- لم كنتَ موجودًا حين قاموا بتوديع فراس؟

ذلك السؤال فقط، ذلك السؤال وحده ما خرج من بين شفثيه ردًا على كل ذلك، ردًا على كل الإهانات التي يقولها كارتال ويندم بعد ثانية من قولها، ولكن آزار كان يتجاهله تمامًا ويركز على تفاصيل أخرى، هذا جعله يتوقف تمامًا عن الكلام، لم يكن ليجعله يتمرد أكثر، لأن آزار لا ينسى كلمة، ولا يمرر حرفًا، وتجاهله لكل ما قاله يعني أنه يحفظه له ليرده بطريقة مختلفة، وكما حفظ له أكثر كان الرد أقسى، لذلك ابتلع ما تبقى من كلماته وأجاب:

- كنتُ فقط واقفًا مع هوشيار!

- هل تعمقت علاقتهما إذًا؟

حرك رأسه قليلًا، فهو لم يكن متأكدًا من إجابة هذا السؤال، هوشيار محاطًا بالكثير من الناس، ولكن لا يمكنه أن يصف علاقته مع أحد على أنها عميقة، لم يكن يتعمق مع أحد.

- ما الذي قاله فراس لهوشيار قبل أن يغادر؟

- لا أعلم، سألتُه عدة مرات ولكنه رفض إجابتي!

أجاب بصدق، فقد كان الموضوع يثير فضوله أيضًا ليحرك آزار رأسه بتفهم ثم يسأل مجددًا:

- هل قال لك شيئًا عن الأمور التي يعرفها؟

- قال إنه عرف بعض الأمور، وقال إنه أخبرها لك.

قال وهو ينظر إليه، واستطاع أن يلمح عيني عمه تلمعان مما دفعه ليبتلع ريقه ويخفض رأسه مجددًا، نهض آزار من مكانه ومشى ليقف مقابلًا له كما فعل في إحدى المرات السابقة، استطاع أن يرى حذاءه قريبًا وبقي يشد على يده دون أن ينظر إليه!

- هل قال لك ما هي؟

- لا، وقال إنه لم يعرف غيرها، ولم يجد فرصةً للتأكد منها، ولكنه كان واثقًا جدًا!

همهم آزار بتفهم وبدت على وجهه علامات التفكير، نظر إليه كارتال
بتردد ليجده يحدق إليه مباشرةً قبل أن يقول:

- هذا جيد، لا أظنه يعرف أكثر من ذلك فعلاً، ولا يملك أي دليل على الهراء
الذي يعرفه، لذا أظن أن مهمتك انتهت هنا.

- مهمتي... انتهت؟

قالها بغير وعي ليبتسم آزار ويجيب:

- أجل، ألم تسمعي؟ مهمتك انتهت.

كرر آخر كلمتين بأحرف متقطعة وكأنه يريد أن يحفر هذه الحقيقة في
رأسه ثم أضاف باستغراب:

- لم فجأة؟

- لماذا؟ هل أعجبك الأطفال في هذا المكان؟ أم أن المكوث بلا دراسة
مريح لك؟

حرك رأسه بكل الاتجاهات حتى لا تلتقي عيناه بعيني عمه وهو يجيب:

- فقط، كان هذا غير متوقع تمامًا، وأنت تعلم أنني أريد العودة للدراسة،
ولكن...

- ولكن ماذا؟ خائف على الأطفال من هاري؟

كان سببًا بالفعل، ولكنه لم يكن كل شيء، بل لنكون واقعيين هو لم يكن
شيئًا، كان يخاف من حقيقة أنه سيغادر المكان دون أن يعرف كل شيء،
دون أن يعرف كيف عاشت إيلينا هنا وكيف ماتت، وما سبب كل هذه الأسرار
والتكتم حول موتها، ولكنه بالتأكيد لم يكن قادرًا على قول هذا، لذا رد بتلعثم:

- أجل، أنت تعلم أن الأطفال غير قادرين على معارضته، فهم لا يملكون
القوة الكافية لذلك.

- ولا سيرال؟

تلك الكلمة جعلته يتوتر أكثر وكأن عمه يقرأ أفكاره ليرد بصدق:

- ولا سيرال.

- لديك أسبوع، حتى يحين ذلك الوقت أريد أن أرى جسدك خارج هذا المكان، وتوقف عن خلق ثورتك التافهة تلك لأنني أرى ما يفعل هاري، وأتركه يفعل ما يريد لأنني أريد ذلك، وسأوقفه حين يحين الوقت المناسب.

- أنت تعرف كل ما يفعله لكنك تتركه يؤدي هؤلاء الصغار.

- كارتال، الصغار سيغادرون هذا المكان ليواجهوا عالمًا سيؤذيهم أكثر، هاري مفيدٌ لتقليل دلالهم.

- هل تراهم مدللين أصلًا وهم لا يملكون شخصًا يعتني بهم ويعملون بجد على الرغم من عمرهم الصغير؟

- أنا أكره الذين يتساءلون كثيرًا، لذلك لدي مشكلات عدة مع هوشيار، حتى بسام، يزعجني أنه يعرف أكثر مما يجب أن يعرفه على الرغم من أنه لم يقل ذلك!

قالها وهو يمرر يده في شعره لينظر إليه كارتال باستغراب ويسأل:

- كيف عرفتَ إذًا؟

- ذلك الفتى ذكي، وبالتأكيد شخصٌ مثله لا يقول كل ما يجول بعقله.

أنهاها ثم نظر إلى كارتال وتابع:

- اذهب إلى غرفتك الآن.

أراد أن يعترض مجددًا ولكنه سيكشف نفسه، انسحب مغادرًا محاولًا إعادة تنظيم أفكاره. وجد أن الأشخاص قد انتهوا بالفعل من التنظيف وعاد كل شخصٍ لغرفته ليتجه بدوره نحو غرفته، كانت خالية مما جعله يجلس بهدوء محاولًا ترتيب الأحداث التي حصلت معه منذ داست قدماه المكان وحتى الآن، قرأ كتابًا، غرق في التفكير مجددًا، لعب بعض التمارين، ثم غرق في النوم بإنهاك دون أن يبدل ملابسه بينما يحتضن قلاوته الفضية بين أصابعه.

4

دخل هوشيار الغرفة في العاشرة مساءً غير مكتربٍ بزميله الذي قضى الوقت وحيدًا، منذ تشاركا الغرفة اعتادا ألا يقتحم أحدهما تفاصيل حياة الآخر، كان التعامل مع كارتال مريحًا وقد بدأ هوشيار يستلطفه أكثر من البداية، ولكنه ما زال لا يثق به مطلقًا.

أشعل الضوء ليجده نائمًا، بدّل ملابسه محاولًا ألا يثير الضجة، لاحظ علامات الإرهاق على وجه كارتال، وعلى الفور لمح هوشيار بين أصابعه تلك القلادة الفضية.

القلادة تلك لم تفارق كارتال مطلقًا، لم يبدل ملابسه إلا وتذكر أن يضعها في جيبه، لمح مرات عديدة يمسكها ويتأمل بها وكأنه يحادثها، وكأنها تعطيه الأجوبة، تلك القلادة أثارت فضول هوشيار منذ رآه أول مرة، ولم يكن شخص مثله ناجحًا في إسكات فضوله. مرت أسابيع على وجود كارتال هنا، وقد ظن أنه ليس من الخاطئ أن يراها.

سحبها من يده بحذر ونظر إليها بتمعن، كانت سلسلة عادية طويلة بعض الشيء، يتوسطها حجر فضي دائري، على جانبه الأيمن مفصلٌ كالذي يوضع على الأبواب غير الإلكترونية، وعلى الجانب الأيسر تجويفٌ صغيرٌ للغاية، كان الشيء الوحيد الذي أثار انتباه هوشيار بها لأنها كانت عادية تمامًا بالنسبة إليه.

ضغط بأطراف أصابعه على التجويف ليجدها تفتح ليظهر ما بداخلها، كان قد رأى هذه الأشياء عند بعض زملائه بالجامعة، قلادات تحمل صورًا. توسعت عيناه وارتجفت أطراف أصابعه وهو يرى تلك الصورة التي يحادثها كارتال كل مساءً.

إيلينا، الفتاة التي أحبها قائده وماتت بسببه، كانت تضحك باتساع!
شعرها الذهبي متناثر على كتفيها وعيناها تلمعان ببريقٍ جميل، بينما تغرس
أصابعها في شعر كارتال المبعثر ليضحك بدوره...

إيلينا تعرف كارتال، وبالتالي فهي على الأغلب تعرف آزار، شعر بعاصفةٍ
تثور في رأسه، أعاد القلادة لمكانها وأطفأ الضوء ليندثر تحت الغطاء محتمياً
من نسيمات الليل الباردة التي ترافق أول الشتاء، وللمرة الأولى في حياته
يتمنى لو أسكت فضوله قبل أن يرى ذلك لأن الأمر استحوذ على أفكاره كلها.

5

أراد أن يمر اليوم التالي بشكلٍ عادي، ألا يظهر على وجهه أي تعبيرٍ داكنٍ يجعل شريكه بالغرفة يشعر أنه رأى سره الصغير الذي لم يكن من المفترض أن يظل سرًّا طويلًا، استيقظ في الصباح ليجد نفسه وحيدًا في الغرفة كما العادة، غادر لجامعته وعاد ليقضي خدمته الاجتماعية، وبعدها كانت فترة غداءٍ هادئة على عكس اليوم السابق، ظل يراقبه دون أن ينتبه الآخر له، لاحظ أن سيرال وجوناس و(إيلاف) جلسوا معه على نفس الطاولة وألقوا عليه التحية، وردها كارتال بهدوء ثم عاد لتناول طعامه وبعض الشرود على وجهه.

خرج من قاعة الطعام نحو الحديقة على الفور، ينظر إلى الغيوم المتجمعة في السماء والتي تنذر بليلةٍ ممطرةٍ باردة من ليالي أوائل الشتاء المفاجئة في مدينة لوكيد، شعر بأحدٍ خلفه ليستدير ويرى (منير) يتقدم نحوه بخطواتٍ بطيئة.

- هل تتحسر على شريك غرفتك؟

قالها منير ساخرًا لينظر إليه هوشيار بتساؤل بينما تابع الآخر متجاهلاً نظراته:

- لم يقض سوى فترةٍ قصيرةٍ هنا ولكن يمكنني أن أشهد أنه فعل أشياء كثيرة وحاز انتباه الجميع ولا يمكن أن ننساه بسهولة.

- فترة قصيرة؟!

- أعتقد أن علينا توديعه بطريقةٍ لائقة.

- كارتال سيغادر؟

صاح بصدمة ليرفع الآخر حاجبيه ويرد:

- ألم تعلم؟! صحيح، لم تكن معنا منذ لحظات! لؤي قال لي أنا وبسام.

- ومن أخبره؟

- بالتأكيد كارتال، تعلم أن (لؤي) يحدث الجميع في المستودع ليوزع عليهم أعمالهم.

أرجع ظهره مستندًا إلى الجدار خلفه ووضع كفه على فخذيه ساندًا قدمه المتعبّة وأضاف:

- كان شخصًا جيدًا، وفراس كذلك، أشعر بالأسف لمغادرتها بهذه السرعة! أتعلم؟ كانا يشبهان بعضهما كثيرًا!
- من أي ناحية؟

- كلاهما قويٌّ للغاية، كلاهما يحمل بداخله أكبر مما يمكن أن يُحتمل، كلاهما يستطيع أن يفعل الكثير، ولكنهما يحتفظان بتلك القوة لأنفسهما، على الرغم من أن (فراس) عنيف وعصبي وغير متوقّع وكارتال هادئٌ للغاية ويتحكم بنفسه وتشعر أن البرود يغلف تصرفاته، فإنهما يشتركان في صفةٍ مهمة؛ يحملان الكثير، كلُّ منهما قد فقد غالبًا، كلُّ منهما قد خسر أكثر مما يمكن له أن يحتمل، وتلك القوة ما هي إلا درعٌ يحميان به هشاشتهما من قباحة العالم!

كلماته كانت صحيحةً دون شك! كل شيء قاله كان ينطبق على فراس بحذافيره، وربما كارتال أيضًا، لو فكر بتلك الصورة التي يحتفظ بها وكأنها كنزها الوحيد بالعالم، سيعرف أن كارتال قد خسر الكثير أيضًا، وربما كانت خسارته الكبرى نفس خسارة فراس بالضبط؛ إيلينا!

- كيف عرفت كل ذلك؟ أنت لم تكن يومًا مقربًا من فراس!
- أوه، فقط عرفت!

قالها ضاحكًا وهو يحك مؤخرة رقبتّه بإحراج ثم قرر أن يخبره بالحقيقة ليتابع:
- معرفتي بفراس بدأت بطريقة غريبة! ذات مرة دون أي سبب طرقتُ باب غرفته وقلتُ له: «مرحبًا فراس، لدي مرض سكري الشباب، هذا المرض سيسلب مني الكثير من الأشياء الجميلة في حياتي، وأنا خائفٌ كثيرًا!». نظر إليه بصدمة ليجده يحني رأسه ويحدق إلى قدمه بينما يتابع:

- في بداية معرفتي للأمر كنتُ منهارًا تمامًا، ومهما حاول بسام مساعدتي على التماسك فقد كان صغيرًا للغاية، علاقتي أنا وبسام قوية وحين عرفتُ أنني ربما لن أعيش كثيرًا شعر بسام باليتم مرةً أخرى، ولكنني لم أكن قادرًا على مواساته، كنتُ حزينا، وخائفًا!

أنا شخصٌ يحب الحياة أكثر مما يمكنك أن تتخيل، أحبها بكل تفاصيلها البشعة والجميلة والمتعبّة، أحب أن أعمل وأتعب وأبكي وأضحك

وأصرخ وأثير المتاعب، أحب أي شيء يشعرني أنني حي، هذا الشخص التافه قد خُطف من وسط حياته التي يعشقها وقيل له إنه مريض.

ودونما وعي وجدت نفسي أرغب في شخص أبكي على كتفه، وبعدها بلحظات فكرت أنني أريد شخصاً يجعلني أقوى، شخصاً يحمل من القوة بداخله ما يكفي ليبيتها في صدر شخصٍ بائسٍ تماماً مثلي!

- أنت قوي منير، وحاربت بقوة!

همس بها هوشيار وهو ينظر نحوه مما دفع (منير) ليتابع:

- لم أكن قوياً، وقد احتجتُ حقاً إلى أن أقول الكثير من الكلمات، فكرتُ أن أذهب لمولان ولكنني شعرتُ أنها لن تفهمني، حينها ظهرت أنت أمامي تتحدث عن فراس، وكان اسمه منقذاً لي.

- ما الذي قلته؟

- كنتَ تخاطب (لؤي)، كان يخبرك عن طفلٍ مريض وأخبرته كيف اعتنى بك فراس وقت مرضك حين كنتَ طفلاً، هذا ما أردته بالضبط، شخصاً حنوناً وقوياً، فراس كان بريق أمل في ظل وحدتي المظلمة، وذهبتُ إليه لأقول له كل تلك الكلمات بلا وعي، ربما لأنه أكبر شخصٍ هنا ففكرتُ أنه سيكون بجانبني ويدعمني.

”فراس أنا خائف، فراس أنا حزين ومدعورٌ بشدة، أريد أن أبكي ولكن دموعي لا تتساقط، أريد أن أتعايش مع مرضي، أريد أن أتقبل الواقع، أريد أن أعيش أيامي القادمة دون أن أخاف أن أي واحدٍ منها سيكون الأخير، فراس، ساعدني!“

نظر إليه هوشيار بصدمة من معرفته لتلك المشاعر الدفينة التي خباها منير خلف ضحكته الواسعة والكوميديا التي يخلقها باستمرار، بينما كان الآخر ينظر إلى قدمه التي خسرت جزءاً صغيراً منها وعلى الأغلب سيخسر آخر قريباً، ويتابع:

- طرقتُ باب غرفته، قلتُ له كل ذلك قبل أن أعرف عن نفسي حتى، وقد نظر إليّ محاولاً أن يفهم ما أقوله، ولأنني قلتُ كل ذلك دفعةً واحدة استطعتُ أن أبكي أخيراً، ولم أستطع أن أكمل أشياء أخرى كانت عالقة على أطراف حنجرتي، بكيتُ لأنني ظننتُ أنني أحرق للجوئي لآخر شخصٍ قد لا يهتم لأمرى على الإطلاق.

- ما الذي فعله؟

- ظل يحدق إليّ لفترةٍ من الوقت غير مصدقٍ أن هذه الكلمات تصدر من شخصٍ لم يره من قبل، ثم احتضنني بخفةٍ لأتمسك بقميصه وأبكي أكثر من ذي قبل، عرفتُ حينها لم أنت متعلقٌ به!

- ماذا تقصد؟

- هو يملك تلك الهالة حوله، يستطيع أن يمنحك شعورًا بالأمان دون أن يقول شيئًا، استطاع أن يبث الطمأنينة لقلبي بكل بساطة، وجعل عقلي المذعور يهدأ.

حصل هذا من سنةٍ تقريبًا، كنتُ خائفًا أكثر لأن الطبيب أخبرني بأن المرض ظهر بشكلٍ مبكرٍ للغاية على جسدي وأنه تطور بسرعةٍ هائلةٍ، لذا ظننتُ أنني لن أعيش يومًا آخر، وكان هناك ذلك الشخص الذي وصفه الجميع بالعنيف ولم ألتق به سوى مرات قليلةٍ في قاعة الطعام يقف بجانبني ويدعمني، حين توقفت عن البكاء عبث بشعري ضاحكًا وهمس «يا لك من طفل!»، على الرغم من أنني لم أكن أبكي لسبب طفولي!

- هذا أغرب لقاء أول بين شخصين أراه في حياتي!

- كنتُ أريد أن أتمسك بقشة! وقد تمسكتُ به بقوةٍ بالفعل!

- هل تظن أنه سيتحسن؟

تلك الكلمة التي قالها هوشيار بيأسٍ عارم جعلت (منير) يتنهد طويلًا! هل يمكنه أن يقول نعم دون أن يشعر أنه يكذب على نفسه؟ سرطان بأقصى درجاته في رئةٍ شابٍ يدخن منذ سنوات! هل يمكن أن يُشفى منه حقًا دون أن ينهار جسده بفعل الجرعات الكيميائية؟!

- أنا آسف، عدّني لم أسأل.

قالها هوشيار حين طال الصمت بينهما، ضغط على فكه بانزعاج لينظر منير نحوه بابتسامةٍ صغيرةٍ ويجيب:

- بدأ الجو يصبح باردًا! لندخل الآن.

- هل أنت متأكدٌ مجددًا أن كارتال سيفادرس؟

قالها وهو يمشي بجانبه عائدًا للمبنى الرئيسي ليومئ منير ويرد:

- أجل، بعد أسبوع.

6

توجه لغرفته ليجد كارتال يقوم بتمارين الضغط مجددًا، لاحظ أنه كان يقوم بالتمارين الرياضية بشكلٍ مكثفٍ أكثر في الیومین الأخيرین، كما أنه أصبح شاردًا أكثر من المعتاد، أغلق الباب بقوةٍ قليلًا لينتبه الآخر له ولكنه لم ينظر نحوه كي لا يفقد تركيزه، بدّل ملابسه لشيءٍ مريحٍ وجلس على الكرسي يمسك كتابًا بين يديه لفترةٍ طويلةٍ من الوقت قبل أن ينظر نحوه ويقول:

- هل يمكننا أن نتحدث؟!

اعتدل جالسًا على الأرض مستندًا إلى أخشاب سريره ونظر نحوه مجيبًا:

- أجل، ما الأمر؟

- أنا فقط لدي فضول لأعرف سبب مغادرتك السريعة للمكان.

لاحظ تغير تعابير وجهه وسأله على الفور:

- من أخبرك بهذا؟

- لم أنت منصدمٌ بمعرفتي وقد قلتَ ذلك للوئي؟!

- لم أفعل!

- فعلتَ ذلك وهو يوزع المهمات اليوم!

- لوئي تأخر نصف ساعةٍ اليوم لذا قام أحدهم بتوزيع المهام بدلًا منه،

من أخبره؟!

لحظة قال الكلمة الأخيرة صمت مفكرًا وازدادت عقدة حاجبيه وهو يهمس

تحت أنفاسه: «آزار!».

- أخبرني منير بأنك قلتَ للوئي ذلك! هذا غير مهم، هل يمكنني أن أعرف

الآن ما السر؟ ما دمتُ لم أفهم أصلًا سبب دخولك.

- أنهى كلمته بنظرة متشككة ليزفر كارتال بانزعاج مما دفعه ليتابع:
- ولا تقل لي إنك قمتَ بابتزاز فتاة بصورها لأن هذه أسخف كذبة سمعتها في حياتي، كما أن آزار قال شيئاً مختلفاً تماماً لفراس!
- يبدو أنك و(فراس) تتشاركان كل شيء.
- همس ساخرًا ليومي هوشيار بجدية ليقول مجددًا:
- لقد أخبره بأني دخلتُ إلى هنا لأنني عبثتُ بحاسوبه.
- هذه كانت كذبةً أيضًا؟
- نبرته كانت أقرب للسؤال، إذ لم يكن متأكدًا مطلقًا من عقل آزار وهل يمكن أن يدخل ابن أخيه لهذا المكان فقط لأنه تلصص عليه.
- أجل، هذه كانت كذبة!
- كان الأمر مريبًا لأنه عرف أن مدير ميثمه ليس مجنونًا لهذا الحد في التعامل مع الفضوليين مثله، ولكن إن لم يكن هذا هو السبب فلا بد من وجود سببٍ آخر!
- كارتال لم يكن مجرمًا حقًا، لأن علاقات عمه لن تنقذه من الدخول لسجن البالغين لو كان كذلك! ولو كان الأمر هكذا فلا يمكن أن يخرج بهذه السرعة، كان هناك سبب، وكان عليه أن يعرفه!
- ما السر؟ أريد أن أعرف.
- قالها بأعصابٍ مشدودة وهو يشعر أن هذا الجواب سيغير الكثير، ليبتسم كارتال ويرد:
- لقد تطلعتُ على غرفتكَ لفترةٍ من الوقت وسأغادر لتدفن نفسك في معتزلكَ هذا مجددًا، لماذا تهتم بي؟
- يوجد سببٌ لهذا، أنتَ ابن أخيه، لم وضعك في غرفةٍ واحدةٍ معي وهو يستطيع أن يضعك في غرفةٍ فخمةٍ تتناسب مع الحياة الفارهة التي كنتَ تعيشها بالخارج!؟
- ابتسم كارتال بخفة وهو ينظر إلى هوشيار نفس النظرة التي وجهها لبسام حين حدثه عن غياب الراشدين في هذا المكان، حقيقةً واحدةً لا يمكنك

إنكارها عن ألكمس مهما وجدت أن الأمور غريبة هنا؛ المقيمون في هذا المكان أذكاءً للغاية، لو أنه لم يكن شخصاً واعياً أكبر منهم بعدة سنوات لكان من الصعب عليه مجاراتهم.

- أرسلك لمراقبتي؟ لتعرف إن كنتُ قد اكتشفتُ المزيد، لتعرف إن كنتُ قد غصتُ في العمق أكثر مما فعلتُ من قبل!

مجددًا لم يمنع ابتسامة الإعجاب لترتسم على شفثيه بينما بدت للآخر مستفزة وساخرة، وكأنها تخبره بأنه أحمق لأنه لم يعرف ذلك من اللحظة التي أخبره فيها فراس بأنه سيحصل على شريك غرفة على الرغم من أنه لا يوجد أي شخص في المكان يملك واحدًا!

- أنت جاسوسه إذا؟ جاسوس دخل خصيصي لهذا المكان لأجلي.

قالها هوشيار ساخرًا وهو يغلق الكتاب بيده وينهض ليجلس على الأرض مقابلًا لشريكه مباشرةً ومستندًا إلى سريره، يتربع كما يفعل الآخر ويأخذ نفسًا طويلًا قبل أن ينظر إلى عينيه مجددًا ويسأل:

- إذا، ما الذي عرفته؟

- ليس أكثر مما قلته لي.

قال كارتال بهدوء ساخر ثم تابع بجديّة:

- ألم تكن تعرف حقًا أن آزار يملك فئرانًا في المكان توصل له كل شيء؟ بعضهم كان قريبًا منك بالفعل!

ضيق عينيه نحوه باستنكار ليضحك الآخر مستهزئًا ويضيف:

- حتى صديقك لؤي لم تعرف به؟

- عرفت.

قالها بجمود ثم مرر يده في خصلات شعره المجعد مرجعًا إياه للوراء وتابع:

- عرفتُ ذلك منذ زمنٍ بعيد، هل تظن أنني لن أنتبه أن أحد رفاقي جاسوس؟

- أوه، هذا يجعلني أعترف بذكائك!

قال بسخرية على الرغم من أنه كان يعنيها حقًا، هو نفسه لم يدرك أن (لؤي) كذلك سوى منذ لحظات، وأدرك أن (لؤي) كان في مكتب آزار هذا اليوم ولذلك لم يتم بتوزيع المهام.

ابتسم الأخير وقال مقاطعًا الصمت الذي ساد في المكان للحظات:

- سأخبرك من أيضًا، رافييل بالتأكيد، المسؤولية عن الطعام، أما أن ماري والسيد غوندوز ليسا من جواسيسه، أشك قليلًا في مسؤولية المكتبة في مبنى التأهيل، ومن المقيمين هناك عدة أطفال صغار أعرف اثنين منهم، ومن الكبار هناك جوناس وأربعة آخرون وربما سيرال. لست متأكدًا! وقبل أن تسألني كيف عرفت يمكنني أن أقول لك أن تجرب التعاون مع بسام في اكتشاف أي شيء، وسيكون ذلك الأمر أبسط بكثير مما تتخيل.

- تثق في بسام إذًا؟!

- ربما هو الشخص الوحيد الذي أثق به غير فراس.

- ماذا عن منير وإيلاف؟

الاسمان كانا يستحقان الثقة بالفعل، ولكنه حرك رأسه نفيًا ليرد كارتال:

- وماذا بعد أن تعاونت أنت وبسام على اكتشاف الجواسيس؟ ماذا ستستفيد من ذلك؟

ابتسم هوشيار وعيناه لمعتا مما جعل كارتال في أقصى حالات انتباهه.

- لا أحب أن يتم التحكم بي! لذا فهذه كانت طريقتي للرد، أنا أيضًا أخدع آزار بطريقتي، لم أكن أخبر لؤي إلا بأشياء سيكون من مصلحتي أن يعرفها آزار، وهكذا يمكنني أن أستغل جواسيسه ضده.

- أردت أن تعرف كل جواسيسه حتى تؤكد الكذبة أو المعلومة التي تريدها أن تصل لآذانه؟ حتى لا يشعر أنك كشفت أحد جواسيسه! ولذلك كنت صامتًا معظم الوقت، كنت تقول ما تريده أن يصل وحسب!

- أدركت كل شيء بسرعة، أنا وبسام نفعل هذا منذ ثلاث سنوات!

- هذا لا يُصدّق!

خرجت من بين شفثيه دون وعي، لأول مرة يشعر أنه وجد شخصًا بنفس نكاه عمه، شخصًا ما يرى الحياة على أنها لوحة ويرى أن تصرفاته هي الألوان التي ستوضع على اللوحة، يستطيع أن يختار كل لونٍ بحذرٍ مطلق ويضعه في مكانه المناسب حتى لا تتخرب اللوحة المثالية التي يحاول رسمها في ذهنه! لم يجبه هوشيار، بل ظل ينظر نحوه بانتظار إجابة مما دفعه ليتابع:

- نعم، لقد أرسلني جاسوسًا عليك!

- ولم استسلم الآن وأنت لم تعرف مني شيئًا بعد؟

- لا أعلم.

رد وهو يحك ذقنه بينما يده الأخرى تضغط على القلادة في جيبه بقوة، انتبه هوشيار له وبطريقةٍ ما قرر أن جلسة المصارحة هذه قد بدأت بطريقةٍ مرعبة ويجب ألا تنتهي بهذا السلام، لم يعد هناك وقت، ربما يعرف أزار ما دار بينهما اليوم ويجعل كارتال يغادر في الغد، لذا، ما دام قد بدأ فسيعرف كل ما يريد أن يعرفه بأي طريقةٍ كانت، هذه الأمور كلها جعلته ينظر إلى عينيه مباشرةً ويسأل بشكلٍ مباشر ودون مقدمات:

- إيلينا كانت الفتاة الوحيدة التي دخلت الكمس وتوفيت هنا في فترة قصيرةٍ للغاية بسبب حادثٍ مؤلم، كيف تعرفها؟

مرت على ذهنه كل الأحداث الماضية محاولاً أن يتذكر متى زل لسانه وقال إنه يعرفها، إما أن (إيلاف) أخبرته أو أنه عرف بطريقةٍ أخرى!

- كيف عرفتَ ذلك؟!

قال أخيرًا ليجيب هوشيار بصراحة:

- القلادة التي في يدك، بالتأكيد سأشعر بالفضول حين أرى شخصًا باردًا لا مبالياً مثلك متمسكًا بقطعة حلي ولا يتركها مطلقًا! كان هناك سرٌّ ما أردتُ أن أعرفه!

رفع يديه مصفحًا لهوشيار دون أن يقول شيئًا وكأنه يخبره «هنيئًا فقد عرفته»، كان ذلك رده الوحيد حين عرف أن شريك غرفته اكتشف سره، أن كارتال البارد لم يكن يومًا كذلك، قبل ست سنوات من الآن كان غارقًا في الحب حتى أخمص قدميه!

- كيف تعرف إيلينا؟

قال هوشيار بجمود متجاهلاً تصفيقه الساخر ليرد كارتال بعد أن أعاد يديه إلى حجره مرجعاً ظهره للوراء:

- لا أريد أن أسمع ذلك من شخص عرف إيلينا لسنة واحدة بينما عشت كل حياتي معها!

- عشت كل حياتك معها؟

- سمعت أنها كانت مقربة منك ومن فراس، أستغرب كيف ظننتما أن علاقتكما قوية معها بما يكفي وهي لم تخبر (فراس) بأهم سر في حياتها!

- فراس كان يحبها لأنها كانت تنقذه من ظلامه، لم يسألها عن أي شيء آخر.

قال هوشيار بحدة مدافعاً عن قائده الغائب لبيتسم كارتال ويرد:

- أعلم ذلك، ولكن ربما هي لم تحبه بما يكفي لتقول له إن اسمها الحقيقي هو إيلينا ساروس، وإنها ابنة أخ أزار مثلي تماماً!

هذه المرة هو من صمت، غرق في ذكريات قديمة وكثيرة، لحظة موت إيلينا، جنازتها التي أقيمت في الكمس، النظرة على وجه أزار لم تكن تُفسر مطلقاً، الجميع ظن أنه كان منزعجاً لأنه خسر طفلاً من ميمته، بالتالي خسر شيئاً من معركته، لكنه الآن يدرك أن الحقيقة لم تكن كذلك، لأنه خسر ابنة أخيه!

- هل أنت وإيلينا إخوة أم أبناء عم؟

قالها بحذر لبيتسم كارتال متذكراً أنه خاض هذه المحادثة مع هاري من قبل وأجاب:

- لا هذا ولا ذاك، أزار كان يملك شقيقاً واحداً يدعى كنان، وكنان لم يكن يملك سوى ابنة واحدة، إيلينا كنان ساروس هي ابنة الأخ الوحيدة لأزار ساروس، أما أنا مجرد طفل يتيم تبناه كنان منذ أن كان طفلاً.

كانت حقيقة صاعقة أخرى، لم ينكر هوشيار أن هناك فرقًا كبيرًا في الشكل بين كارتال وأزار، والناظر إليهما لا يصدق أنهما من عائلة واحدة، ولكنه لم يتوقع ولا لمرة واحدة أنه متبنى.

إذا فهو وإيلينا من عائلة واحدة، ولكنهما ليسا كذلك حرفيًا، هذا جعله يصمت متجمدًا في مكانه ولم يعد يملك أي أسئلة لي طرحها، فما عرفه كان أكثر من كافٍ بالنسبة إليه.

- بعد وفاة كنان اعتنى أزار بي وإيلينا حتى دخلت هذا المكان لسبب ما، نبذها أزار هنا تمامًا مما دفعها لتطلب إبقاء صلتها العائلية سرًا، ولم تبقى على قيد الحياة سوى لسنة واحدة بعدها.

لم يتكلم هوشيار لبيتسم كارتال بحزن ويتابع:

- هل تعرف معنى أن يموت والداك في سن صغيرة ثم يموت والداك بالتبني وتخسر عائلتك مجددًا، وأخيرًا تسجن الفتاة الوحيدة التي تبقت لك لتموت بعد سنة واحدة بشكلٍ غامض بينما ينظرون إلى عينيك ويقولون بتلك الأعين الكاذبة كان انتحارًا! لقد خسرتُ عائلتي مرةً تلو مرة، وأجبرتُ على العيش وحيدًا في منزل رجلٍ مرعبٍ كالموت، لذا أنا لا أهتم حقًا حين يخبرني أحدكم بأني بارد المشاعر لأنني كذلك بالفعل، ولكنكم لم تعرفوا حقيقة الحياة التي عشتها!

- أنت أيضًا لم تعرف ما معنى أن تعيش في مكانٍ مليءٍ بالقوانين، وشريحة ذكية تحسب نقاطك لتقرر حياتك، وشخصٌ أكبر سنًا يُقال عنه قائدك، ويملك القدرة للتحكم بنقاطك، يستمر بتوبيخك، نحن أيضًا نملك تفاصيل نرغب لو ننساها!

همس هوشيار بصوتٍ خافت ليهدأ كارتال، لم يصدق أنه أخبر شخصًا ما أنه يكره كل جزء في حياته ويرغب في التملص منه بكل ما لديه من قوة، تنهد أخيرًا وهو يحك ذقنه وسأل بجديّة:

- كيف ماتت إيلينا؟ ولا تقل إنها انتحرت لأنني لم أصدق هذه الكذبة طوال ست سنوات لعينة!

- كارتال، يمكنني أن أخبرك، ولكن أظنك ستتمنى أنك لم تعرف ذلك مطلقاً!

ابتسامةً جانبيةً ارتسمت على شفثيه ورد:

- هل أبدو لك من النوع الذي يخاف من الحقيقية أو يجد صعوبةً في تقبلها؟ لا تخف، أي خيبة جديدة لا تعني شيئاً بالنسبة إلي.

- سأخبرك، بشرط أن تسمعي حتى النهاية، وبشرط أن يبقى هذا سرّاً.
- سرّاً عن من؟

- آزار!

قالها بجمود ليضيق كارتال عينيه باستغراب، ألا يعرف عمه كيف ماتت إيلينا بينما يعرف هوشيار؟ لم يكن الأمر غريباً كثيراً على شابٍّ يوصل المعلومات التي يريدتها بالطريقة التي يريدتها منذ ثلاث سنوات، لقد عرف حقيقة أن آزار تم التلاعب به من قبل هؤلاء الأطفال أكثر مما تلاعب بهم تقريباً وبأبسط الطرق.

- عمك يعرف نصف الحقيقة بالفعل، منذ وفاتها وأنا وفراس نبحت في الأمر، استسلم فراس بعد فترةٍ قصيرة ولكنني لم أستطع أن أفعل.

- كنت طفلاً في الثانية عشرة حينها!

- لنقل إنني بدأتُ أحقق بشكلٍ جدي منذ فترةٍ قصيرة، يمكنني أن أشاركك بالتفاصيل بشرط ألا يعرفها آزار.

قالها بصدق وهو يتمنى بداخله ألا يندم لاحقاً لوثوقه بهذا الشخص الذي يعد أقل واحدٍ محل ثقةٍ حوله، ولكن هناك صدقاً في نظرات كارتال، وحرناً عميقاً، وحباً مدفوناً، وكثيراً من الأسئلة جعلته يقرر أن يخبره، ولو علم آزار بذلك فستكون مشكلة، ولكنها ليست مشكلةً كبيرةً ما دام أنه لم يرتكب أخطاءً فادحةً في أثناء تحقيقه.

حرك كارتال رأسه إيجاباً غير مصدقٍ أنه سيعرف الحقيقة من لسان هوشيار نفسه بعد أن استغل (إيلاف) لتبحث عنها من أجله. اعتدل الآخر في جلوسه على الأرض الباردة ثم نظر إلى عينيه مباشرةً وقال:

- حصل الحادث قبل ست سنوات، في الاحتفال السنوي بعد إعلان نتائج القبول الجامعي، رقصنا ولعبنا وفعلنا الكثير من الأمور الجنونية، فراس كان في العشرين من عمره وقتها، إيلينا كانت في الثامنة عشرة، وقد كان فراس يحبها بحق بينما اتخذته صديقها الوحيد، شخصٌ ما أعطى (فراس) مشروبًا ما وبعدها شعر فراس بالدوار والتعب بشكلٍ غريب، وأخبرنا بأنه سيعود لغرفته لتسندة إيلينا على كتفها وتأخذه لغرفته، وكانت تلك آخر مرة رأينا إيلينا حيةً فيها!

- ما مشكلة الشراب؟

- كان بداخله مهلوساتٌ من نوعٍ قوي، وبما أن (فراس) لم يتعاطَ مطلقًا فقد أثر ذلك على عقله وألقاه في هاوية الجحيم، ولم يكن أمامه في ذلك الوقت سوى الفتاة التي يحبها.

صمت دون أن يكمل لينظر نحوه كارتال بانزعاج، تساءل إن كان بوسعه قول ذلك ولكنه التقط أنفاسه وتابع:

- لم يكن في كامل قواه العقلية مطلقًا، ولو كان كذلك لما فعل شيئًا يؤذيها قط، ولكن جانبه العنيف المختبئ بداخله خرج بسبب كل تلك المواد المخدرة، لقد أذاها بشدة!

قال الجملة الأخيرة وهو يضغط على يده بقوة، التعابير على وجه كارتال كانت تبدو لشخصٍ على وشك ارتكاب جريمة، وكانت المرة الأولى التي يشعر فيها هوشيار بالامتنان لمرض فراس الذي أنقذ المكان من معركةٍ طاحنة بين شخصين مثلهما كانت ستنتهي بموت أحدهما حتمًا.

- قل إن هذه مزحة!

- ليست كذلك!

أحداث ذلك اليوم مرت على عقله لتراوده رغبةً في البكاء على الأمور التي حصلت، أغمض عينيه وضغط عليهما بقوة متمالكًا نفسه ثم نظر إليه مجددًا وتابع:

- في اليوم التالي استيقظ فراس ووجد إيلينا ميتةً في غرفته، جالسةً على الأرض وظهرها مستندٌ إلى السرير، تمامًا كما يجلس كلانا الآن!

كان هناك إصابات وكدماتٌ عديدةٌ بجسدها، شرايينها متقطعةٌ بشفرة حادة، تذكر أنه طعنها في ظهرها.

- انتحرت بسببه!

تمتم كارتال بنبرةٍ أقرب للبكاء وهو يصدق لأول مرة أنها انتحرت، كان يرفض الفكرة لأنها فتاةٌ تحب الحياة كثيراً، ولكن الأمر يبدو منطقيًا بعض الشيء بالنسبة إليه، على الفور قاطعه هوشيار:

- اسمعني للنهاية.

نظر نحوه ليتنهد ويتابع:

- نُقلت جثتها خارج غرفته وأحدث الأمر ضجةً عارمة، كنتُ صغيرًا للغاية ولم أفهم الأمور جيدًا، حينها سألتُ فراس عن الذي فعله فأجابني أنه قتلها! كانت الكلمة الوحيدة التي عبّرت عن مشاعره والتي فهمها صغيرٌ مثلي.

كان التحقيق ما زال جاريًا، ونظام الكمس لا يسمح بكاميرات المراقبة داخل الغرف، كما أن الوقت كان حساسًا بعض الشيء، ليلة الاحتفال تلك كانت صاحبة ولم ينتبه أحدٌ لشيء.

كنتُ طفلًا صغيرًا وقتها، وحين قال فراس ذلك بدا بعيني مجرمًا وسيئًا وكرهته ناسيًا كل الأمور الجيدة التي فعلها من أجلي، ركضتُ إلى أزار وقلتُ له إن (فراس) اعترف لي أنه قتلها، وشيئٌ به وقد كنتُ الشخص الوحيد الذي وثق به، وحتى الآن أنا ألعن هوشيار الطفل لأنه قطع الحبل القوي الذي كان يربطه بفراس!

صمت للحظات ليأخذ نفسًا عميقًا، بدوره لم يكن يصدق أنه يقول هذا، أنه يخبر شخصًا ما بالخيانة التي ظل يحملها في قلبه طوال حياته.

- استدعى المحققون (فراس) وسألوه عن الأمر وأجبروني على الجلوس مقابلًا له، حينها نظر إلى عيني نظرةً لائمةً لأنني أفسيتُ ما قاله لي، نظرته جعلتني أعرف أنني أخطأتُ خطأً كبيرًا كان يجب ألا أرتكبه، وابتسم مجيبًا «أجل، قتلتها بيدي وجعلتُ الأمر يبدو كانتحار!» وقد صدّق الجميع اعترافه، حتى أنا.

- إَذَا فَعَد قَتْلَهَا حَقًّا؟!

هَمْس كَارْتَال بَلَا وَعِي وَهُوَ يَتَذَكَّر مَحَادِثَةَ عَمِّهِ وَفِرَاس لِيَتَابَع هُوشِيَار:
- بِطَرِيقَةٍ مَا بَقِيَ فِرَاس هُنَا وَلَمْ يُنْقَل لِسَجْن الرَاشِدِينَ، لَمْ يَعْتَرَف أَنَّهُ
كَانَ تَحْتَ تَأْثِيرِ المَهْلُوسِ. طَوَالَ السِتِّ سَنَوَاتِ المَاضِيَةِ بَقِيَتْ أَخْبَرُهُ
بِأَنَّ عَلَيْهِ أَنَّ يَغْرُق فِي النَّدَمِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَلَا يَنْسَى ذَنْبَهُ نَحْوَهَا مَطْلَقًا لِأَنَّ
هَذَا هُوَ اعْتِدَارُهُ الوَحِيدَ نَحْوَهَا، لَمْ يَخْبِرْنِي أَنَّهُ كَانَ مَخْدَرًا سِوَى قَبْلِ
فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ.

- لَوْ قَالَ ذَلِكَ يَوْمَهَا لَبَحِثُوا عَمَّنْ أَعْطَاهُ المَخْدَرِ!
- أَجَلٌ، فَكُرْتُ فِي هَذَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ! لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ يَحْمِلَ اللُّومَ كُلَّهُ، وَهَذَا
مَا حَصَلَ، بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا جَمِيعًا فِرَاس هُوَ القَاتِلُ وَالمَعْتَدِي، كُلُّ الذِّينِ
كَانُوا فِي المَكَانِ مِنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ وَحَتَّى اليَوْمِ أَصْبَحُوا يَخَافُونَهُ بِشَكْلِ
أَكْبَرٍ، حَتَّى حِينَ يَأْتِي شَخْصٌ جَدِيدٌ سَيَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنَّ يَبْتَعِدَ عَن فِرَاسِ،
وَأَنَا نَفْسِي كُنْتُ وَغَدًا بِمَا يَكْفِي وَطَلَبْتُ ذَلِكَ مِنْ إِيلافٍ، كُنْتُ الشَّخْصَ
الوَحِيدَ الَّذِي يَتَحَدَّثُ مَعَهُ لِأَنَّهُ قَائِدِي، وَقَدْ أَخْبَرْتُهُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ بِأَنَّني أُرِيدُ
التَّخْلَصَ مِنْهُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ كَاذِبًا، فِرَاس كَانَ أَهْمَ شَيْءٍ فِي حَيَاتِي، وَلَوْ
كَانَ قَاتِلًا فَمَا زَالَ عَائِلَتِي الوَحِيدَةَ!

- قَتَلَهَا وَجَعَلَ الأَمْرَ يَبْدُو انتِحَارًا، كَيْفَ يُمْكِنُكَ أَنَّ تَتَّقَ فِي شَخْصٍ كَهَذَا؟!
قَالَهَا كَارْتَال بِقَرْفٍ لِيَهْز هُوشِيَار رَأْسَهُ وَيَجِيبُ:

- أَرَادَ فِرَاسُ أَنَّ يَحْمِلَ نَفْسَهُ الذَّنْبَ، وَلَكِنَّهُ فِي الحَقِيقَةِ لَمْ يَقْتُلْهَا، لَقَدْ
أَخْبِرْنِي ذَلِكَ، آخِرَ مَا قَالَهُ لِي قَبْلَ أَنْ يَغَادِرَ (أَنَا لَمْ أَقْتُلْهَا)، وَأَنَا أَصْدَقُهُ
بِكُلِّ مَا لَدِي.

تَمَّتْ وَهُوَ يَتَذَكَّرُ ذَلِكَ العِنَاقَ وَالكَلِمَاتِ الأَخِيرَةَ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِعَ فِرَاسُ أَنْ
يَغَادِرَ دُونَ أَنَّ يَعْتَرِفَ بِهَا، تِلْكَ الكَلِمَاتُ جَعَلَتْ هُوشِيَارَ يَغْرُقُ فِي مَسْتَنْقَعِ
النَّدَمِ أَكْثَرَ مَتَذَكَّرًا كُلِّ مَرَّةٍ تَعَامَلُ بِهَا مَعَ فِرَاسَ بِشَكْلِ سَيِّئٍ وَأَخْبِرُهُ بِأَنَّهُ لَا
يَسْتَحِقُّ السَّعَادَةَ.

- حَتَّى لَوْ أَنَّهُ كَانَ مَذْنِبًا لِلغَايَةِ بِمَا فَعَلَهُ مَعَهَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ مَخْدَرًا وَغَيْرِ وَاغٍ،
وَلَوْ نَظَرْنَا إِلَى الأَمْرِ بِشَكْلِ مَوْضُوعِي، فَالشَّخْصَ الوَحِيدَ الَّذِي يَحْمِلُ

الذنب في موتها هو من وضع ذلك الشيء في مشروبه بذلك اليوم، سواءً انتحرت أو ماتت مقتولة ومُتَّل الأمر على أنه انتحار فهناك قاتلٌ واحد، وهذا القاتل ليس (فراس) حتمًا! يجب ألا يحمل الذنب مطلقًا!

قالها بإصرار مجددًا وكأن دفاعه عن فراس هو اعتذاره الوحيد عما فعله في الماضي. اعتدل في جلوسه ليقترّب من كارتال ويخاطبه بنبرة جدية وكأنه يريد أن يحفر هذه الكلمات في رأسه:

- فراس ليس مذنبًا، وسأبقى أبحث عن الشخص الذي كان سببًا في هذا وسأنتقم منه لتدمير حياة شخصين مهمين جدًا لدي، صدقني سأفعلها...

- ماذا لو كان أزار متورطًا؟

- لا أهتم، يمكنك أن تدافع عن عمك كما تريد!

كشر بانزعاجٍ ورد:

- هل بدوتُ لك منذ بدأنا الكلام أنني شخصٌ يحب عمه ويرغب في الدفاع عنه؟

- إذًا، هل ستقف معي لنبحث عن الفاعل معًا؟

- أنا سأغادر هذا المكان قريبًا، لا يوجد شيءٌ يمكنني فعله لأجلك!

همس كارتال وكأنه يخشى أن يسمعها أحد، ثم تنهد وأضاف:

- ولكنني مستعدٌّ أن أقدم لك ما تريد من الخارج، سنجد طريقةً للتواصل معًا!

- هذا جيد، سأعمل من الداخل وستعمل من الخارج، وسنعمل على إيجاد الفاعل معًا.

زفر هوشيار براحةً وكأن الجبل أُزِيح عن صدره بعض الشيء. كل ما عليه أن يفعله الآن أن يتمالك نفسه ويعمل بروية حتى يستطيع أن يجد السبب في كل ما حصل، حينها فقط سيوفي فراس شيئًا صغيرًا مما أعطاه إياه.

في اليوم التالي شعر كارتال أنه ينظر إلى الأمور من وجهة نظرٍ مختلفة، أصبح يطالع الجميع بأعينٍ متشككة وقد حاول إخفاء هذا خلف تعابيره الباردة وقبعته التي يضعها على رأسه وقت العمل، الجميع في وجهة نظره أصبح جاسوسًا أو قاتلاً محتملاً، احتقر فكرة أن (لؤي) الذي بدا أكثر شخص مسالم ولطيف مع الجميع جاسوس يخبر عمه بكل ما يحصل معه، رأى (بسام) يتحدث مع لؤي لوقتٍ طويل قبل بدء الخدمة الاجتماعية ويضحكان، الأول يستند إلى باب المستودع وينفجر ضاحكًا بينما يحدث بسام عن فريق كرة القدم في المدرسة وكيف انحدر لعبه هذه السنة. مكتبة سر من قرأ من البداية أخبروه بأن علاقة بسام ولؤي قوية للغاية، وأن (بسام) يعد (لؤي) صديقه الأقرب، ولكن ما يراه كان مختلفًا عن الحقيقة، شخصٌ واثق يجري محادثةً عاديةً للغاية مع آخر ذكي للغاية ويحاول أن يسرق منه بعض المعلومات، والآخر يماشيه بطريقةٍ غير متوقعةٍ تمامًا ليبدو وكأنهما صديقان مقربان للغاية، ربما هما كذلك، ولكن هذه الصداقة كانت هشّة جدًا في أعماقها.

بعد أن أنهى مهامه في المستودع توجه للقسم الطبي من المستودع، أغلق الباب خلفه على الفور، إذ كان القسم الطبي معزولًا قليلًا في غرفةٍ منفصلةٍ عن باقي أقسام المستودع لكي لا تختلط الأدوات الطبية بالمنظفات أو الأطعمة، ووجد نفسه يمرر عينيه على الأرفف التي رتبها بنفسه منذ فترة قصيرة حتى وصل لرفٍّ ممتلئٍ بمئات العقاقير التي لم يكن يحفظها كلها، على الفور قسّمه إلى أربعة أقسام وقرر أن يتصفح قسمًا كل يوم، بدأ يقرأ أسماءها واحدةً تلو الأخرى، بعضها كانت مسكنات ألم مشهورة وأدوية ضغط وسكر وأدوية مفاصل ومراهم للحروق، بعض الأشياء لم يعرفها، لذا حفظ اسم المادة العلمية ليجت عنها لاحقًا.

سيعرف مهما كلفه الأمر، سيعرف إن كان هناك عقارٌ من بين هذه الأشياء يسبب تخديرًا يجعل (فراس) يفعل كل ذلك، وسيعرف من كان يملك حق الوصول لهذه العقاقير في تلك الفترة بالذات.

حين انتهى من ذلك توجه إلى نهاية المستودع ليرى الفتاة التي تعمل على الحاسوب، طرق بأصابعه على الجدار بخفة لتنظر نحوه وتقول:

- مساء الخير.

- مساء الخير، كيف حالك؟

- بخير، سمعتُ أنك ستغادر!

- بعد خمسة أيام تقريبًا، أردتُ إخبارك بأنه لا حاجة لك بعد الآن لتستعلمي عن أمر موت إيلينا من أجلي.

- لماذا؟!!

قالت باستغراب ليهز كتفيه بغير اكتراث ويرد:

- فقط افعلي ذلك.

خرج من المكان، تناول الطعام ثم عاد لغرفته بعد أن أخذ كتابًا طبيًا من المكتبة، دخل هوشيار بعده بلحظات ووجده للمرة الأولى جالسًا على طاولة الدراسة يضع أمامه كتابًا ويبحث بجد بينما يحك ذقنه بقلمه.

- ماذا تفعل؟

استغرق منه الأمر وقتًا قبل أن يضغط زرًا على جانب الكتاب لتُغلق شاشته ويمدد عضلاته ثم نظر إلى هوشيار وقال:

- بحثتُ في الأدوية الموجودة في المستودع لأرى إن كان هناك شيءٌ قد يعطي تأثيرًا مخدرًا كالذي حصل مع فراس.

ظهرت علامات الاهتمام على وجهه واقترب من الطاولة ليرى، ولكن كارتال قاطعه بقوله:

- لم أرَ سوى ربع الأدوية اليوم ولم أفلح.

- نعم، إنها قوانين الحظ السيئ.

قالها هوشيار ساخرًا وهو يرمي جسده على سريره ليرد كارتال:

- أنتَ محق، سأكمل البقية في الغد.

صمت للحظات قبل أن يطلق تنهيدة طويلة ويتابع:

- لستُ واثقًا إن كنتُ سعيدًا أو راضيًا عن كل شيء، دخولي إلى هنا وتعرفني عليكم والفوضى التي وقعت بحياتي ومعرفتي لحقيقة لطالما كنتُ أبحث عنها.

- لم أشعر بالرضا يومًا عن كل ذلك، ولكنني تقبلته.

رد هوشيار قبل أن يخرج القلادة الذهبية من عنقه ويتابع:

- حين بدأتُ بكل ذلك قبل ثلاث سنوات كنتُ خائفًا كثيرًا، لم أخبر (فراس) بشيء ولكنني لمحتُ له ببعض الأشياء، بسام مثلي تمامًا، يريد

أن يخرج من هنا ويفعل ما بوسعه لينسى ما فعله هنا.

- كنتم تعيشون حياة مثالية لولا ذلك.

- كل الأمور كانت على ما يرام، ولكن كان هناك شيء ما خاطئ، شيء لم نلاحظه إلا بوقت متأخر!

- ما هو؟ أنت حتى الآن لم تخبرني ما الشيء الذي اكتشفته لتخلق هذه الضغينة بينك وبين أزار وليهددك بالقتل أيضًا!

قال كارتال باستغراب ليغمض هوشيار عينيه وحسب، أراد أن يعرف ما الذي يفكر فيه، ما الذي يدور في ذلك العقل الذي يملكه، ولكن هوشيار التزم الصمت بشكل غريب قبل أن يتنهد ويقول أخيرًا:

- ربما أخبرك قبل أن تغادر.

- قبل أن أغادر؟

نهض من مكانه يقطع مفاصل أصابعه وتوجه للخارج مضيئًا:

- أجل، ربما أفعل!

أغلق هوشيار باب الغرفة واستند إليه آخذًا نفسًا طويلًا، يبدو الأمر أصعب وأصعب كلما تكلم عنه، ولكن عليه أن يتحلى بالقوة، فلو بقي غير قادرٍ على مواجهة الواقع ولا على الهرب منه سيبقى ضائعًا للأبد.

كان بسام هو الشخص الوحيد الذي يشاركه نفس الشعور، على الرغم من أنهما يظهران بغير ذلك بالنسبة إلى الجميع، ولكن تلك الحقيقة المخبأة كانت سرًا يتوجب عليهما الحفاظ عليه ولو عنى ذلك تمثيل الرضا والسعادة طوال الوقت.

8

طرق باب غرفة بسام ودخل، وجده يعلق كتابًا بيده وابتسم لأن ثقافة هذا الشاب المرعبة جاءت من الوقت الهائل الذي يقضيه في القراءة، جلس على الكرسي الوحيد بالغرفة وبقي بسام جالسًا على سريره ينظر إليه بانتظار أن يتكلم، كان قد أخبره بالمحادثة التي دارت بينه وبين كارتال، وقد لامه بسام لكشف الكثير من الأمور، والآن يريد أن يخبره بأنه يفكر في قول كل شيء لكارتال.

ابتلع ريقه قبل أن يتحدث أخيرًا:

- كارتال بدأ البحث اليوم في المستودع عن وجود عقاقير يمكن استعمالها لتسبب ما حصل مع فراس بذلك الوقت، لو كان العقار من داخل المكان، فيمكن معرفة الفاعل بسهولة من خلال تاريخ العمل الموجود مع لؤي.

- تعلم أننا لا نقدر على الحصول على شيء كهذا من لؤي!
- التاريخ موجود في الجهاز الذي يستعمله لؤي في المستودع وليس في عقله، يمكننا أن نعرف كل شيء إن استطعنا الحصول على الجهاز.
- لا يمكننا أن نثق في أحد من داخل المستودع.

صمت هوشيار للحظات قبل أن ينظر إليه ويقول بتردد:

- ماذا عن إيلاف أو كارتال؟

- إيلاف، لا أستطيع أن أثق بها!

توسعت عينا هوشيار باستغراب ورد ساخرًا:

- هل أسمع هذا من الشخص الذي يقضي كل وقته معها أكثر مني؟
- لأنني أفعل ذلك فأنا أعرف أنني غير قادرٍ على الوثوق بها! طبيعتها غريبة، فقط تبقى صامته طوال الوقت ولا تحب أن تعبر عن مشاعرها، هذا يزعجني، شخص كهذا لا يمكنك أن تعرف إن كان بوسعك الوثوق به.

- هذا لا يجعل كارتال مختلفًا!

- أجل، ولكن كارتال، أشعر أن غايته واضحة، وأشعر بنفس الوقت أنه يحمل بداخله حقداً على أزار أكثر منا جميعاً.

- أريد أن أثق به، ولكنني مترددٌ جداً من هذا!

- أنا أيضاً!

قال بسام وهو يمرر يده في شعره الأسود قبل أن يصمت مفكراً لفترةٍ من الوقت، وبدوره هوشيار فعل المثل، كانا بحاجةٍ إلى استجماع أفكارهما مع كل التغييرات التي حصلت، حتى نظر بسام إليه أخيراً بعينين جادتين وقال:

- نحن نسير على نفس الوتيرة منذ ثلاث سنوات، نجمع المعلومات، نبحث عن أشياء لا نعرف ماهيتها، نخلق كذباتٍ كثيرة ونخبرها لأقرب الناس إلينا، نضع أنفسنا تحت الخطر لأن الحقيقة التي عرفناها تجبرنا على الانتقام، وهذه طريقتنا الوحيدة في الانتقام.

- أنا أعلم.

قالها هوشيار وهو يخفض بصره عن صديقه الأسمر، كان يكره الاعتراف بهذه الحقيقة ويوهم نفسه أنه يفعل كل هذا ربما لينقذ العالم، ولكنها كانت كذبةً سخيفة أوهم نفسه بها أنه بطلٌ خارق، كل الأمور التي عرفها طوال هذه السنوات تراكمت في ذهنه وخلقت حافزاً كبيراً للانتقام كان ينمو في صدره كل يوم!

- سنثق بكارتال لناخذ الخطوة الأكبر، هذه أكبر مخاطرة سنقوم بها على الإطلاق، قد نكون ممتنين للأبد لأننا فعلنا ذلك، وقد يكون أكبر ندم نعيشه -هذا إن لم يسعَ أزار لقتلنا بعد ذلك- إن وافقتَ على ذلك فستكون هذه المرحلة الأخيرة، وسيستحق الكذب الذي كذبناه طويلاً على لؤي ومولان كل ما فعلناه! سنخطو بهذه المرحلة بطريقةٍ لا يمكن العودة منها!

- أنا موافق.

- أنت تعلم أن هذا القرار قد يؤدي بنا للجحيم!

- أجل، وقد يكون الطريقة الوحيدة للانتقامنا من شياطين الجحيم التي نعيش فيها الآن.

قالها هوشيار ثم حمل الكرسي ليقترّب من سرير بسام ويضيف:

- لدي خطة.

في اليوم التالي فعل كارتال الأمر نفسه، حين وضع آخر عقار في مكانه
شعر بالباب يُفتح ليجد (لؤي) ينظر إليه بريبة ويسأل:

- ماذا تفعل هنا؟

- ألم تقل لي أن أرتب هنا؟

مكتبة

t.me/soramnqraa

- لا، لقد قلت قسم الزراعة بوضوح تام.

- سمعتك بشكلٍ خاطئ.

ظل لؤي يلاحقه بنظراته حتى مر بجانبه مغادراً، توقف بقربه لوهلة وظل
ينظر إليه من علوٍ قليلاً قبل أن يقول:

- ظننتُ أنك مشغولٌ كثيراً لتلاحق مكان واحد تلو الآخر.

كلماته كانت مشككة، كون هذا الشخص خائناً يبدو مزعجاً أكثر من
غيره لأنه قريبٌ جداً من بسام، لا أحد يعرف كيف يمكن لشخص ما أن يكون
صديقاً رائعاً وبالوقت نفسه ينقل أخبار صديقه ويخون ثقته.

توجه لقسم الزراعة كما قال له، وحالما دخله وقعت عيناه على سيرال
هناك، ليرفع حاجبيه باستغراب ويقول:

- ما الذي تفعلينه هنا؟

- أريد أخذ بعض الأغراض للخارج.

- الجو بارد اليوم، هل تعملون بالزراعة حتى في هذه الأوقات؟

- أجل، لا نريد أن تتخرب الحديقة.

أوماً لها وساعدها على حمل الأغراض، كانت المرة الأولى التي يتحدث
فيها مع سيرال دون أن يكون بجانبه أحد، كانت منفتحةً ولطيفةً وكثيرة

الكلام. وضع الأغراض في الحديقة ولاحظ شابين آخرين يقومان بتوزيعهم في أماكنهم ونقلهم لمكانهم، أشارت له سيرال إليهما بطرف عينها وقالت:

- هذان الاثنان من مجموعة هاري.

دقق كارتال على أحدهما وقد شعر أنه رآه من قبل، وعلى الفور تذكر أنه لمح حين حاول البحث عن هوشيار بين حافلات الجامعات.

- رأيتُه مرةً في حافلات الجامعة.

- أنتَ محق، هل تظن أن كل مجموعة هاري من أولئك الممنوعين من الخروج من هنا؟ هذا الشاب يضع قلادةً رمادية اللون وليست سوداء، يدرس في مجال أمن المعلومات ويتعاون مع هاري بإخباره ما يريد في الخارج.

لعن كارتال تحت أنفاسه وقد عرف كيف وصل هاري لمعلوماته الشخصية بينما تابعت سيرال:

- بالطبع الأمر ليس مؤكدًا تمامًا، ولكنني راقبته لفترة، في مجال أمن المعلومات لديهم ساعات طويلة ضمن وقت الدوام الجامعي للعمل على الشبكة، هناك يمكنهم أن يبحثوا عن الأشياء التي يريدونها، بالطبع لا يمكن لشابٍ مثله أن يتماذى لأن عين القانون ستكشف ذلك على الفور، ولكن يمكنه أن يوصل المعلومات بالداخل بسهولة.

هذا الشاب أثار فضولي فبحثتُ وسألتُ عن أمره، وحينها عرفتُ أن الروبوت (عين القانون) في تعريف الدخول مسموح له بالولوج لكل الأجهزة اللوحية الإلكترونية القريبة منك والاطلاع على نشاطك وخصم نقاطك في حال فتحت مواقع ممنوعة، بالإضافة إلى إخبار المسؤولين إدارة ألكمس فورًا، في حالاتٍ نادرة ستصل الأمور لآزار ساروس.

- مجددًا، كيف عرفتِ هذا؟

- سأخبرك!

قالت وهي تسير لأن السيدة آن ماري أشارت لها لتذهب لإحضار باقي الحاجيات من المستودع والتوقف عن الكلام، ليمشي بجانبها، ثم تابعت:

- لنتحدث عن أمور واقعية، بما أنك في دار الكمس فلا يحق لك أن تملك حسابًا شخصيًا على مواقع التواصل الاجتماعي، إذًا، ماذا لو فكر طلاب أمن المعلومات أن يصنعوا أحد الحسابات؟ ستعلم عين القانون بذلك! سيُحذف الحساب وسيُعاقب هذا الشخص وتُخصم نقاطه.

أوماً بتفهم لأن الأمر بدا منطقيًا، دفع باب المستودع ودخل لتلتقي عيناه بعيني لؤي ويتجاهله تمامًا مركزًا على الفتاة بجانبه، لتضيف:

- إن لم يكن الأمر حول الحسابات الشخصية لأنها تتطلب معلومات خاصة، إذًا، ماذا لو فكر شخصٌ ما أن يكتب مقالًا عن الخدمة الاجتماعية أو عن وجود بعض الأشخاص الخطرين هنا على مدونة لوكيد العامة؟ هذا الموقع مفتوحٌ للجميع ويمكن لأي شخص أن ينشر فيه ما دام موقعه في لوكيد، المقال كان سينفجر على كل المواقع والجميع كان سيعلم بأسرار الكمس وسيصبح الأمر حديثًا عامًا.

أوماً لها مجددًا مفكرًا في محادثته هو وبسام سابقًا، وانحنت تجمع الأغراض التي تريد نقلها للحديقة مجددًا ليساعدها، بينما أضافت:

- هذا يمكنه أن يؤكد لي أن الشريحة تستطيع أن تتصفح المواقع التي تعمل عليها وتقرأ ما تكتبه قبل أن يتسنى لك حتى أن تعدل أخطاءك الإملائية، هذه هي الطريقة الوحيدة لضبط الأمور ما دام المعظم يخرج من هنا كل يوم للمدرسة على أي حال ويملك جهازًا للدراسة.

- هذا يفسر الكثير.

حمل صندوقين من يدها لتبتسم وتأخذ واحدًا لتحمله وأضافت:

- إذًا، بما أنك مهتم بالموضوع دعني أسألك سؤالًا مثيرًا للاهتمام أكثر كارتال!

حرك رأسه باهتمام، وعلى الرغم من أن ابتسامته كانت مستمتعة لأنه يسمع طفلًا آخر من هنا يتحدث بأشياء مثيرة بطريقتهم ذكية للغاية، فإن عقله كان يسجل كل شيء، لترد:

- ماذا لو قررتُ أن أخبر أحدًا من زميلاتي عن هذه الأشياء؟ أعني، الخدمة الاجتماعية، الشرائح الذكية، مكانُ كامل دون روبوتات، هاري وفراس، حينها لن يكون هناك مشكلةٌ في ذلك!

- تعنين أن هذه الحماية ليست محصنةً بما يكفي؟!

- لا، ما أعنيه بالضبط أنني حاولتُ ذات مرة أن أتكلم عن الأمر ووجدتُ نفسي فجأةً عاجزةً عن الكلام، كان الأمر كأنني مرضتُ فجأةً وسرتُ رعشةً كهربائيةً في جسدي منعتني أن أقول المزيد، شعرتُ بالرعب في ذلك الوقت، ربما كان ارتفاعًا في ضغط الدم، ولكن على الأرجح لم يكن كذلك، لذلك لم أتجرأ أن أتحدث عن الأمر مجددًا مطلقًا.

توقف كارتال مكانه بذهول وهو ينظر إليها لتختفي تعابير المرح والسخرية من وجهها وتتابع بجديّة:

- كنتُ خائفةً حقًا، حين عدتُ إلى هنا ناداني آزار ساروس وأخبرني بألا أحاول كشف أسرار المكان مجددًا، بل يجب أن أكون ممتنةً لبقائتي به، لقد عرف كل شيء كارتال، حينها علمتُ أنني مراقبةٌ حقًا، ولكن انظر، ها نحن نتحدث عن الأمر بأريحية دون أن نشعر بأي شيء، إذًا، كيف يحصل كل ذلك؟

- أنا لا أفهمك سيران.

قال بتشتت وهو يتحرك ليقف مبتعدًا عن أنظار لؤي، لتتابع:

- بحثتُ في الأمر واستنتجتُ الوحيد كان غريبًا بعض الشيء ولكنه منطقي، يجب أن تكون هذه الأشياء التي تمنعنا من قول أسرار المكان متصلةً بعضها مع بعض بطريقةٍ ما بحيث تسمح لنا أن نتحدث مع بعضنا بأريحية وتمنعنا أن نتحدث بحرية مع الأطراف الخارجية، أي إننا باختصار قادرين على قول ما نريد لأي شخص يحمل نفس الشيء الذي يمنعنا أن نتحدث لأشخاص لا يحملونه.

- الشيء؟ تعنين الشريحة الذكية؟!

- لا، بل أعني شيئًا آخر.

شعر أن هذه المحادثة أخذت منحىً غريباً، لو كان ما تقوله صحيحاً من البداية فسيكون هذا كفيلاً بإغلاق ألكمس لانتهاكها الكثير من الحريات الشخصية واستخدام الذكاء الصناعي في ذلك، وتعايير وجهها الجادة أخبرته بأن هناك أشياء أكبر من ذلك!

- لو كان الأمر متعلقاً بعين القانون لاستطعنا أن نقول ما نريد بأريحية حين نبقي تعريف الدخول بعيداً عنا، ولأكون صادقة، جربت ذلك مرةً ثانيةً في المدرسة! تركتُ التعريف في حقيبتني وحاولتُ التحدث مع أحدٍ عن المكان هنا، وقد تكرر الأمر مرةً ثانيةً مما زاد خوفي، حين عدتُ إلى هنا طلبتُ من طبيبةٍ في القسم الطبي أن تفحصني وغفوتُ على السرير، لحظة استيقاظي وجدتُ أزار ساروس بوجهي، مجدداً! يومها هددني بأن الأمر سيكون مربعاً أكثر لو فكرتُ أن أعيد المحاولة، وكشف أسرار حياتي هنا، ظل الصداع يلازمني لأيام بعدها، ولاحقتني كوابيس كثيرة، عرفتُ أن الأمر ليس بتعريف الدخول، بل بشيءٍ ما، شيء أكثر خطورةً مزروع داخل رؤوسنا!

- أنتِ تعلمين أنكِ تقولين أشياء أكبر بكثير منا، صحيح!

- أعلم. أنا لم أقل هذا لأي شخصٍ من قبل، كنتُ خائفةً مما قد يحصل وحقيقة استنتاجاتي الجنونية، ولكن كما أخبرتكِ؛ بدأ الأمر كله حين شككتُ في ذلك الفتى بكونه مسرباً للمعلومات من الخارج، وتساءلتُ إن كان قادراً على الدخول للشبكة، فلم لا يتحدث عن كل شيءٍ وحسب؟! كان هناك الكثير من الأسئلة أيضاً، أولها كانت تلك البوابة التي تبقى مفتوحة طوال الوقت لكن لا أحد فكر في الهرب من المكان على الرغم من أن الكثيرين منا لا يحبون حياتهم هنا مطلقاً وعلى رأسهم فراس الذي يبدو وكأنه يعيش في الجحيم، لقد فكرتُ أنه ربما قد فعل ذلك من قبل، وأن الكثيرين فعلوا ذلك من قبل، ولكن لم يكن من الصعب تعقبهم وإعادتهم، وهم بالتأكيد ليسوا حمقى ليأخذوا تعريف الدخول معهم وهم يعلمون أن عين القانون بداخله، والتي تحوي على الأرجح طريقةً ما لكشف مواقعهم.

الأمر لم يكن بها، عين القانون مجرد روبوت يحسب النقاط، ولكنه لا يفعل شيئاً، ثمة ما يكبلنا حقاً، ولكننا لم ندرك ذلك!

حرك كارتال رأسه ولم يمنع عينيه أن تراقبا المكان بحذر مرةً أخرى على الرغم من أنها لم تنتبه لذلك، لأنهما كانتا مخبأتين تقريباً أسفل قبعته الشمسية، لتتابع:

- هذا كل ما استطعتُ الحصول عليه.

- كم سنةً قضيتِ هنا؟

قالها وهو ينظر إليها لتضييق عينها نحوه باستغراب وترد:

- ليس كثيراً، ثلاث سنوات وحسب.

- أنا متعجبٌ من أنكِ قدرتِ على التفكير وتحليل كل تلك الأشياء في هذا الوقت القصير وحسب.

- أنا فقط ألاحظ ما يحصل حولي وألقي عليه الاهتمام ثم أدون ملاحظات وأربطها ببعضها، هذه طريقة تعاملي مع كل شيء في حياتي، ولكن حين وصلتُ للنقطة التي جعلتني أفكر في أن هناك شيئاً ما مزروعاً برأسي كنتُ مذعورة! ظننتُ أن الوقت قد حان لأتوقف.

أنهت كلمتها وهي تعود للسير باتجاه الحديقة لينظر في أثرها بصدمة، شخصٌ آخر يذهله هنا، ومن الواضح أنها لن تكون الأخيرة، تساءل في نفسه، هل فكر هوشيار وبسام في الأمر نفسه؟ هل كان هذا هو الشيء الذي اكتشفه هوشيار في البداية وجعل أزار يهدده بالقتل؟ على الرغم من أنه لم يصل للنقطة نفسها مع سيرال التي تمادت أكثر من الشاب المجعد.

لو كان ما اكتشفه هوشيار أسوأ من ذلك فسيكون على كارتال أن يشهد أن هذا المكان هو أكبر مستنقعٍ للقذارة رآه في حياته كلها!

تبادرت الفكرة الأخيرة لذهنه ولعن نفسه لأنه لا يريد أن يفكر في أن هناك شيئاً ما قدراً يدور حول هؤلاء الأطفال، لذلك مشى خلف الفتاة ليساعدها على ترتيب المعدات الزراعية في مكانها المخصص تحت سقيفةٍ خاصةٍ في الحديقة، بينما التزمت سيرال الصمت تماماً لأن السيدة أن ماري وقفت معهما لتملي عليهما تفاصيل العمل!

وحينها تذكر أهم قانون في الحظ السيئ: «إذا توفرت الإمكانية لشيء سيئ أن يحدث، فسوف يحدث».

وربما في الكمس قد توفرت إمكانيات أكثر مما يمكنه أن يتخيل!

حين انتهت الخدمة الاجتماعية ذهب لقاعة الطعام ليجد الأجواء أهدأ من المعتاد، أخذ طعامه وجلس إلى طاولة بعيدة يأكل ببطءٍ شديد والأفكار تتلاعب به متخيلاً أن هناك شيئاً ما مزروعاً في رأس كل شخص هنا يمنعه من التكلم في الأشياء التي لا يريده آزار أن يتكلم بها، كل ما قالته سيرال كان منطقيًا وعميقًا للغاية ولكنه خطرٌ أيضًا!

كل شيء كان يسير بشكلٍ طبيعي باستثناء غياب فراس، ولكنه الشخص الذي بدأ يرى الأمور بطريقةٍ مختلفة، حين انتهى من تناول طعامه نهض من مكانه ليعود لغرفته، ولكن قبل أن يصل إلى باب قاعة الطعام وضع يده على كتف هوشيار وانحنى لأذنه وهو يقول هامسًا:

- لا تتأخر وأحضر معك (بسام).

أومأ هوشيار له وقد ارتفع اهتمامه وحذره دون أن يظهر ذلك على وجهه مطلقًا، تجاهله كارتال وعاد للغرفة ليتفقد قائمة الأدوية التي لم يعرفها في هذا اليوم، بينما نظر لؤي إلى هوشيار باستغراب وسأل:

- ما به؟

- فقط يخبرني بشأن أمرٍ ما.

أجابه بابتسامة وغيرا الحديث على الفور، حين انتهوا من الغداء أراد هوشيار أن يعتذر ويذهب لغرفته، ولكن (منير) قاطعهم ليطلب منهم مساعدته في تنظيف قاعة الدراسة.

لم يكن بوسعه أن يرفض، إدارة الكمبس سلموا قاعة الدراسة لمنير لأن حركته قليلة بعض الشيء، ولكن الأمر أصبح يربكه حين يريد تنظيفها، لأن تحريك الطاولات والكراسي من أماكنها صعبٌ قليلًا بالنسبة إليه، لم يكن

يستطيع أن يرفض لأن (منير) يقول طلبه بإحراج جديد وخوف أن يرفضوه، وعلى الفور خرج الأربعة من قاعة الطعام إلى قاعة الدراسة ليجدوا (إيلاف) وسيرال وأمل قد أتين ليساعدن أيضًا.

كان هوشيار متوترًا ومستعجلًا، ولكنه قرر أن يركز على العمل، كلما راوده شعورٌ بالملل أو التعب أو رغبة في المغادرة كان الأمر يختفي لمجرد النظر إلى وجه منير، لا يمكنه أن ينسى مطلقًا كم كان مرضه مؤذيًا للجميع، لا يمكنه أن ينظر إليه دون أن يتذكر (فراس) الذي انهار وقت مرضه وحسب، لا يمكنه أن يخرج من ذهنه الكلمات التي تبادلها فراس ومنير في أي لحظة! هذا كافٍ له، مهمته الآن أن يسند كتف صديقه المتعب، وستأتي الأمور الأخرى لاحقًا!

أنهى الجميع العمل بتعبٍ شديد وعلى الفور قال بسام إنه يريد العودة لغرفته ليومئ الجميع إيجابًا، شكرهم منير واحدًا واحدًا وأكد أنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء دونهم، ليربت بسام على رأسه كأنه طفلٌ صغير واحمر الآخر بخجل. شعرت إيلاف بالنشاط وقررت أن تبقى معه لتدرس وتساعده إن احتاج إلى شيء آخر، وتوجه البقية لغرفهم بينما انطلق بسام برفقة هوشيار إلى غرفته.

حالما فتح الباب وجد كارتال على الأرض، اعتدل الأخير واقفًا حين رآهما ونفض يديه ليقول بسخرية:

- هل هذا ما تعنيه كلمة (لا تتأخر) بالنسبة إليك؟!
- احتاج منير إلى مساعدتنا بشأن أمرٍ ما ولم نستطع الرفض، ماذا هناك؟
قالها بسام وهو يجلس على الأرض بين السريرين ليجلس كارتال قربه ويقول:

- أريد أن أخبركما بشيءٍ ما لا أعلم إن كنتما تعرفانه.
جلس هوشيار ليكمل الدائرة الصغيرة بينما تابع كارتال:
- قضيتُ معظم الوقت في الخدمة الاجتماعية اليوم برفقة سيرال، وقد حدثتني بشأن بعض الأمور المثيرة للاهتمام.
- سيرال في قسم الزراعة.

- أجل، وقد كان عملها اليوم بأخذ المواد من المستودع وكلفت بمساعدتها، ولا تدقق على تفاصيل غير مهمة من فضلك.

قالها كارتال بملل ردًا على تعليق بسام ليضحك هوشيار بخفة، في الواقع لو لم يكن بسام يدقق على تفاصيل لا ينتبه لها أحد حتى، لما حصلت الكثير من الأشياء.

بدأ كارتال يسرد لهما كل ما قالته سيرال والنقاش الطويل الذي حصل بينهما، ولسوء الحظ لم يقاطعه هوشيار ولا مرة ليخبره بأنه يعرف ذلك بالفعل، هذا جعله يعلم أن ما يخفيه هوشيار شيء آخر، وبدأ يسأل نفسه إن كان بوسعه حقًا أن يحتمل معرفة أمور أخرى حول عمه أو المكان الذي يديره.

لحظة نطق بآخر كلمة تبادل بسام وهوشيار نظرة طويلة فهمها كلاهما والتزم كارتال الصمت، أخيرًا نظر هوشيار إلى بسام وأومأ ليبدأ بالشرح:

- كنا نشك أننا مراقبون معظم الوقت، وأن هناك أجهزة تنصت في المكان! من سنتين حين كنا أنا وهوشيار في المدرسة لاحظنا بعد الكثير من التجارب أن الأشياء التي نقولها هنا بالسر لا يعرفها أحد مطلقًا، وإلا لكشف أمر خداعنا للوئي طوال الفترة الفائتة.

استنتجنا أن أجهزة المراقبة هذه تعمل حين نخرج من الكمس كي لا نقول أشياء خاطئة عن المكان، وعلى الرغم من ذلك ما زلنا نحمل الشك حول هذا الأمر! نظرية سيرال أخطر قليلًا وتجعل الأمور معقدة ولكنها مفسرة.

- ما الذي ستفعلونه إنًا؟

قال كارتال ليجيب (بسام):

- لقد اتفقنا أنا وهوشيار أن الأمور وصلت لمنحى أكبر من قدرتنا على التعامل معه هنا، وقررنا أن على أحد منا أن يتواصل مع شخص ما بالخارج ليوصل الأمر لمحكمة دولية.

- أنا مستعدٌ لفعل ذلك!

قال كارتال وعيناه تلمعان بجديّة لينظر هوشيار إلى بسام ويومئ إيجابًا وكأنه يخبره بأن عليه أن يثق به هذه المرة، وتابع بسام:

- لو كان هناك شيء ما مزروعٌ بداخلنا فهو غير موجودٍ بك، لأن دخولك كان مؤقتًا ولأنك موثوق بالنسبة إلى آزار، لذلك دعنا نفترض أن هذا الشيء مؤقتٌ لديك أو موجودٌ بتصريح الدخول الذي أخذته عند دخولك! سأكتب لك أنا وهوشيار كل التفاصيل على جهاز تخزين سنجلبه من الخارج وستخفيه معك عند خروجك من هنا، بعد أن تخرج سيكون بوسعك أن تقرأها وتعرف الحقيقة المخفية لهذا المكان وتقدم لنا المساعدة من الخارج.

- ماذا لو لم يتعطل هذا الشيء لدي عندما أخرج؟

قالها بمنطقية ليرد هوشيار:

- سنعمل على أنه سيتعطل، إن لم يحصل فقط سلّم هذه البيانات لمحام كبيرٍ وأمينةٍ تثق به أو أي شخصٍ آخر قادر على مساعدتنا. على الرغم من أننا لا نريد أن ينتشر الأمر أكثر حرصًا على سريته.

- سينتشر في النهاية!

قالها كارتال ليبتسم هوشيار ويرد مجددًا:

- حينها دعه يكون كفضيحة ننجو بسببها، لا كسر يتم إفشاؤه ويودي بنا للهاوية!

صمت كارتال للحظات مفكرًا قبل أن يتنهد ويقول:

- أنا موافق.

بقي الجميع صامتًا بعدها، وقرر هوشيار وبسام أن يجتمعا في اليوم التالي بعد الغداء ليكتبا كل الأشياء التي يعرفانها وينسقانها.

كانا خائفين حقًا، لا سيما أن آزار هدد هوشيار من قبل أنه سيقته لو استمر بالبحث وراءه! ولكن إما الآن، وإما لا شيء!

مرت الأيام أسرع مما يمكن لكارتيال أن يتخيل، نتيجة بحثه عن عقارٍ ما قد يسبب الأثر الذي حصل لفراس كانت فاشلةً تمامًا، حين دخل في اليوم الأخير ليرى آخر ما تبقى من الأدوية وجد ممرضةً هناك أعادت ترتيب كل العقاقير بطريقةٍ أخرى، ولم يعد التقسيم الذي قام به مفيدًا لأنه أصبح مضطرًا إلى العودة من البداية لعدم قدرته على حفظ كل المواد الطبية، ولم يعد الوقت يسعفه لتفحص كل شيء مجددًا، حاول أن يدخل المستودع في فترة ما بعد الغداء، ولكنه وجده مغلقًا، وأكد بسام أنه لا يفتح إلا في أثناء عمل المقيمين به. حل يومه الأخير سريعًا، قبل دخوله لقاعة الطعام ناداه أحدهم ليصعد عند مكتب عمه، كان الأخير يعمل على حاسوبه باهتمام وبدا غير مكترثٍ للحديث معه، فقط أشار له إلى حقيبةٍ جلدية على إحدى الأرائك وقال بلا مبالاة:

- يمكنك وضع أغراضك وملابسك فيها.

- هل يمكنني أن آخذ كتابًا من هنا؟

قالها كارتال ليرد آزار بحسم:

- لا.

- إنه مرجع مهم لم أجده في الخارج.

رفع آزار رأسه عن شاشة حاسوبه وهدق إليه مفكرًا لفترةٍ من الوقت قبل

أن يقول:

- أنت تعلم أنني لا أحب أن يكذب عليّ أحدهم كارتال.

- أجل، وأعلم أنك قادرٌ على معاقبتي لو أنني كذبتُ عليك.

- ولدٌ جيد، يمكنك ذلك.

قالها آزار وعاد للعمل على حاسوبه لتظهر على وجه كارتال علامات التقزز. اقترب ليحمل الحقيبة ويضعها على ظهره ثم عاد لغرفته ليضعها هناك، تناول الطعام وعاد للغرفة مرةً أخرى ليضع بعض الأغراض في الحقيبة ويحمل معهم المرجع الطبي الذي ساعده على دراسة العديد من الأشياء هنا، فكر أن عليه أن يذهب ليودّع سيرال لأنها الشخص الوحيد الذي وجده صديقًا لطيفًا على الرغم من أنه لم يتحدث معها سوى مرتين أو ثلاث، فكر أن عليه أن يعتذر من إيلاف لإدخالها في أمورٍ لا علاقة لها بها، ولعدم استمراره في حمايتها كما وعداها، فكر أن يذهب ويقول لهاري للمرة الأخيرة إنه وغد، وفكر وفكر وفكر بكل اسم وشخص ووجه رآه في هذا المكان سواءً بالصدفة أو غيرها، كان متأكدًا أنه سيكون شخصًا مختلفًا للغاية حين يغادر المكان عن الذي كان عليه حين دخل إليه!

دخل هوشيار الغرفة وأعطاه مغلّفًا من ورقٍ مقوى، شعر أنه يحوي جهاز تخزين بداخله، ودون أن ينطق أي كلمة أو يسأله من أين جلبه، فلم يكن يهتم لهذا التفصيل، قد نهض من مكانه ووضعه في حقيبته داسًا إياه في ثنايا القماش، واستلقى على سريره محددًا إلى السقف وكأنه ينتظر قدوم الغد، وبدوره فعل هوشيار المثل، وكان الأيام التي قضاها كارتال كانت تعني له الكثير أيضًا، ودون وعي وجد نفسه يضحك على ردة الفعل الكئيبة التي أبداها حين أخبره فراس بقدوم كارتال إلى المكان.

- ستغادر في الغد إذا؟

- صباحًا سأخرج بحافلاتكم إلى جامعتي، وسأعود بعدها للمنزل.

- ما زلتَ تسكن مع آزار؟

- أجل، كان يجب أن أغادر منذ أربع سنوات، ولكن لم أفعل.

قالها وهو يعبت بالسلسلة الفضية بين أصابعه ليقول هوشيار:

- لم؟

- كان منزله آخر مكان رأيتُ فيه إيلينا، وقد تعلقْتُ به بعض الشيء، كما أنني عشتُ به منذ سنِّ الثانية عشرة، لذا لم أجد رغبةً في المغادرة على الرغم من كرهِي لآزار، وبدوره لم يطلب مني ذلك.

- ربما كنت تؤنس وحدته.

حالما سمع تلك الكلمة انفجر ضاحكًا ورد:

- أوئس وحدة أزار؟ أتعلم أننا نتحدث مرةً أو اثنتين كل أسبوع، حتى حين نجتمع على طاولة الطعام لا يكلم أحدنا الآخر، نحن بعيدان كل البعد عن بعضنا، هو يعلم أنني لا أحبه وألومه على موت إيلينا.

- بذكر ذلك، أما زلتَ تلوم (فراس)؟

سأل هوشيار بتردد ليتنهد كارتال ويجيب:

- لا أعلم في الحقيقة، ربما أفعل، ولكنني في المقام الأول أريد أن أعرف من كان المسبب الرئيسي، وأريد أن أحل الأمور الأكبر الآن.

قالها مشيرًا إلى حقيبته مما دفع هوشيار ليصمت مفكرًا، وتحرك كارتال ليندس تحت أغطيته وهو يقول:

- تصبح على خير هوشيار.

- تصبح على خير كارتال.

رد هوشيار بهدوءٍ وغرقت الغرفة في هدوءٍ عارمٍ إلا من أنفاس كليهما.

12

صباح اليوم التالي وجدوا أنفسهم مجتمعين مجددًا لوداع شخصٍ جديد بعد مولان وفراس، ودّعهم كارتال واحدًا تلو الآخر والتقت عيناه بعيني إيلاف ليبتسم لها معتذرًا، في النهاية كان هوشيار آخر شخصٍ يقترب منه وهو يقول:

- شكرًا للأيام الماضية يا صاح.

- أظنني سأفتقد وجودك.

قالها هوشيار ساخرًا ليضحك كارتال بدوره، شد على كتفه بخفة وأضاف:

- حتى لو لم تسر الأمور على ما يرام فأرجوك أبقِ كل هذه الأمور سرًا

لسلامتك وسلامتنا، نحن لا نعرف إن كان الأمر أكبر من ذلك، ولا نريد

أن نحملك ما لا تستطيع حمله.

- سأفعل. سأفتقد المكان أيضًا.

قالها بابتسامةٍ صغيرة ثم ابتعد عنه ونقل نظره بين الجميع وهو يضيف:

- كنتُ سعيدًا بالخدمة الاجتماعية مع لؤي وإيلاف، وكنتُ فخورًا لتعرفني

على شابٍ قوي مثل منير، وأشخاص أنكياء ومثقفين مثل هوشيار

وبسام، وأعتز للغاية أنني عرفتُ فتاةً ذكيةً وماهرةً بفنون القتال مثل

سيرال، وكل الأيام الماضية كانت تعني لي الكثير، وكل ما حصل معي

هنا سواءً كان جيدًا أم سيئًا سأعتز به، وأتذكره، وأفتخر أنني عشته،

وسأنتظركم حتى تبلغوا العشرين واحدًا تلو الآخر لنلتقي في الخارج

مجددًا، نسهر حتى الصباح، ونتحدث عن الأيام الصعبة وكيف تمر

دون أن نشعر!

- كنا سعداء بوجودك أيضًا.

رد بسام ليبتسم كارتال بخفة وتفرق الجميع كل واحد على حافلته لتتحرك حافلة المدارس أولاً وبعدها بدأت حافلات طلاب الجامعات بالتحرك، يلمح سيرال تلوح له من بعيد مما دفعه ليضحك على لطافتها وبقي في الحافلة وحيداً لأنها كانت مخصصة لطلاب العلوم الطبية.

تحركت الحافلة بعد فترة من الوقت، ووجد نفسه يخرج من هذا المكان الذي لم يدخله سوى من أشهر قليلة، لم يشعر فيها مطلقاً أنه مقيد أو مسجون، بل شعر أن هناك أفقاً أكبر بكثير مما يمكنه استيعابه، وأنه لو قضى سنةً أخرى هنا فسيكتشف أشياء لم يكن يتوقعها، وسيرى أشخاصاً أذكى مما يمكنه أن يتخيل.

شرد كثيراً في الطريق، ثم بدأ يعبت بحقيبته ليتأكد من وجود الكتاب وجهاز التخزين الذي أعطاه إياه هوشيار، بداخل الحقيبة لاحظ هاتفه ليضحك ساخراً على تصرفات عمه، وعلى الفور أخرجه من الحقيبة ودس سماعاته في أذنه وغرق في عالمه الخاص دون أن يوصله بالشبكة كي لا تهاجمه الإشعارات.

وصل إلى جامعته التي انقطع عنها منذ فترة، تذكر لوهلة شعوره عند دخوله الجامعة وإحساسه أنها أكبر مكان يمكن أن يراه في حياته، وتخيله أن مصائب العالم تنحصر في النجاح والرسوب والحصول على معدلٍ عالٍ، في الفترة الماضية وجد أشياء أكبر بكثير، وشعر بالوحدة تغلف لأنه للمرة الأولى لم يكن في ألكمس، ولم يكن هناك شخصٌ معه.

وجد شخصاً يأتي إليه بالاستراحة ويعطيه حقيبةً بها حاسوبه المحمول وجهازه الشخصي ويطلب منه أن يعطيه أغراضه ليوصلها للمنزل، علم أن عمه أرسله وشعر أنه فعل هذا ليرى ماذا يوجد في الحقيبة، لذا أخذ الجهاز اللوحي وحسب وأخبره بأنه سيحمل حقيبته بنفسه عند عودته للمنزل.

انعزل في مكانٍ وحده، وجد نفسه دون وعي يفوت محاضراته الأخيرة ويكتب في محرك البحث (دار ألكمس للرعاية).

بدأ يقرأ عنها بالتفصيل، ثم خرج من قائمة المعلومات العامة وفتح قائمة الأخبار ليجد الخبر الأول يتحدث عن طالبة هندسة معمارية تبعد في مشروع

آرتي، ولكن أنظاره كلها تعلقت على الخبر الثاني وعلى الفور فتحه ليقراً التفاصيل.

«المحامي العالمي نيكولاس جريجوري يهدد برفع قضية على دار ألكمس للرعاية إن لم تعطه الوصاية على ابنة أخيه إيلاف جريجوري بعد أن استلمت الدار رعاية الفتاة عقب وفاة والديها القادمين برحلة إلى مدينة لوكيد، وحسب قوانين مدينة لوكيد فإن دار ألكمس تستلم رعاية أي طفل يموت والداه داخل حدودها ولا يخرج الطفل من الدار إلا عند بلوغه عشرين عاماً، وقد طلب المحامي أخذ ابنة أخيه ليعيدها لمدينتها الأصلية مينوري، ولكن مدير ألكمس السيد آزار ساروس رفض الأمر، فهدده المحامي برفع دعوة عليه.

ويذكر أن المحامي نيكولاس لديه سجلٌ حافل بالقضايا الناجحة، كما أنه قد قدم شكوى من قبل على مشروع عالمي وحاربه كل الدول المشاركة بالمشروع، لتُحال القضية لمحكمة عالمية ويفوز بها في نهاية الأمر!»
فتح اسم نيكولاس ليقراً ما كُتب عنه، وعلى الفور تنفس الصعداء لأنه الشخص المناسب تمامًا.

ظل طوال الليلة السابقة يفكر ماذا عليه أن يفعل بهذه المعلومات التي عرفها، وإلى من سيسلمها، وهل ستسير الأمور على ما يرام، وقد شعر أنه وجد الإجابة أخيراً.

8

في العمق

عاد سيرًا على الأقدام وكأنه يعيد غرس طرقات المدينة في عقله، فتح باب المنزل بمفتاحه وأغلق باب غرفته على نفسه وعلى الفور وضع جسده على سريره الوثير في منتصف الغرفة، ليشعر أنه قد نسي إحساسه بهذا منذ فترة، كان عليه أن يشهد أن آزار لم يكن جيدًا معه دومًا، أو أنه لم يكن كذلك على الأغلب، وأنه يهدده بأخذ أمواله المجمدة بين فترة وأخرى، ولكنه لم يقصر معه في شيء، كارتال يملك سيارته الخاصة، حاسوبًا محمولًا من أحدث الإصدارات وأغلاها، غرفة يحلم بها أي شاب في عمره، وكل المقتنيات التي يريدها من أعلى الأنواع وأفضلها.

بعد فترة قصيرة نهض ليرتب حقيبته، أول شيء أخرجه كانت الكنزة البيضاء التي ارتداها، وضعها في خزانته، واحتفظ بالقلادة السوداء أعلى مكتبه، ثم أعاد وضع السلسلة الفضية في رقبته مجددًا كما كانت قبل أن يدخل لآلكمس، لم يبقَ في الحقيبة سوى المرجع الطبي الذي أخذه ليضعه على مكتبه بجانب الحاسوب المحمول، ومجددًا ضحك لأنه تذكر طاولته الصغيرة المشتركة مع هوشيار، شعر أنه يذكر المكان أكثر بكثير مما ظن أنه سيفعل، وأن هذه الآثار بداخله ستستغرق الكثير حتى تزول.

كان هناك الكثير من الوقت حتى يصل آزار، لذلك شغل حاسوبه المحمول ووصّل عليه جهاز التخزين الذي أعطاه إياه هوشيار ولاحظ اسم المدرسة الثانوية عليه ليعرف أن (بسام) أخذه من مدرسته.

(هذه صياغة بسام، ولكننا نكتب هذه الأشياء معًا لأن هوشيار يملك طريقة شرحٍ مريعة! أنت لا تريد أن تجربه) ابتسم بخفة حين قرأ السطر الأول وأكمل متابعًا: (لقد جمعنا هذه الحقائق خلال فترةٍ طويلة نحن نضعها كلها في يدك، أمل أن تفهم أننا نعول عليك الكثير، ونمنحك كل جهدنا، والأهم من كل ذلك، ثقتنا!

فكرنا كثيرًا في الأمر وما زلنا غير مقتنعين بأن نعطي كل هذه الثقة لشخصٍ قادمٍ من نفس منزل الرجل الذي يعاديننا، ولكنك الخيار الأخير لدينا، ما بينك وبين آزار علاقة لا صلة للدم بها، علاقتكما سيئة على الرغم من عيشكما معًا، لذا أمل ألا تخذل هذه الثقة.

في البداية لتحدث عن إحصاءات وأرقام يمكنك أن تجدها على الشبكة، ألكمس يتسع لألف مقيم ولكن هناك 600 حاليًا تقريبًا، هناك قسمٌ للأطفال تحت سن العشر سنوات يرجح أنه موجود في وسط لوكيد.

من بين 600 هناك ستون شخصًا من أصحاب القلادات السوداء، أولئك الذين يجب أن يكونوا في إصلاحية الأحداث، ولكنهم معنا بطريقةٍ ما.

باستثنائهم فسنجد أماننا نحو 540 مقيمًا، لتحدث عنهم بشكلٍ تفصيلي:

من هؤلاء المقيمين نحو مئة طفل تولى عنهم آباؤهم بسبب الفقر أو الطلاق أو الانفصال، وهناك نحو أربعين مقيمًا ماتت والدتهم في أثناء ولادتهم وتركهم والدهم ليتم رعايتهم في ألكمس حتى هذه السن، بالتالي نحن أمام 400 مقيم دخلوا ألكمس لأسبابٍ مختلفة! مئة منهم من مدن مختلفة، توفيت عائلاتهم في ظروفٍ غريبة، وحتى البقية، الكثيرون منهم ماتت عوائلهم في ظروفٍ غريبة أيضًا!

بالتأكيد أنت تسأل ما معنى ظروفٍ غريبة، توفيت عائلة إيلاف القادمة من مينوري في حادثة حريق، وتوفيت عائلة هوشيار القادمة من رفية في حادث سيارة، وعائلتي توفيت بتسممٍ غذائي في أحد المطاعم المشهورة، على الرغم من أنني كنتُ معهم في ذلك اليوم!

كان هناك شيء مريب بحثنا حوله، وعرفنا أن كل المقيمين في ألكمس خضعوا لاختبارات معدل الذكاء قبل أو بعد دخولهم لألكمس، وكل المئة القادمين من خارج لوكيد خضعوا لاختبار معدل الذكاء حال وصولهم للمدينة بطريقةٍ أو بأخرى.

هناك نحو 250 مقيمًا يملكون معدل ذكاء أعلى من المعدل الطبيعي، ولا يوجد أي طفل في ألكمس تحت المعدل الطبيعي للذكاء، وقد بحثنا في الأمر أكثر، لو كان هناك طفلٌ أقل من المعدل الطبيعي فسيتم إرساله لمكانٍ آخر ولكننا لم نعرف ما هو حتى الآن.

حسنًا، هل وجدتَ هذا غريبًا؟ تعال نخبرك بالتفاصيل الأكثر إثارة للاهتمام.

الأطفال المئة القادمون من خارج المدينة يملكون معدلات ذكاء تكاد تكون قريبةً من حدِّ العبقرية، مثل إيلاف مثلاً. وهناك أربعة مقيمين فقط في ألكمس يملكون معدلات ذكاء تكاد تصل لما نطلق عليه اسم "العبقرية"، هوشيار وسيرال منهم.

وأنا الشخص الوحيد في ألكمس الذي يملك معدل ذكاء يشير للعبقرية! ما علاقة هذه الإحصائيات بكل ما قلناه؟ ببساطة، الأطفال الأكثر ذكاءً هم الأطفال الذين ماتت عائلاتهم بشتى الحوادث الغريبة أو غير المنطقية. هل يمكنك أن تفهم ما معنى هذا؟ سأقولها بشكلٍ مباشر وباختصار. الأمور قد تتمحور حول جماعة قتلة أو حتى سياسة فاسدة تمر من تحت الطاولة في مدينة لوكيد.

أنا متأكدٌ أنك لا تصدقنا، ولكننا درسنا هذه الأرقام لسنوات، ولا يمكننا ألا نشكك فيما وراءها.

ذات مرة دخلتُ لمكتب آزار وقرأتُ جملة معلقة على الحائط باللغة اليونانية، استطعتُ حفظ طريقة رسم الأحرف وبحثت في المعجم عن معناها، عن معنى أهم حكمة في حياة آزار حتى يعلقها على الجدار.

(لو ربيتَ نوعًا مختلفًا من الأطفال بطريقةٍ مختلفةٍ من التربية، وعلمتهم فن احترام المواعيد، وأهمية تحمل المسؤولية، وتوظيف الذكاء الخارق والجهد في مكانهما الصحيح، ستحصل على الجيل الأمثل ليبنى لك مدينةً في أعلى مراتب العالم).

كانت تلك آخر جملة كتبها هوشيار وبسام، وكل تلك الأشياء التي قرأها جعلته يدرك أن ما يحصل أكثر رعبًا مما يمكنه التعامل معه. تمالك نفسه بصعوبة ونهض من مكانه على الفور ليخبيء جهاز التخزين في مكان ما.

استلقى على سريرهِ، حدق إلى السقف لفترة طويلة تتلاعب به أفكار أكبر مما يمكنه أن يتخيل، وبسبب ثقل رأسه والجنون الذي يعبث به مع سهره الطويل في الليلة السابقة هاجمه نعاسٌ لم يستطع أن يقاومه وغفى بنومٍ طويل.

2

حين استيقظ كان الليل قد حل بالفعل، وحين نظر من نافذته وجد المباني العالية المضاءة ولم يرَ النجوم التي تنير حديقة ألكمس، نهض من مكانه ممدداً عضلات جسده بتعب ونزل للطابق الأول والشرود يستولي عليه ليجفل حين سمع صوت أحدهم يناديه.

كان آزار بهيبته المعتادة على رأس طاولة الطعام، ولوهلة شعر كارتال أنه قد مر وقتٌ طويلٌ للغاية لم يره بهذا الشكل. رسالة هوشيار وبسام جعلته مضطرباً، لكن ذلك لم يظهر على تعابير وجهه مطلقاً، وإنما تقدم منه وهو يقول:

- متى عدت؟

- من ساعتين، لوبي أخبرني بأنك نائم كالأطفال فلم أرغب في إيقاظك. حالما أنهاها نظر إلى لوبي بطرف عينه ليلتفت له كارتال. لوبي كان الروبوت الذي ينظم حياة الأشخاص الذين يعيشون وحدهم ويشاركهم إياها، ملابسه كانت بزةً رتيبةً من اللونين الأبيض والأسود ويقف كنادل في مطعم، وكان لطيفاً للغاية أيضاً.

جلس عن يمين آزار، والتقط كأس ماء شربه بالكامل عسى يطفىء الصداع الذي برأسه، وقبل أن ينهي آخر رشفة سأله الآخر بهدوء:

- كيف كانت جامعتك؟

- جيدة، أحاول استدراك ما فاتني.

- ستكون بخير، يمكنني أن أحضر لك بعض الأساتذة إن لم تفهم.

- أنا طالب طبّ في آخر سنوات دراستي، بالتأكيد لدي ما يكفي من مهارات التعليم الذاتي!

قالها ساخرًا بينما وضع كأس الماء جانبًا ولمح شبح ابتسامة على وجهه
آزار مما دفعه ليتابع:

- كيف هي الأمور في ألكمس؟

- هل اشتقت إليهم بهذه السرعة؟

- لدي فضولٌ فقط لأعرف ما الذي فعله هاري حين غادرت!

بدأ يسكب صحنًا ليأكل منه، تعابير وجهه بدت هادئةً للغاية ولكن بداخله
كان يحترق تمامًا، بعد كل الذي قرأه في هذا اليوم لم يكن يرغب في جلوسه
مع عمه كما كان يحدث قبل أشهر قبل أن يذهب إلى هناك، أعصابه كانت على
الحافة، ولكن السلام الذي بدا على وجهه كان غريبًا حتى بالنسبة إليه.

- لا تخف، أوقفت هاري عند حده، في نهاية المطاف عليه أن يعرف أن
هذا مكاني وليس مكانه.

تجمد كارتال للحظة حين سمع الجملة الأخيرة قبل أن يبتسم بسخرية
ويضع الملعقة الكبيرة في صحن الطعام الرئيسي ثم يقرب طبقه منه ليبدأ
في تناول طعامه قبل أن يعلق أخيرًا:

- أنت محق، هاري يتسلط ويحتاج إلى مساحة صغيرة ليحسب أن الأمور
كلها تحت سلطته، هو مجرد أحمق! لا يملك أي شيء.

- الشيء الوحيد الذي استفدتُ به من عودتكِ إلى هنا أنني سأريح رأسي
من سماع شجاراتك مع هاري كل يوم.

- لم يكن الأمر لهذا الحد.

قالها ضاحكًا ثم وضع صحنه نصف الممتلئ على الطاولة وأردف:

- شكرًا على الطعام.

- إنه موعد الشاي، ألا تريد؟

- لا، أنا مشوشٌ بعض الشيء، أريد أن أرتاح وحسب.

- ارتح هنا.

قالها آزار بنبرة قاطعة، ولأنه كارتال فلم يكن بوسعه أن يعترض، جر خطواته نحو غرفة الجلوس ورمى جسده على الأريكة البيضاء يحدق إلى السقف ويعانق الوسادة الطرية محاولاً أن يستجمع شتاته الضائعة.

- لم تكن هكذا قبل أن تذهب.

قال آزار بسخرية وهو يجلس على أريكة أخرى، لم يكن معتاداً مطلقاً أن الشاب الذي يعيش معه بالمنزل يعانق الوسادة ويهيم بالسقف كمراهق عاشق، على الأقل حين كان كارتال مراهقاً عاشقاً فلم يعرف آزار بذلك مطلقاً!

- لستُ معتاداً التأقلم بسرعة، حين دخلتُ إلى ألكمس لم أستطع أن أعتاد المكان بسهولة، كل الأشياء التي رأيتها وعشتها هناك تركت أثراً بداخلي، لا يمكنني فقط نسيان كل ذلك والعودة لحياتي العادية كطالب جامعة طبيعي في نصف يوم!

تلك الكلمات التي خرجت من بين شفثيه لم تكن تشبه كارتال الذي دخل ألكمس، بل كارتال الذي خرج منها، كانت المرة الأولى في حياته التي يقول فيها شيئاً من الأشياء الكبيرة التي يكنها في صدره، ولم يكن يتوقع ردة فعلٍ من عمه أكثر من أن ينهض من مكانه ويغادر الصالة ليعطيه راحته في الاسترخاء دون أن يلقي عليه أي كلمة عزاء، وهذا ما حصل بالفعل.

3

أسبوعان كاملان مرا والجنون والتخبط اللذان يحيطان بالشاب يزدادان أكثر فأكثر، كان عليه أن يفكر في الكثير من الأشياء، يعيد ترتيب الأحداث بذهنه، يقرأ ويحلل، ويكتشف النظريات الجديدة (التي كانت موجودةً فعلاً) عن فائدة وضع مجموعةٍ من الأشخاص الأذكى في مكانٍ واحدٍ بعضهم مع بعض، مع إعطائهم مهامًا لتعزيز تحملهم المسؤولية.

وجد نظريةً عن تطوير الشخصيات كانت تدعى (العمق)، أهم أساليبها يتمحور حول وضع حافزٍ ليتفاعل الشخص مع النظام المفروض عليه، ودون وعيٍ وجد نفسه يتمم بكلمة «نظام النقاط».

مقيمو ألكمس كانوا يعيشون في (العمق) تمامًا دون أن يشعروا، «عين القانون» كانت تحكمهم تمامًا!

في نظريةٍ أخرى كان هناك اقتراحٌ غريبٌ ولكنه كان يعطي تفسيرًا مربعًا عن وجود السجناء في ألكمس، وربما تفسيرًا أكثر صدقًا من حقيقة أنهم فعلوا ذلك كي لا يخلقوا إصلاحية أحداث في مدينة الجيل الجديد الأفضل، ذلك الألم الذي سيطر على قلبه بدأ ينتشر في أعضائه وشعر بمعدته تتشنج. «لو صنعتَ بيئةً تفاعلية بين أشخاص مثاليين وآخرين سيئين فستصنع محفزًا لخلق شخصيات استثنائية تمامًا، سيبنون لك عالمًا لم تتوقع الوصول إليه».

بحته جعله يعرف إجابات عشرات الأسئلة، ولأنه غير قادرٍ على احتمال كل هذا الضغط، غادر جامعته مبكرًا، شوارع المدينة ضاقت عليه، أوقف سيارته أمام فندقٍ للشخصيات المهمة، وعلى الفور طلب مقابلة المحامي المشهور القادم من مينوري.

وجد روبوتًا يبيع المشروبات ليحلب لنفسه فنجان قهوة كبيرًا، وقبل أن يشرب نصف الفنجان وجد أمامه رجلًا طويل القامة ينظر إليه ليضع فنجانه جانبًا ويعدل حقيبته على ظهره ويقترب منه قائلاً:

- مساء الخير، هل أنت السيد نيكولاس جريجوري؟

- أنا مدير أعماله، السيد نيكولاس هنا لقضية خاصة به وغير مستعدًا لاستقبال قضية أخرى وأرسلني لأعتذر منك عوضًا عنه.

- أنا هنا بشأن القضية نفسها، اسمي هو كارتال ساروس، أزار ساروس هو عمي، وأنا أعيش معه في نفس المنزل.

- دعني أسدي لك نصيحة، إن كنت هنا لتهدده فهذه ليست فكرة جيدة.

- أخبره بأنني صديق إيلاف، أليست فكرة جيدة؟

- صديقتها!؟

- أجل، لقد كنت في الكمس أيضًا.

بدأت علامات الحيرة على وجهه مرة ثانية ثم تراجع خطوة للوراء وأخرج قطعة معدنية من جيبه ليظهر منها شاشة جهازه لوحي، ولمحه ينقر بأصابعه على الشاشة المنبثقة زرقاء اللون في حين ازداد توتر كارتال وتابع شرب قهوته.

بعد لحظات طلب منه أن ينتظر على إحدى الطاوات في ردهة الفندق وأخبره بأن نيكولاس سيأتي قريبًا. أخذ كارتال مقعدًا جلدًا وتخيل لوهلة أن عمه سيأتي من خلفه، ولكنه لعن نفسه على الأفكار الطفولية فورًا وطلب من الروبوت أن يعطيه فنجانًا آخر. وجد رجلًا آخر يتقدم نحوه وخلفه المساعد الذي قابله قبل لحظات، جلس أمامه وفتح زر بزته الزرقاء ليأخذ راحته وتسنى لكارتال أخيرًا النظر إليه بوضوح أكثر من الصور التي لم تكن واضحة كثيرًا، حتى إنه لم يستطع أن يفرق بينه وبين مساعده كثيرًا، إذ لم يحفظ ملامحه.

كان صغيرًا في العمر، ربما في السادسة والثلاثين وحسب، شعره أسود داكن، عيناه سوداوان أيضًا، واسعتان وتشعان ذكاءً، وبشرته بيضاء صافية، نسخة عن إيلاف تمامًا، ولكنها نسخة ذكورية بلحية مشذبة وأكبر سنًا.

- قلت إنك تعرف (إيلاف)؟

قالها دون أن يرمش ليحرك كارتال رأسه إيجاباً ويرد:

- كنتُ مقيمًا في ألكمس، وقد عرفتُ (إيلاف) من قرب.

- أجد صعوبة في تصديق أن ابن أخ أزار ساروس كان في ألكمس وأتى إليّ اليوم.

- أنا الابن المتبنى لشقيقه كنان ساروس، لذلك لا تربطني علاقة قوية مع أزار سوى أنني كنتُ أعيش في منزله ووضعتني في ألكمس منذ بضعة أشهر.

مجددًا لم يبدُ على وجه نيكولاس علامات الاقتناع وبدأ ينظر إلى كارتال من أعلى رأسه لأخمص قدميه ليتابع كارتال:

- إن كنتَ تتساءل، عمري هو أربعة وعشرون عامًا، ومدينة لوکید تعد السن القانونية لاستقلال الأشخاص هو عشرون عامًا، ولكن يوجد في ألكمس شبان بنفس عمري أو أكبر مني.

- هذا غير قانوني.

- هناك المزيد من الأمور اللاقانونية! كان دخولي إلى هناك بطلب من أزار لأراقب بعض المراهقين الذين بدؤوا يكشفون أسرار المكان، أزار حاقدٌ على هؤلاء المراهقين وقد يصل الأمر معه لفعل أي شيءٍ لمنعهم من الحديث، لذلك يجب أن تسمعني! إيلاف في خطرٍ أيضًا ويجب أن تنتهي القضية التي رفعتها على ألكمس، هذه الطريقة الوحيدة لإخراجها.

- أنا لم أرفع قضية على ألكمس لأجل مخالفتهم القوانين، أنا فقط أريد أن آخذ ابنة أخي وأعود إلى مينوري. وماذا تعني أنها في خطر؟!

- ولكنك ستترك مئات الأطفال يعانون بغير ذنب، أشخاصٌ جيّدون بما يكفي لتجد أن مساعدتهم تستحق العناء، ومهمون جدًا لابنة أخيك!

- ماذا تعني أنها في خطر؟

زفر كارتال بضيق وكأنه قال تلك الكلمة وندم عليها ثم أجاب أخيرًا:

- السبب الأول أن شابًا ما تنمر عليها عدة مرات لأنها تذكره بفتاةٍ يكرهها، دافعتُ عنها حين كنتُ هناك ولكنني غير موجودٍ الآن، وأنا الشخص الوحيد القادر على الوقوف بوجهه.

- فتاة يكرهها؟ وأنت دافعتَ عنها؟

- السبب الثاني أن هناك فتى يُدعى هوشيار ميكاليس هو أحد الأشخاص الذين اكتشفوا أسرارًا كبيرةً في ألكمس، وهو قائد إيلاف هناك.
- قائد؟! -

- المقيمون في ألكمس مقسمون إلى مرؤوسين وقادة، كل شخص لديه قائد يشرف عليه، قائد إيلاف هو هوشيار، وربما هو السبب الرئيسي لوجودي هنا. إن أراد أزار أن يجبر هوشيار على الصمت فقد يستخدم ابنة أخيك في ذلك، لذا عليك أن تنهي الأمور من جذورها، لا يمكنك تجاهل ما يحصل.

صمت أخيرًا وهو ينظر إليه منتظرًا موافقته، ارتاح أخيرًا لأنه نطق كل تلك الأشياء التي ظل لأسابيع يفكر في طريقة قولها، وكما توقع، فقد قالها بطريقة غير المخطط لها تمامًا، كان من الواضح أن نيكولاس جريجوري غارق في التفكير.

- أخبرني بالتفاصيل.

قالها بعد أن عم الهدوء المكان لدقائق طويلة وبعد أن تبادل حديثًا هامسًا مع مساعده. اجتاحت الراحة جسد كارتال لكن الجدية كست ملامح وجهه وهو يقول:

- بدأ الأمر منذ ست سنوات...

حكا له كل شيء حرفيًا: سبب دخول إيلينا إلى ألكمس، علاقتها بفراس ووسطوته على المكان، موتها وكيفية إلقاء اللوم عليه ثم إغلاق القضية دون البحث في تفاصيل الأمر، حكا له أن اسم دار الرعاية قبل كلمة ألكمس كان يشير إلى إصلاحية أحداث ورعاية أيتام، ثم أخبره بكل ما استنتجه هوشيار وبسام، عن العائلات التي توفيت تحت ظروفٍ غامضة. قاطعه نيكولاس عدة مرات ليسأله عن التفاصيل، القلق كان يجتاح كارتال، والصدمة كانت تعترى الآخر، لم تكن محادثةً طبيعيةً مطلقًا، كارتال كان يخبره عن تفاصيل تسيء للرجل الذي أسكنه في منزله لاثني عشر عامًا، ويشكي له شخصًا هو نفسه يعاني الفوبيا منه. كان كارتال يشعر أنه سيعود للمنزل وأن حياته ستنتهي

عند هذه النقطة، ولكنه لم يكن منزعجًا، شعر للمرة الأولى أنه أدى شيئًا ما، شيئًا يستحق التضحية، وكان مستعدًا للتضحية بحياته في سبيله!

كان يملك شعورًا أنه قد لا يحظى بفرصةٍ للتكلم مجددًا، فأراد أن يقول كل شيء، حدثه عن هاري وعن تنمره على إيلاف، قال له حتى تفصيل أنه عقد صفقةً مع الفتاة الصغيرة في سبيل أن يدافع عنها، لاحظ تعابير الاشمئزاز على وجه نيكولاس ولم يكثرث لأنه حين تصرف بتلك الدناءة كان يدرك أنه يتصرف بطريقةٍ مثيرةٍ للاشمئزاز حتمًا، أخبره بمرض فراس وانهياره بسبب الدخان الذي كان يدخل لالكمس دون اكرثات أحد، أخبره حول الأحاديث مع زميل غرفته التي أوصلته إلى هنا، وحول الأشياء التي تتحكم بعقلهم والتي تشك سيرال في وجودها، وفي النهاية أخبره بأن هذا كل ما لديه وربما لن يحظى بفرصةٍ أخرى ليتكلم مجددًا.

وضع كل الأوراق بين يديه، وللمرة الأولى منذ أسابيع الحمل الذي كان على ظهره بدأ يخف رويدًا رويدًا حتى تلاشى تمامًا، نيكولاس لم يكن شخصًا عاديًا، كان رجلًا قويًا وذكيًا، بعد كل الذي قرأه عنه كان متأكدًا أنه الشخص الوحيد القادر على إنقاذ هؤلاء الأطفال، والشخص الوحيد الذي يستطيع أن يوقف كل هذا الجنون حتى لو كانت حكومة لو كيد نفسها مسؤولةً عنه.

حين عاد للمنزل شعر أنه لن ينام هذا اليوم بسلام، أو أن آزار سينهي حياته بنفس الطريقة التي ماتت بها كل تلك العوائل، ولكنه حتى جاء اليوم التالي دون أن يغفو لثانيةٍ واحدة، فقد أكمل حياته أخيرًا كطالب جامعة طبيعي.

4

الأسبوعان الأخيران كانا صعبين للغاية في ألكمس، ولا سيما على بسام، جماعة هاري ضربوا (منير) بشدة وعانى إصابات حادة، كما تملكه الاكتئاب لأنهم هاجموا واستضعفوه بسبب مرضه، مكث في القسم الطبي لليلة كاملة ليجن جنون بسام ويذهب ليتشاجر مع هاري وينتهي الأمر به بجروح في كل جسده.

لم يكن يرغب في رؤية أحد، كان التشاؤم والبؤس يحيطان به من كل جانب لأنه كان ضعيفًا للغاية ليدافع عن نفسه، فما بالك بالدفاع عن منير! وجد نفسه يستلقي في سريره وعظام جسده تؤلمه بينما أفكاره منحصرة على الحياة المقيتة التي يعيشها، لقد سئم من كل ذلك، سئم من ادعاء السعادة، وتمثيل أن الأمور بخير، سئم من ادعاء جهل أنه يسكن في هذا المكان بعد أن قُتلت عائلته بسبب ذكائه، ومن تجاهله هذه الحقيقة حتى يستطيع أن يتقبل نفسه، سئم من إجابة إيلاف عن أسئلتها ثم الابتسام نحوها مواسيًا حين تسأله عن شيء يعرفه ولكن لا يستطيع التعبير عنه، سئم من أنه لا يستطيع فعل أي شيء لأجل منير، وسئم للغاية من حقيقة أنه علّق كل آماله على كارتال ولم يحدث أي شيء مطلقًا خلال أسابيع.

كان يرغب في أن يتوقف عن بذل كل جهده من أجل لا شيء، كانت تراوده رغبة في الموت ومشاعر عميقة من كره الذات.

شعر بجراحه تؤلمه ولكنه وجد نفسه يستحق، كان يعلم أنهم سيهاجمون الأضعف بينهم، منير أو إيلاف، ولكنه لم يدافع عنهما كما ينبغي!

سمع طرقات خفيفة على الباب ولكنه تجاهلها، إلا أن الشخص الآخر لم يكتفِ لذلك وفتح الباب ليجد (إيلاف) تتقدم نحوه، وضعت شيئًا ما على الطاولة بجانبه ثم ابتعدت عنه مجددًا لتغلق الباب وتشعل الضوء.

اعتدل في جلسته بصمت على الرغم من رغبته في البقاء وحيداً، لاحظ أنها أحضرت علبة إسعافات أولية واقتربت لتجلس بجانبه مما دفعه لينظر نحوها بنظرات جامدة لم ترَ مثلها من قبل، لأنها كانت معتادةً ضحكته الواسعة وحيويته الكبيرة.

أخرجت قطناً من العلبة ووضعت معقماً عليها ثم اقتربت لتضعها على وجهه مما دفعه ليمسك بيدها ويقول:

- يمكنني فعل ذلك بنفسِي.

نظرت إليه بمعنى (لا تسخر مني)، وتجاهلت يده لتبدأ بتعقيم جراحه ليتنهد ويقول:

- لم تفعلين هذا؟

- لأن هناك شخصاً أحرق جريحاً تشاجر مع أحدهم ولم يذهب للقسم الطبي.

- لم أرد أن أثير الجلبة.

- لا تخف، أنت في الكمس، سيعالجون جراحك ولن يسأل أحدٌ من فعل هذا بك.

ألقي نظره بعيداً عنها، ها هي ذي طفلة أخرى تغرق في هذه الحيرة، ولكنه على أي حال لا يلومها، لأنهم جميعاً في المستنقع نفسه.

عقمت له كل جراحه، بدأت بعدها تخرج اللاصقات الطبية وتضعها على جراحه بعد أن وضعت مرهماً مرمماً للجراح، والتزم الصمت تماماً مفكراً في كارتال.

كان قد قرر من البداية ألا يعقد أي آمال، ولكنه لم يستطع، في كل صباح يستيقظ به كان يتخيل أن هذا سيكون الصباح الأخير من هذا الروتين القاتل وأن شيئاً ما سيحصل، شيئاً سيقلب حياته كما قارب في إعصار. وها هو ذا يشعر بالخيبة لأن أسابيع مرت ولم يتغير أي شيء.

- كنتُ أفعل هذا لعمي حين تورط في بعض المواجهات الالقانونية وكان يعود بإصابات كثيرة، استمررتُ بذلك لفترةٍ طويلة لأنه لم يستطع الانسحاب منهم بسهولة.

- ماذا حصل بعدها؟

سألها باهتمام لمجرد شعوره أن شخصًا ما يحدثه عن عائلته لترد بابتسامة واسعة:

- عمي الأصغر محامٍ بارع، وقد عمل على إغلاق الاتحاد اللاقانوني كله ودافع عن شقيقه، الجميع أخبره بأنه سيخسر القضية، لكنه لم يفعل، حتى إنه رفع قضايا على منظماتٍ عالمية وربحها.

- لو كان هنا ورفع قضيةً على ألكمس فسيخسر ربما!

قالها بسام ساخرًا لترد ضاحكة:

- فكرتُ في هذا من قبل، أنا أتساءل أصلًا لم لم يأتِ حتى الآن بحثًا عني.

- هل أنتِ حزينةٌ لأجل هذا؟

- كنا مقربين كثيرًا، كان صديقي المقرب وأبي الآخر وبطلتي، أخبرني عدة مرات بأنه سيفتقدني عند قدومي إلى هنا وأنه سيراسلني كثيرًا، ولكن تلك الحادثة التي حصلت أفقدتني طريقي للتواصل معه.

شعر بكلماتها في قلبه، ربما لأنه كان يملك مشاعر مماثلة، هناك أشياء فقدتها وفقد طريقه لاستعادتها، هناك أحلامٌ وأفكارٌ ومشاعر ضاعت في طريقه هنا، كل شخصٍ قد دخل هذا المكان قد أضع شيئًا هنا حتمًا.

- تعابير وجهك مختلفةٌ عن العادة.

قالت مقاطعة شروده مجددًا ولم يكن بوسعها أن يبتسم ولو ليطمئننها مما دفعها للتتابع:

- تبدو شبيهًا بفراس وهاري وكارتال، لا أعلم لم، هؤلاء الثلاثة مختلفون عن البقية، ليس بقلاداتهم السوداء وحسب، وإنما مختلفون بطريقةٍ غامضةٍ تزعجني، وأنت الآن تبدو شبيهًا لهم للغاية.

- مختلف؟

- صامت، وهادي، وبارد، وحزين.

- تجدين (فراس) هادئًا وهاري حزينًا؟!

نبرته لم تخلُ من السخرية، وضعت اللاصقة الأخيرة على وجهه الممتلئ
بالجراح وبنبرة لا تتناسب مع سخريته أجابت:

- فراس مخيف، هكذا كنت أشعر في كل مرة أنظر إليه، يبدو لي أنه لا
يفهم نفسه، ولا يستطيع أن يدرك الألم الذي بداخله.

- لم أفهم!

- فراس يبدو كأكثر شخص باردٍ بالعالم، ولكنه حين يغضب يفقد
السيطرة تمامًا، كما لو أنه مصاب بانفصام!

ابتسم بخفة حين قالت تلك الكلمات وكأنها مكثت عشرات الأسابيع مع
فراس، سمع نفس الشيء من هوشيار من قبل، وكان يؤمن أنه لا يوجد شخص
يفهم (فراس) مثل هوشيار.

قرر ألا يسألها لم تجد هاري حزينًا، على الأقل لأنه يدرك أنه بالفعل كذلك،
حتى حين كان هاري يشتمه ويضربه ويوجه له كل تلك اللكمات التي ألمته
ويصنع له الجراح التي تعالجها له الآن فقد كان يشعر بذلك، هاري حزينٌ
للغاية، وهو يعرف ذلك، لقد مكث في هذا المكان طويلًا، ولقد استغنت عائلته
عنه تمامًا مثل فراس، وقد قتل زميلًا له من قبل وربما ما زال طيفه يلاحقه
حتى اليوم، على الرغم من ذلك ها هو يلعنه ويكرهه لأنه أدنى (منير)، لأن أيًا
منهما لا ذنب له ليتحمل نتائج معاناة هاري.

- ستكون الأمور بخير.

- أي أمور؟

همست بسخرية.

- كل الأمور التي تكبلنا، وتؤرقنا، وتفزعنا. ستمضي بطريقة ما، حتى لو
داست علينا وأنهكتنا، ولكنها ستمضي.

رفع يده التي عالجتها للتو ليربت على رأسها، في أعماقه كان يفكر كم
هي طفلة جيدة، وتساءل إن كان عليها أن تبذل كل جهدها للسنوات الخمس
القادمة حتى تغادر المكان، أو ربما سيتغير كل شيء خلال ذلك.

5

بعد مرور شهر...

حياة كارتال التي كانت طبيعية، عادت طبيعية تقريبًا، كل شيء كان يسير كما كان من قبل، ولكن طريقة تفاعله مع الأشياء كطفلٍ مدللٍ تغيرت تمامًا، محادثاته مع آزار أصبحت مختصرةً جدًا، على الرغم من أنها كانت كذلك أصلًا، شعوره بالوحدة استولى عليه، لأنه صنع علاقات مع أولئك الأطفال -كما كان يسميهم- وهذه العلاقات لم تكن شيئًا يرغب في التخلي عنه، ولكن الحياة انتزعتها منه عنوة، أو ربما آزار فعل.

فقد معظم شغفه لدراسة الطب على الرغم من كونه يحبه، ولكن الأمور التي ظلت تدور في رأسه جعلته يتكاسل، كان يملك شكًا في إمكانية رسوبه لهذه السنة، وكان هذا الشك أقرب للواقع، وفي الحقيقة لم يهتم كثيرًا لأنه وضع الأمر في الحساب منذ أول أيامه في الكمس.

شهرٌ كامل لم يعرف بعده إن كان عليه التحدث مع نيكولاس مجددًا أو التوجه لمحامٍ آخر، ولكن كل الأمور أخذت منحىً آخر جنونيًا تمامًا في تلك الليلة.

كان ساهرًا على دراسته، محاضراته مفتوحة على حاسوبه المحمول وكتابٌ مرجعي على جهازه اللوحي، على الرغم من ذلك عيناه كانتا تنظران إلى صورة إيلينا أمامه، وعقله شاردٌ يتذكر حديث هوشيار عن موتها، هل قُتلت بسبب هلوسات فراس؟ أم انتحرت حقًا؟

أراد إلقاء اللوم على أحدهم ولكن ليس هي، تمامًا كما فعل فراس حينلقى اللوم على نفسه في موتها.

في تلك اللحظات التي غرقت بها الغرفة في هالة الصمت والهدوء والحزن المخيم على قلب الفتى المرهق، انتهى كل شيء في الحياة الطبيعية لكارتال!

دخل أزار الغرفة دون طرق الباب، وقبل أن يتسنى لكارتيال أن يستدير كان قد تقدم نحوه ليدير جسده إليه ويدفعه ليضغط بجزئه العلوي على الطاولة ويضرب بجسده هناك.

- توقعتُ أنك ستقف ضدي في أي وقت، ولكن أن تتعاون مع أولئك الصغار علي وتذهب للمحامي اللعين الذي يظن نفسه مميزًا لأنه فاز ببعض القضايا العالمية وحسب، لم أتوقع هذا الغباء منك!
- لم أنت غاضب؟ هل هزمتك شخص ما لمرّة؟
- كارتال، لا تختبر صبري.

قال بعنف وهو يضغط على كتفه مسببًا له ألمًا أكبر، كان بوسعه أن يبعده عنه، ولكنه أراد أن يستمتع باللحظة الوحيدة التي رأى فيها نظرات الهزيمة على وجهه، حين ظن أنه مسيطرٌ على كل شيء وتمت خيانتته من داخل منزله.

- هل كان هوشيار؟ سيرال؟ فراس؟ بسام؟
- جميعهم، الكل أراد الوقوف ضدك، وأنا وقفتُ معهم أيضًا، ولذلك أنت ستُهزَم قريبًا.
- ماذا أخبروك؟

- تمامًا كما قال لك نيكولاس، سأنتظر أن أرى في الأخبار اسم الكمس، اسم أزار ساروس يعلن عن هزيمته.

ضغط على جسده بقوة ليضع يديه على كتفي عمه ويدفعه، وربما في تلك اللحظة أيضًا شعر أنه قادرٌ على دفع كل الأشياء التي ظلت تحيط به منذ طفولته، وكل القيود التي كبلته، بدأ يقطعها، تلك كانت البداية، تلك الدفعة، ذلك الألم الذي شعر به في أطراف أصابعه، كان مريحًا جدًّا له.

- سننتظر حتى ذلك الوقت كارتال، وسترى أنه لا شيء من هذا سيحصل.

خرج أزار من الغرفة وضرب الباب الإلكتروني بقوة، اعتدل في وقفته وشعر بألم في رقبته، نظر إلى وجهه في المرآة ليرى وجهًا مختلفًا، وجهًا جديدًا غير كارتال الذي يعرفه، وجه كارتال الذي تغلب للمرة الأولى في حياته على نسيج الرعب الذي ظل يحيط به طوال حياته.

عرف أن عمه أقفل الباب عليه مما دفعه ليفتح حاسوبه قبل أن يفعل آزار شيئاً ما يمنع وصول الطاقة إليه، كتب رسالة وأرسلها إلى نيكولاس يسأله عما حصل، رد نيكولاس فوراً بأنه رفع قضية على آزار بمخالفة سياسة دور الرعاية وإلزام الأطفال على قوانين صارمة تتعارض مع قوانين حقوق الطفل العالمية. قال له أن يبقي أمر الشرائح الإلكترونية سراً.

«أعواني هنا الآن ونحن نبحث معاً باستعانة مصادرننا وقد اقتربنا للوصول إليهم.

الأمر الجيد، حكومة لو كيد ليست متورطة، ولكن بعض الشخصيات الكبيرة كذلك، الادعاء على ألكمس في المحكمة الدولية هو الخطوة الأولى وحسب، الضربة الكبيرة ستكون في الغد».

أغلق حاسوبه لأن ذهنه غير قادر على الدراسة أكثر، واستلقى على سريره في انتظار الأحداث القادمة أو على الأقل الضربة الكبيرة في الغد.

6

في اليوم التالي ضجت أخبار لوکید بأكملها بخبرٍ عاجل؛ محامٍ مشهور من مدينة مينوري ادعى على وزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الرعاية في مدينة لوکید، كانت تلك الضربة كبيرةً حقًا كما قال نیکولاس.

في المدرسة الثانوية التي يذهب إليها طلاب ألكمس انتشر الخبر سريعًا، توقفت حافلة الدار عند مقدمة الباب وحالما نزل الطلاب بدؤوا يسمعون الهمسات مما دفع (إيلاف) لتسأل:

- ماذا حصل؟

- يبدو أنه شيءٌ سيءٌ وصل إليهم من الأخبار الصباحية العاجلة، سأسأل عن الأمر.

مشى منير ناحية مجموعة من الطلاب ولحقته إيلاف ليتنهد بسام بمل ويلحق بهما.

- المحامي نیکولاس جريجوري، كل من ينوي على دراسة الحقوق يعرفه لبراعته وصغر سنه. رفع قضية على وزارتین ودار رعاية في لوکید.

تجمد بسام في مكانه تمامًا حين سمع ذلك بين الشائعات، دماغه عمل أسرع بأربع مرات وهو يفكر فقط فيما سمعه، دار رعاية، ألكمس هي الدار الوحيدة في لوکید، نیکولاس محامٍ عالمي مشهور فاز بقضايا عالمية، وعلى الفور تذكر كلمات إيلاف لينظر إليها ويجدها تحمل نفس النظرات، لم تره منذ أشهر طويلة وظنت أنه نسيها أو تخلى عنها، ولكنه هنا بالفعل.

سحبها منير من يدها ومشى الثلاثة إلى زاوية أخرى، ليساعدها بسام على الجلوس، ثم قال:

- اهدهني، ما بك؟

- لقد ظننتُ أنه نسيني.

- قلت إنه كان يفعل المستحيل من أجلك، وها هو يفعل ذلك.

نظر إليها بتركيز وعيناها المحمرتان أخبرتاه بأنها على وشك البكاء،
لينحني لمستواها واضعاً يديه على ركبتيها ويتابع:

- لن يفشل، ستكونين قريباً في منزل عائلتك التي أحببتها وافتقدتها، لذا
لا يمكنك أن تحزني الآن!

تساقطت دموعها بصمت ليأخذ نفساً طويلاً وينهض واقفاً تاركاً لمنير
مهمة مواساتها، ولم يكن بوسعه أن يقول شيئاً، احتضنها الأخير بين ذراعيه
مربتاً على ظهرها بحنانه المعتاد، بينما حوّل بسام نظره نحو التجمعات
التي تثير الصخب حول الموضوع وسؤال واحد ظل ينقر في عقله «هل كان
لكارتال يدُ في الأمر حتى وصلت الأشياء إلى هذا الحد؟»

عاد لآلكمس وقبل أن يدخل ليستريح في غرفته سحبه هوشيار نحو غرفته، ضغط على ذراعه وكأنه ينقل له التوتر الذي يشعر به وقال:

- هل رأيت الأخبار؟

- أجل، سمعتُ أن آزار لم يأتِ إلى هنا اليوم.

- هل تظن أنه كارتال؟

- لا أعلم، المشكلة أنه تأخر كثيرًا للحد الذي جعلني أشك أنه لم يرَ رسالتنا قط وتجاهلنا أو أن آزار فعل له شيئًا ما! لكن هذا التصرف المتأخر غريبٌ نوعًا ما.

صمت هوشيار معطياً نفسه مساحةً للتفكير بينما عيناه تنظران إلى السرير الذي ظل فارغًا منذ غادر شريكه هذه الغرفة، أطلق بسام نفسًا طويلًا قبل أن يجلس على سرير كارتال، ليجلس هوشيار مقابلًا له ويقول:

- ماذا تظن؟

- لو أردتُ أن أقول أفضل ما يحصل فسأقول إن كارتال تواصل مع نيكولاس وأن الأخير قد جمع ما يكفي من الأدلة قبل أن يقف في وجه آزار حقًا، وكما قالت إيلاف؛ عمها لا يدخل قضية إلا إن ضمن الفوز بها.

- عمها؟

قال هوشيار باستغراب ليقف بسام وينظر إليه مجيبًا:

- المحامي الذي كان صديقها المفضل، ألم تخبرك بذلك؟

حرك رأسه إيجابًا ليدس بسام يديه في جيبه ويضيف:

- إنه نفس الشخص الذي رفع القضية، سأذهب لأرتاح الآن، ولنبقَ على نفس التكتّم على الأمر.

غادر بسام وتنهد هوشيار بتعب، سيكون من الصعب التكتّم على الأمور بعد أن وصلت إلى هذا المنحنى، إيلاف كانت مشكلةً أخرى، كان عليه أن ينتبه لها ويحميها أضعافاً عن ذي قبل بما أن لعمها يدًا في الأمر. في أعماقه كان يضع كارتال عيناً عليها في المستودع، كان متأكدًا تمامًا أنه لو رآها تتعرض لأذى فلن يتركها مطلقًا. لو أراد أن يثق في شخص ما غير بسام فربما سيرال أو منير، كلاهما لم يكونا قريبين منها حتى.

8

شهرٌ آخر مر والجميع غارقٌ في توترٍ مطلق، الأحداث تصاعدت بشكل أسرع مما يمكن للأشخاص استيعابه.

توقف أزار عن المجيء لآلكمس، سيارته التي تقف كل يوم صباحًا بجانب البوابة الرئيسية من الخارج لم تعد موجودة. في يومٍ آخر دخل مجموعةٌ كبيرة من الأشخاص بملابس رمادية داكنة وقضوا وقتًا طويلًا في مكاتب العاملين وقابلوا الجميع دون استثناء، السيدة آن ماري والسيد غوندوز وحتى أولئك الأشخاص الذين لم يقابلهم المقيمون كثيرًا.

بدأت الأمور تأخذ منحىً جنونيًا بعدها بيومٍ واحد وحسب، لم يعد هناك ما يسمى خدمة اجتماعية، الجميع يجب أن يذهب للدراسة ثم يعود ليقضي الوقت في هدوء تام، جُلبت بعض الروبوتات لتأدية مهماتهم، وعرفوا أن هؤلاء الأشخاص عاملون في المحكمة الدولية التي تتبع لها المدن الجديدة ومعظم مدن العالم القديم، وتلزم باتباع تعليماتها، وقد كان الأمر قضيةً خطيرةً رفعها محامٍ كبيرٍ من مينوري على وزارتين ودار رعاية في لوكيد، لذا وجب هذا التدخل الكبير الذي حصل.

بعد أسبوعين من التغيير الموتر أتى المحامي نيكولاس نفسه إلى آلكمس ليتابع أمور قضيته وليرى ابنة أخيه، كان هناك الكثير من الزحام من المقيمين ليروا ما حصل، قليلون فقط من كانوا يعرفون بحقيقة أنه عم إيلاف، وقد وقفت الأخيرة بجانب الباب تراقب سيارته وهي تقف حيث كان أزار يضع سيارته تمامًا، بينما يخرج منها ببزته الغالية وحلته الجميلة، ولو كان أزار هنا ورأى هذا لشعر في تلك اللحظة بالهزيمة حقًا!

سار بخطواته السريعة نحو الفتاة الصغيرة التي عانقته وكأنه أهم شيء في حياتها، كان هوشيار وبسام ومنير يراقبون من بعيد، وهو يخبرها كم

يحبها ويفتقدتها ليبتسم بسام ويدرك أنها كانت حقًا تملأ كل حياته أكثر مما يمكن لأي أحد أن يتخيل.

سحبها من يدها للداخل وتفقد ببصره المكان والأطفال، ثمّة شيء ما في أعين الجميع، شيء ما لديهم جميعًا، رآه في عيني إيلاف وعرف على الفور أنه لم يكن من قبل، وأدرك أن نمط الحياة الغريب هنا هو الذي جعلهم جميعًا هكذا.

على حافة أحد الدرجين اللذين يوصلان للأعلى، جلس ثلاثة شبان قاداته إيلاف نحوهم وهي تقول:

- هوشيار ميكاليس، قائدي.

ما إن نطقت الكلمة الأخيرة حتى شعرت بالتوتر وهمت أن تصلحها ليستوقفها بقوله:

- أعرف ما معنى قائد، لقد شرحوا ذلك لي.

أشارت لبسام ومنير والابتسامة تكاد تشق وجهها وأضافت:

- بسام ومنير، أقرب أصدقائي.

- تشرفتُ بمعرفتكم!

نقل بصره بين هوشيار وبسام بتفحص ولم يخفَ عن أعين الشابين ذلك، ليقول بسام بلا مقدمات:

- هل قابلتَ كارتال؟

ابتسم نيكولاس بخفة، وبسام في تلك اللحظة لم يكن يكثرث لتخريب لحظة اللقاء أو للسرية التي حافظ عليها طوال فترة، لقد راهن على كل شيء لأجل هذا.

- كارتال هو من أتى إلي وأخبرني كل شيء، وحدثني كثيرًا عنكما.

- ما الذي قاله؟

سأله هوشيار بعينين حادتين راغبًا في الوصول إلى النهاية التي ظل فترةً طويلةً ينتظرها، ليبتسم نيكولاس ويرد:

- لا أعلم إن كانت كلمة كل شيء كافية، ولكنه قال كل التفاصيل، وصولاً إلى أصغر استنتاج ذكرتماه في رسالتكما.

نظرت إليه إيلاف باستغراب ليبتسم بسام ويرد:

- وماذا بعد؟

- كل ما توصلتم إليه حقيقي، وأنا أنوي الانتقام!

ازدادت الحيرة على وجه إيلاف وابتسم هوشيار بسخرية، ها قد جاء شخصٌ ما قادرٌ على مواجهتهم، يملك المال والموارد والذكاء والقوة والمكانة، ويمك دافعاً كبيراً للانتقام لأخيه وزوجته. تنهد نيكولاس ثم أضاف:

- بعد أسبوعين من الآن يوم المحاكمة النهائية، وبعدها سيتغير كل شيء، حتى ذلك الوقت، اعتنوا بابنة أخي.

أوماً له هوشيار ولم يقل بسام كلمةً أخرى، أمسك نيكولاس بيد إيلاف وطلب منها أخذه إلى مكانٍ يتحدثان فيه، لتقوده نحو غرفتها.

بجانب الدرج حل الضجيج على المكان، إيقاف الخدمة الاجتماعية جعل المقيمين المعتادين ضغوط العمل والدراسة متفرغين للكثير من السخافات ويثرثرون كثيراً ويتحدثون حول أمور سطحية ما داموا بفسحة من الوقت دوماً.

ولكن المجموعة التي كانت بجانب الدرج كانت غارقةً في الصمت قبل أن ينهض هوشيار صاعداً إلى غرفته وتبعه بسام هاربين من الضجيج.

أغلق هوشيار الباب وألقى نفساً كان محبوساً بصدرة ثم نظر إلى بسام الذي ظل صامتاً، بعدها بلحظات طُرق الباب مجدداً، وحين أذن بالدخول وجد سيرال أمامه. نظراتٌ جديّةٌ على وجهها، وعيناها اللتان تشبهان أعين القطط تنقلت بينهما قبل أن تقول مباشرةً:

- ما هي الأشياء التي قلموها لنيكولاس عن ألكمس؟

- بعض الأمور التي اكتشفناها من حياتنا هنا.

- إن كان لدي ما أقوله، هل يمكنني الذهاب؟!

تساءلت وهي تفرقع أصابعها، وربما للمرة الأولى يلاحظ أحدٌ ما تعابير التوتر على وجهها. حدق إليها هوشيار لفترةٍ من الوقت قبل أن يتنهد ويقول:

- إن كنتِ تريدين إخباره حول تلك الأشياء اللعينة في رؤوسنا فكارتال قد تكفل بالأمر.

قبل أن يتسنى لها الإجابة تابع بسام:

- لقد أخبرنا بذلك، وأخبرناه بما نعرف، وهو كان المسؤول الرئيسي عن القضية التي رفعها نيكولاس على ألكمس.

- كارتال!؟

- لا تخافي، ليس كل شخصٍ يحب عائلته مثلك.

قال هوشيار بسخرية لتومى بتوتر، توجهت للخارج ولكنها توقفت قبل أن تغادر والتفتت له مجددًا لتسأل:

- بالمناسبة، أين هاري والبقية؟

- تم نقلهم إلى مكانٍ آخر، ألم تسمعي بذلك؟

- أجل، ولكن لمَ لمَ يبقوا معنا!؟

- لأن مكانهم لم يكن بالأصل بيننا، وقد أُخذوا إلى حيث ينتمون أصلًا.

أجاب بسام بجمود، الجنون في تلك اللحظة كان يشتعل برأسه، كان يلمح رايات الانتصار تلوح له، وكان يتقبلها بصدرٍ رحب، واقترب الوقت ليحل بعض السلام!

9

لم يكن منزل آزار ساروس يوماً مكاناً غارقاً بالحياة، بل على العكس؛ كان دوماً صامتاً وكثيباً وهادئاً حتى تحسبه خالياً من البشر، تسوده هالة من الوحدة كانت موجودة عندما كان مالكة يعيش وحده، وازدادت أكثر بعد موت ابنة أخيه التي أنست تلك الوحشة.

أجبر آزار من قبل حكومة لوكيد والمحكمة العالمية على السجن المنزلي لفترة من الوقت حتى تنتهي تحقيقات المحامي نيكولاس ومن معه، وحتى جلسة المحاكمة التي ستُعقد في مدينة لوكيد، وبدوره عزل نفسه في غرفته عزلة تامة بعد أن فتح الباب لكارتال في نفس اليوم الذي أقفله عليه، وهكذا، أصبح كارتال يتجول في المنزل وحيداً وعمه سجين غرفته.

كان يخرج كل صباح لجامعته، يلقي التحية على المحققين الذين اتخذوا مكاناً لهم في غرفة صغيرة تابعة لحديقة المنزل، يذهب إلى الجامعة ويحضر كل محاضراته بينما يسمع بعض المهمات من الأشخاص حوله من حقيقة كونه ابن أخ الشخص الذي تدور حوله الشائعات الكبيرة، يعود للمنزل ويقضي وقتاً طويلاً وحده، الصمت والتفكير حليفاه، لم يتجرأ على الذهاب لالكمس لرؤية ماذا حل هناك، على الرغم من أنه أراد بشدة أن يعرف ما ردة فعل الجميع على هذه الفوضى.

بقي ثلاثة أيام وحسب على بدء المحاكمة، تناول غداءه ثم سكب صحن طعام ووعاء حساء وبعض المقبلات ووضعهم مع كوب عصير ليحملهم جميعاً نحو غرفة عمه، طرق الباب وضغط على الزر الجانبي وفتح الباب كهربائياً، وجده جالساً على سريره واضعاً ذراعيه بين فخذه ويشابك أصابع يديه بينما ينظر إلى الأرض ويحدق إلى نقطة ما، في كل يوم وطوال الشهر

الماضي كان يراه على نفس الحالة، وتساءل إن كان ينام على سريره أم يبقى جالسًا هكذا طوال الوقت!

- غداؤك.

قالها بصوتٍ خافت ليرفع آزار نظره إليه، اقترب ليضع الغداء على السرير ثم جلس مقابلًا له وسأل:

مكتبة

t.me/soramnqraa

- هل ستبقى هكذا؟

لم يحصل على إجابة ليتابع بلا وعي:

- آزار ساروس الذي أعرفه لا يقبل بالهزيمة مطلقًا ويحارب ليفوز، أما أنت تبدو مهزومًا من الآن على الرغم من أن المحاكمة بعد أيامٍ ثلاثة!

لاحظ الجمود على وجه آزار وأراد أن يسأله إن كان يشعر بالخيبة لأن من غدر به نفس الشخص الذي جلب له الطعام الآن ويجلس أمامه في هذه اللحظة، أطلق كارتال نفسًا طويلًا متجاهلاً حقيقة أنه رغب في قول ذلك ولو على سبيل الاستفزاز، ونهض من مكانه متجهًا نحو الخارج ريثما يضيف:

- على كل حال، لديك ثلاثة أيام في حال أردت فعل شيء ما يخرجك منتصرًا كما كنت دومًا أيها الرجل العظيم.

لم يرد أن تبدو نبرته ساخرة، ولكنها بطريقة ما كانت كذلك، قبل أن تخطو قدمه خلف عتبة الباب استوقفته إجابة آزار الصاعقة:

- سأعترف.

كلمة واحدة جعلته يتجمد مكانه ثم يستدير نحوه سريعًا بفاهٍ مفتوح، وجد الآخر ينظر إليه بثبات وكأنه يعني كل حرف، مما دفعه ليضحك باستهزاء ويرد:

- ستعترف؟!!

- كل الأمور التي فعلتها، سأعترف بها، هل هذا يريحك كارتال؟

- لا، بالطبع لا، لأنه ليس شيئًا يمكن أن تفعله دون سبب، فهلا تكرمت وأخبرتني ما الغاية من هذا الآن؟!!

- لقد أخبرتُك بأن إيلينا انتحرت، صحيح؟

ابتلع كارتال ريقه والانزعاج بدأ يغزو ملامحه وأوماً مجيبًا:

- لم تذكر ذلك الآن؟

- هل تعلم ما حصل معها قبل ذلك...

قاطعها صارخًا:

- أعلم، ولا تذكر تلك القصة مجددًا إن لم تكن تحتوي على كل الإجابات.

- لقد كان والد فراس صديقي المقرب، وربما الوحيد.

قالها بثبات مجددًا لتتسع عينها كارتال أكثر من الجملة المفاجئة التي

قالها، بينما تابع الآخر:

- تزوج بالمرأة التي يحبها، وأنجبا صبيًا تزامنت ولادته مع الخسارة

الكاملة لكل منتجات شركته، وحتى بعد محاولاته الكبيرة لاستعادة

مجده، إلا أنه نزل تحت خط الإفلاس بالفعل وفقد عقله ليعاقر الخمر

وكأنه وسيلته الوحيدة للنجاة. لم أكن صديقًا جيدًا لأنصحته، فقط

راقبته من بعيد، اكتفيت بإخراجه من المشكلات، كالدفع للحانات إن

لم يكن يحمل أموالًا كافية حتى لا ينتهي به الحال في السجن، وإيصاله

لمنزله كل يوم كي لا يقود تحت تأثير الثمالة، لم يكن يعجبني ما يقوم

به، ولكنني لست شخصًا صالحًا حتى يقود صديقه التائه نحو الصلاح،

مما دفعني لأشاهد كل شيء بالصمت نفسه!

ذات يوم أوصلته لمنزله بسيارتي، لم يمر وقتٌ طويل، فقط سويعاتٌ

قليلة قبل أن أعرف أنه تعرض لإصاباتٍ خطيرة جعلته يلازم

المستشفى والسبب هو ابنه المراهق الذي كان يبلغ الخامسة عشرة

من عمره، صديقي المقرب لم يعد كما كان مطلقًا بعد تلك الحادثة.

أتعلم كارتال؟ هناك أشخاص لا يتعلمون مطلقًا من دروس الحياة، ذلك

الرجل كان منهم، لو أنه كان عاقلًا لفهم أن ما فعله ابنه كان بسببه، ولكنه

لم يعرف ولم يعترف بخطئه، وتبرأ من ابنه تمامًا، وكذلك فعلت زوجته!

نُقل ابنه المراهق إلى آلكمس، وبنفس الطريقة التي أُلقي عليه اللوم

بها من قبل أمه وأبيه والشرطة، أُلقيت عليه اللوم لأنني فقدت صديقي،

وضعت ذلك الحمل على ظهره، لأنني لم أكن يومًا شخصًا يحتمل

الخسارة، فراس جعلني أخسر لأول مرة، ولذلك انتقمْتُ منه!

كان يسمع كل هذه الأشياء الغريبة عليه دون أن يرف له جفن وكأنه يشاهد ما حصل في فيلم سينمائي، وكان هذا هو المشهد الأخير ولكنه فقد أوراقه للمراهنة على أي شيء، لأنه لم يعد قادرًا على توقع ما يحصل.

- سعيْتُ لأجعل حياتي جحيماً، لم أضعه في الخدمة الاجتماعية، حتى تقتله الوحدة والضجر وحتى لا يحصل على النقاط، ثم أخبرت هاري بأني مستعدٌ لمنحه مئة نقطة كل عشرين يوماً لو جعل (فراس) مدمناً على التدخين، وبذلك يبقى في الكمس للأبد.

- ذلك الشيء اللعين الذي فعلته جعل شاباً مذهلاً مثله مريضاً بالسرطان، هل تعلم ذلك؟ لو مات ستحمل أنتَ الذنب لآخر حياتك!

لم يجبه أزار على ما قاله، على الرغم من أن كلماته كانت حقيقيةً للغاية، ولكنه تجاهله تماماً وكأنه لم يواجهه بحقيقة قتله لشابٍ يافع كانت ستتنتظره أيام جميلة للغاية لو لم يبدأ المرض في تدمير جسده!

- بدأ بعض أعواني في وزارة الرعاية الاجتماعية بسماع أخبار حول وضع استثناء لفراس بعدما اعترف والده في أحد برامج التنمية بكونه مدمن خمر سابقاً، قالوا إن (فراس) يمكن أن يخرج إلى مراكز الإرشاد النفسي قريباً وبعدها يعود لحياته الطبيعية، ولكنني رفضتُ ذلك لأنني كنتُ ناقماً عليه، لم أقبل أن يعيش حياة طبيعية، لم يكلفني الأمر أكثر من ألف نقطة دفعتمُها للوئي ليضع محلولاً بسيطاً في كأس عصير ويقدمها لفراس في الاحتفال السنوي، محلولٌ يسبب الهلوس ويفقده السيطرة على جسده، وهكذا سيفعل فراس شيئاً ما، يقوم ببعض الخراب الذي يجعله يبقى في الكمس رغماً عنه.

- لا تقل ذلك!

همس بها كارتال بصوتٍ لم يسمعه هو نفسه، ولكنه دون وعي وجد الدموع تتدفق من مقلتيه ليتابع أزار:

- إيلينا كانت سبباً في جعلي أحقد على فراس أكثر، لأنها بدورها كانت مراهقةً غبية أرادت أن تنقذ أمها فاتجهت لبيع مواد لا قانونية ظناً منها أنني لن أعرف، ولكنني عرفت، من المرة الأولى التي حاولت بها إيلينا العمل بذلك عرفت، وتركتُها تفعل ذلك لفترةٍ من الوقت حتى فضحتُ

أمرها بطريقة لا يعرف بها أحد أنني الواشي، إيلينا كانت ستجني المال وستنقذ أمها، أمها التي كانت سبباً في موت أخي الوحيد، إيلينا كانت تحاول أن تهزمني مرةً أخرى، لذلك وضعتها في الكمس لأنه المكان الوحيد الذي سيعلمها حقاً ما معنى السلطة ووجوب اتباع من لهم سلطة عليها، ولكنها ببساطة صنعت صداقةً مع شخصٍ أكرهه، وبدأتُ أرى قصص الحب في الكمس بين أكثر شخصين لم أرد لهما البقاء معاً.

- كانوا مجرد أطفال، كانوا مجرد أطفال أيها اللعين!

صرخ كارتال بكلمته الأخيرة دون وعي، صوته كان عاليًا ولم يكن سيستغرب لو أن المحققين في الأسفل سمعوه أيضًا، ولكنه لم يكثرث، دموعه تجري على وجنتيه دون قدرة منه على إيقافها، وكل الحصون التي بناها حول قوته هُدمت في تلك اللحظة!

- الشيء الوحيد الذي لم أتوقعه أن يحصل هو وصول فراس لهذه المرحلة بسبب الهلاوس، أذى الفتاة الوحيدة التي تبقت لي من عائلتي، خسرتُ الفتاة الوحيدة التي أردتها أن تكون معي حين أصبح عجوزًا وتخبرني بأنها تحبني، فراس فعل ذلك بسببي، كنتُ المذنب الوحيد، وهي قد انتحرت حين لم تحتل ما حصل معها!

لقد حافظتُ على صمتي كل هذه السنوات الماضية، ولكن بعد كل ما حصل، لا أظن أنني أريد أن أدافع عن نفسي حقًا، آلاف العائلات ماتت لأجل مشروعني في تنشئة أطفال جيدين، وربما إيلينا تستحق أن أتلقى عقوبةً لأجلها.

أنهى كلمته بابتسامةٍ صغيرة لتنهيار أعصاب كارتال تمامًا.

- ربما تستحق أن تنال عقوبةً لأجلها؟ ربما؟! بل هي تستحق أن تموت بسبب ما فعلته معها.

مشى نحوه بخطواتٍ مترنحة ويده التي تشكلت على شكل قبضة اصطدمت بفك آزار ناسيًا عيشهم معاً، ومركِّزًا على حقيقة أنه السبب في كل شيء، الشخص الذي يجلس أمامه هو السبب في كل شيء، هو من جعل (فراس) يقتل حب حياته، ولمن أعطى ذلك المحلول؟! للوئي، لم لوئي دونًا عن جميع أعوانه؟ لم أعطاه لصديقهم؟ لم استهدف (فراس) الذي أحب إيلينا على الرغم من علمه أن تلك الهلاوس ستجعله يتصرف بشكلٍ سيئٍ لأقرب الناس له؟

إيلينا انتحرت، حتى مع تقبله لحقيقة موتها وابتلاعه تلك الغصة التي كانت كالصخرة في حلقه، فلم يرد مطلقاً أن يتقبل حقيقة أنها انتحرت، أنها أنهت حياتها بنفسها، ولكنه قال ذلك، وبعد كل اعترافاته لم يكن يكذب في هذه النقطة أيضاً.

لكمه بكل ما يملك من قوة، مرة ومرتين وثلاثاً، الطعام تناثر على ملاءة السرير وجسد آزار رجع للوراء يستقبل تلك الضربات بلا رد فعل قبل أن يتوقف كارتال عن ذلك وهو يلهث بقوة شديدة ويمسكه من ياقة قميصه ليقول بلا وعي بينما يبتلع لهائمه الكثير من أحرفه:

- لم فعلت ذلك؟ كانت عائلتك الوحيدة، كانت تحبك وتعزك وتحترمك. لم يرد آزار وإنما ابتسم بخفة مجدداً ليتابع كارتال وقد فقد أعصابه:

- فراس تعرض للتعنف الأسري حتى فعل ذلك، ولكنك دمرت حياته، جعلته يقضي سنوات عمره في العزلة والوحدة والفراغ القاتل وسجن لا يعرف كيف يخرج منه، جعلته عنيفاً ومريضاً بالاكتئاب، وبسببك أُصيب بذلك المرض الخبيث الذي دمر جسده، لم يكن يستحق، واللعنة! ولا هوشيار، ولا بسام، ولا إيلاف، ولا سيرال، لا أحد منهم كان يستحق ما فعلته لأولئك الأطفال، لم تكن إيلينا تستحق أن ترد حبها لك بهذا الشكل!

المشاعر التي كانت تعيثُ فساداً في صدره في تلك اللحظة لم تكن مفهومة حتى بالنسبة إليه، أراد أن يفرغ كل ذلك الحزن، وصوت نحيبه العالي كان دليلاً كافياً على قدر صمته وحمله لكل ذلك لسنواتٍ طويلة.

بعد دقائق طويلة شعر بيد آزار ترتفع ليربت على ظهره بخفة، تماماً كما كان يفعل معه كنان حين يبكي، ولكن تلك اللمسة كانت تختلف كثيراً، ربما بنفس الطريقة ولكنها لم تخلق بداخله شعور الدفاء مطلقاً، وإنما جعلته يتحرك مبتعداً وهو ينظر نحوه بعينين محمرتين باكيتين ويقول بنبرة جمعت حقد العالم كله بين طياتها:

- أتمنى ألا تسعد أبداً، أن تعيش للأبد في معاناتك من تدمير حياة هؤلاء الأطفال.

كان ذلك آخر ما قاله قبل أن يمسح وجهه بعنف ويتجه خارج المنزل بأكمله! ولم يدخل كارتال منزل آزار ساروس بعدها مجدداً!

اختفى كارتال من المنزل طوال اليومين التاليين، واستأجر غرفةً في فندق ومكث فيها، في الساعة التي حانت بها المحاكمة وصلته دعوة من نيكولاس ليشهد، ولكنه أخبره بأن يأخذ هوشيار و(بسام) وسيرال. اختنق بسبب هواء الغرفة التي يجلس فيها، ونزل لمدخل الفندق ليجلس في صالة الاستقبال ويطلب فنجان قهوة يشربه بينما يمر الوقت ببطءٍ شديد.

كان يعلم أنه سيكون هناك الكثير من الضجيج حول اعتراف آزار المفاجئ، وأن أعوانه لن يكونوا سعيدين مطلقًا، ولكن هناك لجنةٌ كبيرةٌ لمكافحة الفساد بدأت تتقصى عمال الوزارتين، وقد استيقظ من الصباح على خبر إحالة عدد من الموظفين للتحقيق وفصلهم من العمل.

ذهابه لن يغير شيئًا، آزار سيعترف، هوشيار وبسام وسيرال سيقولون أشياء كافية لتدمر ألكمس للأبد، الأمور ستسير على منحى متوقع، بعد ذلك ستترك التفاصيل الكبيرة للمسؤولين الأكبر وسينتهي أمر تلك الجماعة التي كانت سببًا في قتل عائلات الأطفال لتطبيق التجارب عليهم، لا يريد أن يراقب أيًا من ذلك، جلوسه في ردهة الفندق يشرب الفنجان الثالث كان كافيًا له، مراقبة العابرين كانت كافية لأنه للمرة الأولى كان فارغًا من كل شيء.

شعر بيدٍ توضع على كتفه وصوت يعرفه جيدًا قال له بهدوء:

- أليست مراقبة الجميع وهم يعيشون حياتهم بشكل طبيعي أمرًا ممتعًا؟
رفع نظره للشاب الواقف بجانبه ينظر إليه من علو ليسأل بنبهة صوتٍ فرغت من الحياة:

- ما الذي تفعله هنا هوشيار؟

- خرجتُ من المركز التقني الذي حوّل إليه جميع مقيمي ألكمس بعد أن أزلتُ شريحةً ذكيةً من رأسي كانت تسلبني حريتي في التحدث، وفكرتُ أن آتي لرؤيتك.

- كيف عرفت أنني هنا؟ وكيف سمحوا لك بالخروج؟

- آزار أخبرني، قال إنك خارج المنزل منذ أيام وبالتأكيد ستكون هنا، يبدو أنه يعرفك أكثر مما تتخيل!

لم يجبه كارتال ليتابع بهدوء:

- قالوا إن سياسة ألكمس ستتغير كلياً، وعلى ذلك حدد القاضي السماح لكل المقيمين فوق الثمانية عشر عاماً بالخروج، سيتم إعطاؤهم بناءً سكنياً به مجموعة من الشقق بعد ثلاثة أيام، ولكنني اعتذرتُ من بسام وأتيت، لستُ أطيق البقاء هناك لدقيقةٍ واحدة.

- إذًا، عادت إيلاف مع عمها وخرج هوشيار ببساطة بينما حمل سيرال وبسام خيبتهم وعادوا لآلكمس؟!

- خيبتهم؟

همس هوشيار ساخراً قبل أن يتحرك ليجلس على الكرسي المقابل لكارتال. نظر إلى فناجين القهوة باحثاً عن واحدٍ ممتلئٍ ليشربه مما دفع كارتال ليضغط على الجهاز الموضوع على الطاولة ليطلب من الروبوت جلب فنجان قهوة لطاولتهم، ليبتسم هوشيار لأنه لم يعرف هذه التقنية بينما تابع:

- أي خيبة وعمك قد جلس على ذلك الكرسي واعترف بكل شيءٍ لعينٍ فعله وأخذ إلى السجن محكوماً عليه بأربعين سنة دون قابلية للتخفيف؟

- ماذا حصل بالضبط؟

- بكيتُ حينما قال إنه كان سبب ما حصل مع إيلينا وسبب مرض فراس، وبكى بسام حين عرف أن (لؤي) هو السبب، وبكت سيرال حين انتهى كل شيء، كان ذلك غريباً لأننا دخلنا كأشخاص أقوياء ولكننا بكينا كالأطفال حقاً!

- أنتم أطفال بالفعل.

علّق كارتال وما لبث أن نظر إليه مجدداً ليقول:

- ماذا عن هاري ومجموعته؟

- ستتم إعادة فتح قضاياهم واحدةً تلو الأخرى وسيُعفى عن بعضهم ويُلحقون ببرامج لمواكبة دراستهم الفائتة، بينما سيُنقل الآخرون

لمنظمة إرشاد نفسي تستعيض عن إصلاحية الأحداث وعن دار الرعاية، وبالطبع سيدخل لؤي في خضم هذه المشكلات.

- إذا، كل الأمور بخير الآن!

قالها كارتال ليومئ هوشيار بابتسامه صغيرة. وضع الروبوت فنجان قهوة أمام هوشيار الذي بدأ يشربه باستمتاع، تعابير وجهه دلت على السعادة، إلا أنها بدت غارقة في الحزن في الوقت نفسه. تنهد كارتال وسأل مجددًا:

- ما الذي ستفعله في الأيام القادمة؟

- سأنتظر حصولي على شقتي، وحتى ذلك الوقت سأتدبر أمري بطريقة ما.

- هل تريد أن تصبح شريكي في الغرفة مرة أخرى؟

قالها كارتال بابتسامه صغيرة لينظر إليه هوشيار بعينين متسعيتين قليلاً قبل أن يغرس أصابعه في شعره المجعد بتوتر ويقول:

- هل ستستقبلني أم ستقول لي (غير مرحب بك) كما قلت لك تمامًا؟

- لا، سأكون أفضل منك!

قالها ضاحكًا ثم نهض من مكانه واضعًا يديه في جيبه وهو يقول:

- تعال، عليّ أولاً أن أغير الحجز في الفندق لغرفة بسريرين.

- ماذا عن منزلك؟

- إيلينا ميتة وآزار مسجون، لذا أنا الوريث الوحيد لكانان، كما أنني أملك

أموال والدي المجمدة منذ كنتُ طفلًا، سأبدأ من الغد بجمع هذه الأموال

مع بعضها لأحصل على منزل أسكن به، وسأدخر الباقي لأفتتح عيادة

في المستقبل، أو من يعلم، ربما أقوم بمشروع لمستشفى!

- ألا تمتلك إرثًا من آزار؟

- أنا وريثه الوحيد أيضًا، ولكنني لا أريد شيئًا من أمواله القذرة!

هسهس بها بأنفاس حادة وتوجه نحو قسم الاستقبال بالفندق ليغير

حجزه، ثم عاد نحو هوشيار يحمل بيده بطاقة لفتح الغرفة، مشى بجانبه

يستقلان المصعد نحو الأعلى ليقول هوشيار:

- هناك شيءٌ مثير حصل؛ السيد رافييل كان في الحقيقة روبوتًا متطورًا

مسؤولًا عن السماح للمقيمين بالدخول!

- واو!

قالها كارتال ضاحكًا ثم نظر إليه وأضاف:

- لم أتوقع ذلك، ولكن بطريقةٍ ما لم أنصدم، كان مستيقظًا لأربع وعشرين ساعة ويتجاهل الأطفال حين يعطونه الطعام.
- رأيت؟ ولكنني في الحقيقة صُدمتُ، لقد استفزني مراتٍ عدة حتى شعرتُ برغبةٍ في قتله!
- بالمناسبة... (تحدث كارتال بنبرةٍ أكثر هدوءًا من حديث هوشيار لينظر إليه بتساؤل) سأذهب غدًا إلى قبر إيلينا، سأحكي لها ما حدث، هل تريد القدوم؟
- أظن أنني سأمنحك خصوصيةً في هذا الأمر، سأذهب لمركز الأمراض الخبيثة لرؤية فراس.
- كان هوشيار مدركًا لمحبة كارتال لإيلينا ولم يرد أن يتطفل، وبطريقةٍ ما فإن موضوع فراس هو كل ما يشغل ذهنه حاليًا.
- لا تحاول.
- كانت تلك إجابة كارتال التي قالها تزامنًا مع فتح باب المصعد، توجه للغرفة وفتحها ثم رمى جسده على أحد الأسرة بتعب ليجلس هوشيار على السرير المقابل ويسأل:
- لماذا؟
- ذهبْتُ إلى هناك، من المستحيل أن يخبروك بأي شيء ما دمتَ لستَ من عائلته، حتى وإن لم يملك عائلة، لديهم سياسةٌ مشددةٌ للغاية لحماية عملائهم.
- سأعرف أمر فراس ولو اضطررتُ لاختراقهم!
- لقد خرجتَ من المحكمة للتو، لا تريد أن تعود لها قريبًا وتكون مكان المتهم، فاصمت وحسب، لو حصل شيءٌ ما فستعرف به بطريقةٍ ما، ولو تحسن فراس سيخرج ليبحث عنك فورًا.
- أنهى كلمته ثم استلقى على السرير ووضع الغطاء على جسده مضيئًا:
- اترك هذا الأمر للوقت، أحيانًا يكون ماهرًا في جعل الأمور أفضل!

صباح اليوم التالي خرج من الفندق تاركًا هوشيار هناك، ارتدى أفضل ملابسه، اشترى باقة أزهار ملونة وندية وذهب لتلك المقبرة الكبيرة، لا يتذكر أنه زار قبرها مراتٍ كثيرةٍ من قبل، ولكنه يحفظ طريقه عن ظهر قلب، كان متعلقًا بتلك الفتاة كثيرًا، وعدم تقبله لموتها جعله رافضًا لفكرة أن ذهابه لرؤيتها يعني زيارته لقبر.

ولكنه الآن يفهم، الحياة يجب أن تسير، لا شيء سيتوقف عليه، لا شيء يكثر بمشاعره، والموت من سنن هذه الحياة، إن لم يتقبله، لن يكون قادرًا على الاستمرار والعيش بطبيعيةٍ مطلقًا!

وضع باقة الأزهار على القبر ثم جلس مقابلًا له بابتسامةٍ صغيرةٍ وحزينة، صمّتُ طويلٌ كان يلف المكان والنسمات الباردة جعلته متجمدًا في مكانه قبل أن ينطق أخيرًا:

- إيلينا، صديقة طفولتي، أختي، وحببتي!

نطق الكلمة الأخيرة بعينين منخفضتين، كانت مرته الأولى التي يعترف فيها بمشاعره.

- أعلم أنك عانيت كثيرًا، مرت ست سنواتٍ على ذهابك، وحتى فترةٍ قريبةٍ مضت لم أكن قادرًا على تصديق أن مراهقةً صغيرةً بذلك العمر قدرت على أخذ قرار الانتحار، تركتني وحيدًا للغاية، ولكن بسببك أيضًا تعرفتُ إلى أشخاص آخرين، أشخاص يملكون القدرة على جعل حياتي أفضل، ممتلئة، ربما لا شيء يملأ الفراغ الذي تركته، ولكنني لم أعد فارغًا تمامًا أيضًا.

أطلق تنهيدةً طويلة وشعر بشكلٍ غريب أنه يتحدث عن الأمر دون أن تراوده رغبة في البكاء، ليتابع:

- لم آتِ لأتحدث عن نفسي، كل ذلك قد مضى، ولكن أردتُ إخبارك شيئاً واحداً، إن كنتِ فارقتِ الحياة والخيبة تغلف مشاعركِ لأن الشاب الوحيد الذي أحببته ووثقتِ به قد غدر بكِ بهذه الطريقة، فأنا هنا لأجعل هذه الخيبة ترحل، فراس لم يكن مذنباً، أكرهه، لا يمكنني مسامحته، لا يمكنني أن أنسى شعوري بالغيرة منه لأنه عاش معكِ أيامكِ الأخيرة، لا يمكنني تجاوز كل ذلك، ولكنني سأكون وغداً إن لم أعترف على الأقل في قرارة نفسي أنه غير مذنب، وسأكون وغداً أكثر لو لم أخبركِ بهذا، أريد أن أقول لكِ إن هذه الخيبة التي استولت عليكِ قبل موتكِ لم تكن حقيقية، فراس أذاكِ ولكن يجب ألا يحمل أي لوم، وصدقيني، لقد دفع ثمناً كبيراً بعد ذلك! ربما ثمناً أكثر مما يستحق!

أنهى كلمته ثم نهض واقفاً، هذه المرة لم يكن يريد أن يقول أكثر من ذلك، هذه الكلمات كافية بالنسبة إليه، أما عن كل الأشياء التي كانت مدفونةً في السنين الماضية فستظل مدفونة، هذا أفضل له.

توجه خارج المقبرة نحو منزل آزار ليأخذ سيارته وبعض الملابس له ولهوشيار، ثم قاد نحو الفندق ليأخذ هوشيار نحو ألكمس لرؤية بسام وسيرال والبقية، وكما توقع تماماً؛ لم يتحدث بسام عن لؤي مطلقاً، بل حين ذُكر اسمه تجاهله تماماً وكأنه ليس اسم صديقه الأقرب، وهكذا رحل آزار ومات لؤي في قلوبهم وذهبت إيلاف مع عمها واختفت أخبار فراس تماماً.

12

مرت خمس سنوات على الحادثة التي قلبت مدينة لو كيد تمامًا، استبدلت الوزارتان بأكملهما وعوقب كل الفاسدين، قُبض على جماعات كبيرة كانت متورطة في قتل عائلات الأطفال.

كل شابٌ من أولئك الشبان صنع حياةً كبيرةً لنفسه والجميع عاش حياته الجديدة محاولاً أن يبتلع ذكرياته وأفكاره ويتعايش معها، إيلاف سافرت مع عمها إلى مدينة مينوري، بسام بدأ بدراسة العلوم السياسية ومن سنته الأولى احتلت مقالاته منصات كبيرة ومجلات مرموقة على مواقع التواصل الاجتماعي، بات يسكن في منزلٍ واحدٍ مع منير الذي يدرس هندسة البرمجيات، الدراسة التي تضمن له القيام بأعماله دون الحركة كثيرًا بعد أن تأثرت حركته أكثر بسبب مرضه، كارتال يملك منزله الكبير وعيادته المعروفة ويكمل بالدراسات العليا.

أما هوشيار، تخرج في الجامعة وأصبح يعمل في مرصدٍ فلكي كبيرٍ كباحثٍ مع فريقٍ كبيرٍ من العلماء، كان يتقن العمل بجدية، تحمل المسؤولية، بذل أقصى جهده، والقيام بالأمر على أفضل وجهٍ ممكن، شيءٌ يتعلمه كل أبناء ألكمس رغمًا عنهم.

غالبًا ما ينهي هوشيار عمله متأخرًا بعد أن يدرس كل الأبحاث التي يعمل عليها مع الفريق الكبير الذي وُضع به، يجلس في قاعة الرصد موجهًا تلسكوبًا كبيرًا من فتحة القبة الفلكية نحو السماء، ثم يدرس قليلًا ليعد لرسالته في الماجستير.

بعد عيشه سنواتٍ طويلةٍ مع المقيمين وفي أجواء ألكمس، قد بدأ يشعر بالوحدة من سكنه في الشقة وحده، كان يحدث (إيلاف) كل فترة، ويخرج كثيرًا مع بسام ومنير، كان يراقب أخبار أصحاب القلادات السوداء ومن بقي

منهم ومن خرج، وقد عرف في الفترة الأخيرة أن معظم من كان يعرفهم بدؤوا بالدراسة الآن، وحتى هاري.

جلس في مكتبه وحيداً بعد انتهاء عمله، أمسك كتاباً من رفوف المكتبة ووضعه على طاولته الصغيرة هناك، عيانه تمران على السطور وهذه الطاولة كانت تذكره تماماً بطاولته في غرفته الخاصة في ألكمس.

مر عليه عدة عمال في طريق مغادرتهم وألقوا عليه التحية، الظلام حل على المكان وكان وحيداً تماماً في المبنى الكبير يقرأ بهدوء ويفكر إن كان بوسعه الاستعانة بهذا الكتاب كمرجع له، ضوء مكتبه مطفأ سوى من الضوء الصادر من شاشة الكتابة، وبعض الأضواء في الممر بالخارج.

- ألم ينته عملك بعد؟ المكان أغلق بالفعل!

- بلى، سأبقى هنا قليلاً، يمكنك المغادرة فلدي تصريح بالدخول والخروج.

قالها هوشيار دون أن يرفع بصره عن الكتاب، ولكنه شعر بالشخص الآخر يتقدم نحوه، رفع نظره إليه ولكنه لم يستطع تبين ملامحه لأنه كان يقف في وجه الضوء القادم من الرواق بالخارج.

شابٌ طويلٌ ونحيل، يرتدي سروالاً عريضاً قليلاً وكنزة زرقاء لبس فوقها سترة غير سميكة، شعره جميل وناعم وشبابي للغاية وبدا له أن لحيته كانت مرتبة بعناية. تقدم منه وانحنى على الطاولة ليدير الكتاب ويقرأ اسمه وبدأت ملامحه تتضح أكثر ليلاحظ هوشيار ابتسامته الصغيرة وهو يقول:

- لقد قضيتُ سنوات طفولتك كلها ألتقطك من فوق الأسطح وأبحث عنك في آخر ساعات الليل لأجدك جالساً وسط الظلام تحديق إلى السماء، أردتُ أن أرى ثمن هذا، وها أنا أرى أنك تستحق فعلاً.

تلك الجملة، سمعها من قبل، اقترابه من الضوء الصادر من الكتاب جعله يتبينه، تلك الملامح عرفها جيداً، ربما تغيرت بعد خمس سنوات ونصف تقريباً، ربما بدا مختلفاً بالشعر القصير، ولكنه الشخص الذي أخبره بهذه الكلمات من قبل ليرد عليه ساخراً (تجعلني أشعر أنك أبي)، الشخص الذي لم يمر يوم طوال السنوات الخمس الماضية دون أن يفكر ماذا حصل معه،

الشخص الوحيد الذي عده عائلته، وعامله على أنه كذلك بكل ذرة شعور
وشغف يملكها.

فراس كان واقفًا هناك، بخير، بصحة، واقفًا يحدّثه ويضحك معه وكأن
كل الأمور على ما يرام، كل تلك الأشياء تزاومت في عقل هوشيار وجعلته
يقفز من مكانه معانقًا إياه ومنفجرًا بالبكاء، لم يكن بكاء هوشيار الشاب
الناجح ابن الثلاثة والعشرين عامًا، بل بكاء طفل العشر سنوات الذي رياه
فراس بنفسه.

فراس كان هناك، وكان ذلك كافيًا لجعله ينسى كل الهموم والتوتر والقلق
الذي لازمه طوال حياته!

ربما بسام كان محققًا، سيخرجون من هنا محمّلين بذكريات أكبر من أن
ينسوها على الرغم من رغبتهم في ذلك، ولكن هذه الذكريات هي ما سيضيء
لهم طريقهم.

ربما كارتال كان محققًا؛ بعض الأمور يجب تركها للوقت، أحيانًا يكون
ماهرًا في جعلها أفضل!

ربما فراس كان محققًا؛ الحياة تخبئ له مفاجآت تفوق قدرته على التخيل!
هذا النوع من المفاجآت، كان كافيًا بجعله يطير بعد أن عاش طوال حياته
كطائر سجين بين جدران الكمس، بين جدران الخيانة التي قام بها، في حفرة
الندم التي دفن نفسه بها!

لقد شعر أنه يطير، للمرة الأولى في حياته، كان يطير حقًا!

تمت

مكتبة

t.me/soramnqraa

شَيَاطِين لَوْ كِيد

في مدينتنا كل شيء مختلف، القواعد والقوانين لن تجد لهما خارج أسوارنا مثيلاً، بعضُ المقيمين هنا أذكى الأذكياء، وبعضهم شياطين سيئو السمعة، بعضهم جانحٌ وفاقدٌ للسيطرة، وبعضهم عنيفٌ حد الجنون، ولكن ما يجمعهم جميعاً أنهم ممتلئون بالأسرار وخفايا تتقلب على جمر النار كاللعنات.

مرحباً بك في عالمنا! العالم الجديد.

telegram @soramnqraa

غلاف: إسلام مجاهد



- 🌐 aseeralkotb.com
- ✉ contact@aseeralkotb.com
- 📘 AseerAlkotb
- 📱 AseerAlkotb
- 📍 AseerAlkotb